الدرر السنية في الأجوبة النجدية

مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام
من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا

جمع
الفقير إلى عفو ربه القدير
عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني النجدي
رحمه الله وعفا عنه وأعظم له الأجر
آمين
١٣١٢ - ١٣٩٢هـ

الجزء الثالث عشر

تفسير واستنباط لسور وآيات من القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرر السنية
في
الأجوبة النجدية

١٣

ح

الطبعة الأولى

طبعة جديدة منقحة ومزيدة

١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م

كتاب تفسير القرآن

قال شيخ الإسلام، علم الهداة الأعلام ، الشيخ : محمد بن عبد الوهاب ، أجزل الله له الأجر والثواب وأسكنه الجنة بغير حساب.

بسم الله الرحمن الرحيم

باب فضائل تلاوة القرآن وتعلمه وتعليمه

وقول الله عز وجل : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) [المجادلة : ١١] وقوله تعالى : (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) [آل عمران : ٧٩].

وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال رسول الله ﷺ : « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه[١] وهو عليه شاق له أجران » أخرجاه ؛ وللبخاري عن عثمان رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه ».

---

(١) التتعتع : التردد في الكلام عِيًّا وصُعوبة.

ولمسلم عن أبي أمامة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اقرؤوا القرآن ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ، اقرؤوا الزهراوين ، البقرة وسورة آل عمران ، فإنهما يأتيان يوم القيامة ، كأنهما غمامتان ، أو كأنهما غيايتان[١] أو كأنهما فرقان من طير صواف ، يحاجان لصاحبهما ؛ اقرؤوا سورة البقرة ، فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا تستطيعها البطلة ».

وله عن النواس بن سمعان ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يؤتى بالقرآن يوم القيامة ، وأهله الذين كانوا يعملون به ، يقدمه سورة البقرة وآل عمران » وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد ، قال : « كأنهما غمامتان ، أو ظلتان سوداوان بينهما شَرْقٌ[٢] أو كأنهما فرقان من طير صواف ، يحاجان عن صاحبهما ».

وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول (الم) حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » رواه الترمذي ، وقال حديث حسن صحيح ؛ وله وصححه عن عبد الله بن عمر ، عن النبي ﷺ قال : « يقال

(١) الغياية ما أضلك من فوقك.
(٢) أي : ضياء ونور.

لصاحب القرآن اقرأ وارتق ، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية ».

ولأحمد نحوه من حديث أبي سعيد : « ويصعد بكل آية درجة ، حتى يقرأ آخر شيء منه » ولأحمد أيضاً عن بريدة مرفوعاً : « تعلموا سورة البقرة » فذكر مثل ما تقدم في الصحيح ، في البقرة وآل عمران.

وفيه : « وإن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة، حين ينشق عنه قبره ، كالرجل الشاحب ، فيقول له : هل تعرفني ؟ فيقول له : ما أعرفك ، فيقول : أنا صاحبك القرآن ، الذي أظمأتك في الهواجر ، وأسهرت ليلك ، وإن كل تاجر من وراء تجارته ، وإنك اليوم من وراء كل تجارة ، فيعطى الملك بيمينه ، والخلد بشماله ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، ويكسا والداه حلتان لا يقوم لهما أهل الدنيا ، فيقولان بم كسينا هذا ؟ فيقال : بأخذ ولدكما القرآن ؛ ثم يقال : اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها ، فهو في صعود ما دام يقرأ هذًّا كان أو ترتيلا ».

وعن أنس : أن رسول الله ﷺ ، قال : « أهل القرآن هم أهل الله وخاصته » رواه أحمد والنسائي.

باب ما جاء في تقديم أهل القرآن وإكرامهم

كان القراء أصحاب مجلس عمر ، كهولاً كانوا أو شباناً ، وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « يؤم القوم

أقرؤهم لكتاب الله ، فإن كانوا في القراءة سواء ، فأعلمهم بالسنة ، فإن كانوا في السنة سواء ، فأقدمهم هجرة ، فإن كانوا في الهجرة سواء ، فأقدمهم سناً » وفي رواية : « سلماً، ولا يؤمّن الرجل الرجل في سلطانه ، ولا يقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه » رواه مسلم.

وللبخاري عن جابر : أنه ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد ، ثم يقول : « أيهما أكثر أخذا للقرآن » ؟ فإذا أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد.

وعن أبي موسى ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه ، وإكرام ذي السلطان » حديث حسن رواه أبو داود.

باب وجوب تعلم القرآن وتفهمه واستماعه والتغليظ على من ترك ذلك

وقول الله تعالى: (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا) [الإسراء : ٤٦] وقال تعالى : (إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) [الأنفال : ٢٢] وقوله : (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا) [طه : ١٢٤].

عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم ، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً ، فكان

منها نقية قبلت الماء ، فانبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس ، فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه في دين الله ، ونفعه ما بعثني الله به فعَلِم وعلَّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به » أخرجاه.

وعن ابن عمر : أن رسول الله ﷺ قال : « ارحموا ترحموا ، واغفروا يغفر الله لكم ، ويل لأقماع القول ، ويل للمصرين الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون » رواه أحمد.

باب الخوف على من لم يفهم القرآن أن يكون من المنافقين

وقوله تعالى : (ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك) الآية [محمد : ١٦] وقوله عز وجل : (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها) الآية [الأعراف : ١٧٩].

عن أسماء : أن رسول الله ﷺ قال : « إنكم تفتنون في قبوركم كفتنة الدجال أو قريباً من فتنة الدجال، يؤتى أحدكم، فيقال: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن فيقول: هو محمد رسول الله ، جاءنا بالبينات والهدى ، فأجبنا وآمنا واتبعنا ؛ فيقال : نم صالحاً ، فقد علمنا إنك لمؤمن ؛ وأما المنافق

والمرتاب ، فيقول : لا أدري ، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته » أخرجاه.

وفي حديث البراء في الصحيح « إن المؤمن يقول : هو رسول الله ؛ ويقال له : فما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت »[1].

باب قول اللّه تعالى:
(ومنهم أمّيّون لا يعلمون الكتاب إلا أماني) الآية
[البقرة : ٧٨]

وقوله : (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) الآية [الجمعة : ٥] عن أبي الدرداء ، قال : كنا مع النبي ﷺ فشخص بصره إلى السماء ، فقال : « هذا أوان يختلس العلم من الناس ، حتى لا يقدرون على شيء منه » فقال زياد بن لبيد : كيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن ؟ فوالله لنقرئنه نساءنا وأبناءنا ، فقال : « ثكلتك أمك يا زياد ، إن كنت لأعدك من فقهاء أهل المدينة ، هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى ، فماذا تغني عنهم ؟ » رواه الترمذي وقال : حسن غريب.

وعن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ أنزل

---

(١) وانظر الحديث بطوله في تفسير ابن كثير آية ٢٧ من سورة إبراهيم.

عليه : (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار) إلى قوله : (سبحانك فقنا عذاب النار) [آل عمران : ١٩٠ ، ١٩١] قال : « ويل لمن قرأ هذه الآية ولم يتفكر فيها » رواه ابن حبان في صحيحه.

باب إثم من فجر بالقرآن

وقوله تعالى : (وما يضل به إلا الفاسقين) [البقرة : ٢٦] وقوله : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) [المائدة : ٤٤] وقوله : (إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلا) الآية [البقرة : ١٧٤].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال « يخرج في هذه الأمة » ولم يقل منها « قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم وحلوقهم ، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية فينظر إلى نصله إلى رصافه فيتمارى في فوقه ، هل علق به من الدم شيء ؟ » أخرجاه وفي رواية : « يقرؤون القرآن رطبا ».

وكان ابن عمر يراهم شرار الخلق ، وقال : إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار ، فجعلوها على المؤمنين ؛ وللترمذي وحسنه ، عن أبي هريرة مرفوعاً : « من سئل عن علم فكتمه ، ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار ».

باب إثم من راءى بالقرآن

عن أبي هريرة ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه : رجل استشهد ، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت ، قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال جرىء فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.

ورجل تعلم العلم وعلّمه وقرأ القرآن ، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن ، فقال : كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم ، وقرأت القرآن ليقال هو قارىء فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.

ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله ، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيه إلا أنفقت فيه لك ، قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه، ثم ألقى في النار » رواه مسلم.

باب إثم من تأكل بالقرآن

عن جابر : أن رسول الله ﷺ قال « اقرؤوا القرآن وابتغوا به وجه الله عز وجل ، قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القدح يستعجلونه ولا يتأجلونه » رواه أبو داود ، وله معناه من حديث سهل بن سعد.

وعن عمران : أنه مر برجل يقرأ على قوم ، فلما فرغ سأله ؛ فقال عمران : إنا لله وإنا إليه راجعون ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من قرأ القرآن فليسأل الله تبارك وتعالى ، فإنه سيجيء قوم يقرؤون القرآن يسألون به الناس » رواه أحمد والترمذي.

باب الجفاء عن القرآن

عن سمرة بن جندب في حديث الرؤيا الطويل ، مرفوعاً ، قال : « أتاني الليلة اثنان فذهبا بي ، قالا : انطلق ، وإني انطلقت معهما ، وإنا أتينا على رجل مضطجع ، وإذا آخر قائم عليه بصخرة ، وإذا هو يهوي بالصخرة على رأسه فيثلغ رأسه ، فيتدهده الحجر هاهنا فيتبع الحجر فيأخذه فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان.

ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل في المرة الأولى ، فقلت لهما : سبحان الله ما هذا ؟ ! قالا : هذا رجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار يفعل به إلى يوم القيامة » وفي رواية : « الذي يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة » رواه البخاري.

ولمسلم عن أبي موسى ، أنه قال لقراء البصرة : اتلوه ولا يطولن عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم ؛ وعن ابن مسعود قال : إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد فقست قلوبهم ، اخترعوا كتاباً من عند أنفسهم استحلته ألسنتهم ، وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم ، حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم.

باب من ابتغى الهدى من غير القرآن

وقول الله عز وجل : (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) الآيتين [الزخرف : ٣٦ ــ ٣٨] وقوله : (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء) الآية [النحل : ٨٩] .

وعن زيد بن أرقم ، قال : قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً بماء يدعى « خما» فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ، ثم قال : « أما بعد أيها الناس إنما أنا بشر مثلكم يوشك أن يأتيني رسول من ربي فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين ، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به » فحث على كتاب الله ورغب فيه ، قال : « وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي » وفي لفظ « أحدهما هو كتاب الله حبل من الله ، من تبعه كان على الهدى ، ومن تركه كان على الضلالة » رواه مسلم.

وله عن جابر ، أن رسول الله ﷺ كان إذا خطب ، يقول : « أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة » .

وعن سعد بن مالك ، قال: نزل على رسول الله ﷺ القرآن ، فتلاه عليهم زماناً ، فقالوا يا رسول الله : لو قصصت علينا ؟ فأنزل الله عز وجل (الر تلك آيات الكتاب) الآية

[يوسف : ١ ، ٢] فتلاه عليهم زمانا ، رواه ابن أبي الدنيا بإسناد حسن.

وله : عن المسعودي ، عن القاسم : أن أصحاب رسول الله ﷺ ملّوا ملّة ، فقالوا : حدثنا يا رسول الله ، فنزلت (الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً) [الزمر : ٢٣] ثم ملّوا ملّة ، فقالوا : حدثنا يا رسول الله ، فأنزل الله عز وجل (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) [الحديد : ١٧] ورواه عبيد عن بعض التابعين ، وفيه فإن طلبوا الحديث دلّهم على القرآن.

وكان معاذ بن جبل ، يقول في مجلسه كل يوم ــ قل ما يخطئه أن يقول ذلك ــ الله حكم قسط ، هلك المرتابون ، إن وراءكم فتنا يكثر فيها المال ، ويفتح فيها القرآن حتى يقرأه المؤمن والمنافق ، والمرأة والصبي ، فيوشك أحدهم أن يقول : قد قرأت القرآن فما أظن أن يتبعوني حتى أبتدع لهم غيره ؛ فإياكم وما ابتدع ، فكل بدعة ضلالة ، وإياكم وزيغة الحكيم ، وإن المنافق قد يقول كلمة الحق ، فتلقوا الحق ممن جاء به ؛ فإن على الحق نوراً ، الحديث رواه أبو داود.

وروى البيهقي عن عروة بن الزبير : أن عمر أراد أن يكتب السنن ، فاستشار الصحابة ، فأشاروا عليه بذلك ، ثم استخار الله شهراً ، ثم قال : إني ذكرت قوماً كانوا قبلكم ، كتبوا كتباً فأكبوا عليها ، وتركوا كتاب الله ، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبداً.

باب الغلو في القرآن

فيه : حديث الخوارج المتقدم ؛ وفي الصحيح عن عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ألم أخبر أنك تصوم الدهر ، وتقرأ القرآن كل ليلة ؟ » قلت : بلى يا رسول الله ، ولم أرد بذلك إلا الخير ؛ قال : « فصم صوم داود ، فإنه كان أعبد الناس ، واقرأ القرآن كل شهر » قلت : يا رسول الله إني أطيق أفضل من ذلك ، قال : « فاقرأه في كل عشر » قلت : يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك ؛ قال : « فاقرأه في كل سبع ولا تزد على ذلك ».

ولمسلم عن ابن مسعود : أن رسول الله ﷺ قال : « هلك المتنطعون » ولأحمد عن عبد الرحمن بن شبل مرفوعاً : « اقرؤوا القرآن ولا تغلوا فيه ، ولا تجفوا عنه ، ولا تأكلوا به ، ولا تستكثروا به » وعن أبي رافع ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا ألفينّ أحدكم متكئاً على أريكته ، يأتيه الأمر من أمرى ، مما أمرت به أونهيت عنه ، فيقول : لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه » رواه أبو داود والترمذي.

باب ما جاء في اتباع المتشابه

في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قرأ: (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) [آل عمران : ٧] فقال: « إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم » وقال عمر: يهدم الإسلام زلّة عالم، وجدال منافق بالقرآن، وحكم الأئمة المضلين؛ ولما سأل صبيغ عمر عن (الذاريات) وأشباهها ضربه عمر، والقصة مشهورة.

باب وعيد من قال في القرآن برأيه وبما لا يعلم

وقول الله تعالى: (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن) إلى قوله: (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) [الأعراف : ٣٣] وعن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ قال: « من قال في القرآن برأيه » وفي رواية « من غير علم فليتبوأ مقعده من النار » رواه الترمذي وحسنه؛ وعن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: « من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ » رواه أبو داود والترمذي، وقال غريب.

باب ما جاء في الجدال في القرآن

قال أبو العالية : آيتان ما أشدهما على من يجادل في القرآن ، قوله تعالى : (ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا) [غافر : ٤] وقوله : (وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد) [البقرة : ١٧٦].

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « جدال في القرآن كفر » رواه أحمد وأبو داود ، وإسناده جيد ؛ وفي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، سمع رسول الله ﷺ قوماً يتمارون في القرآن ، فقال : « إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب ».

باب ما جاء في الاختلاف في القرآن في لفظه أو معناه

وقول الله عز وجل : (ولا يزالون مختلفين ، إلا من رحم ربك) الآية [هود : ١١٨ ، ١١٩] وقوله : (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) الآية [البقرة : ٢١٣] وفي الصحيح عن ابن مسعود ، قال : سمعت رجلاً يقرأ آية ، سمعت النبي ﷺ يقرأ خلافها ، فأخذت بيده ، فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له ، فعرف في وجهه الكراهة ، فقال : « كلاكما محسن فلا تختلفوا ، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا ».

وفيه أيضاً عن ابن عمر ، قال : هجّرت إلى النبي ﷺ ،

وسمعت أصوات رجلين اختلفا في آية ، فخرج علينا رسول الله ﷺ يعرف في وجهه الغضب ، فقال : « إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب ».

وفي المسند عنه ، من حديث عمرو بن شعيب ، قال : كنا جلوساً بباب النبي ﷺ ، فقال بعضهم : لم يقل الله كذا وكذا ، وقال بعضهم : لم يقل الله كذا وكذا ؛ فخرج كأنما فقيء في وجهه حب الرمان ، فقال : « أبهذا أمرتم أو بهذا بعثتم ؟ أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض ؟ إنما ضلت الأمم قبلكم في مثل هذا ، إنكم لم تؤمروا بهذا ، فانظروا الذي أمرتم به فاعملوا به ، والذي نهيتم عنه فانتهوا عنه ».

وفي رواية : « خرج وهم يتنازعون في القدر » وكذا رواه الترمذي من حديث أبي هريرة ، وفيه : « خرج ونحن نتنازع في القدرة » وقال حسن.

باب إذا اختلفتم فقوموا

في الصحيح عن جندب ، أن رسول الله ﷺ قال : « اقرؤوا القرآن ما ائتلفت قلوبكم ، فإذا اختلفت فقوموا عنه » ولهما عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال في مرضه : « ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده » قال فقال عمر : إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع ، وإن عندنا كتاب الله حسبنا ؛ وقال بعضهم : بل ائتوا بكتاب ، فاختلفوا ؛ فقال رسول الله ﷺ : « قوموا عني ولا ينبغي عند نبي تنازع ».

ولمسلم عن ابن مسعود : أنه قرأ سورة يوسف ، فقال رجل ما هكذا أنزلت ، فقال : أتكذب بالكتاب ؟ !.

باب قول اللّه تعالى:
(ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها) الآية
[الكهف : ٥٧]

قال النبي ﷺ : « الكبر بطر الحق وغمط الناس » وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه ، أنه قال : من أكبر الذنوب عند الله ، أن يقول العبد اتق الله ، فيقول عليك بنفسك.

وفي الصحيح عن أبي واقد الليثي ، قال : إن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه ، إذ أقبل ثلاثة نفر ، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد ، قال : فوقفا على رسول الله ﷺ ، فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس ، وأما الآخر فجلس خلفهم ، وأما الثالث فأدبر ذاهباً.

فلما فرغ رسول الله ﷺ ، قال : « ألا أخبركم عن النفر الثلاثة ؟ أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله ، وأما الآخر فاستحى فاستحى الله منه ، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه ».

وقال قتادة في قوله : (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم) الآية [لقمان : ٦]

لعله أن لا يكون أنفق مالاً ، وبحسب امرىء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق.

باب ما جاء في التغني بالقرآن

عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « ما أذن الله لشيء إذنه لنبي يتغنى بالقرآن » وفي رواية « لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهر به » أخرجاه ، وعن أبي لبابة ، أن رسول الله ﷺ قال : « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » رواه أبو داود بسند جيد ، والله سبحانه وتعالى أعلم ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

وسئل الشيخ : محمد بن عبد الوهاب ، رحمه الله ، عن فضل حفظ القرآن.

فأجاب : أما ما ورد في الفضل في حفظ القرآن ، هل المراد حفظه مع فهمه ؟ فلا يحضرني جواب يفصل المسألة ، ولكن حفظه مع عدم الفهم لا يوجد في زمن النبي ﷺ والخلفاء ، إلا أشياء خاصة لا عامة ، وأظنه لو وجد في زمانهم لاشتهر ، كشهرة الرجل الذي يسمى عندنا : « حمار الفروع » لما ذكر أنه يحفظ الفروع ولا يفهمه ؛ وقد قال تعالى : (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً) الآية [الجمعة : ٥].

ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى : أن هذه الآية ولو نزلت في أهل التوراة ، فالقرآن كذلك لا فرق بينهما ؛ وكذلك ذم

القراء الذين يقرؤون بلا فهم معنى ، وفيهم قوله تعالى : (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني) [البقرة : ٧٨] أي تلاوة بلا فهم ؛ والمراد من إنزال القرآن : فهم معانيه والعمل ، لا مجرد التلاوة[١].

وقال ابنه الشيخ عبد الله : ثم إنا نستعين على فهم الكتاب ، بالتفاسير المتداولة المعتبرة ، ومن أجلها لدينا : تفسير ابن جرير ، ومختصره لابن كثير الشافعي ، وكذلك البغوي ، والبيضاوي ، والخازن ، والحداد ، والجلالين ، وغيرهم.

قال الشيخ حمد بن عتيق ، رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

من حمد بن عتيق ، إلى الإمام المعظم ، والشريف المقدم[٢] محمد ، الملقب : صديق ، زاده الله من التحقيق ؛ وأجاره في مآله من عذاب الحريق ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد : وصل إلينا التفسير[٣] فرأينا أمراً عجيباً ، ما كنا نظن أن الزمان يسمح بمثله ، في عصرنا وما قرب منه ، لما

---

(١) اخر ما وجد.

(٢) نعته بالشريف ، لأنه ينتمي إلى الحسين بن علي بن أبي طالب.

(٣) تفسيره المسمى « فتح البيان في مقاصد القرآن ».

في التفاسير التي تصل إلينا من التحريف ، والخروج عن طريقة الاستقامة ، وحمل كتاب الله على غير مراد الله ، وركوب التعاسيف في حمله على المذاهب الباطلة ، وجعله آلة لذلك.

فلما نظرنا في ذلك التفسير ، تبين لنا حسن قصد منشئه ، وسلامة عقيدته ، وبعده عن تعمد مذهب غير ما عليه السلف الكرام ، فعلمنا أن ذلك من قبيل قوله : (وعلمناه من لدنا علماً) [الكهف : ٦٥] والحمد لله رب العالمين.

وهذا التفسير العظيم وصل إلينا في شعبان ، سنة سبع وتسعين ومائتين وألف ، فنظرت فيه في هذا الشهر ، وفي شوال ، فتجهز الناس للحج ، ولم أتمكن إلاّ من مطالعة بعضه ، ومع ذلك وقفت فيه على مواضع تحتاج إلى تحقيق ، وظننت أن لذلك سببين.

أحدهما : أنه لم يحصل منكم إمعان نظر ، في هذا الكتاب بعد تمامه ، والغالب على من صنف الكتاب كثرة ترداده ، وإبقاؤه في يده سنين يبديه ويعيده ، ويمحو ويثبت ، ويبدل العبارات ، حتى يغلب على ظنه الصحة ، ولعل الأصحاب عاجلوك بتلقيه قبل ذلك.

والثاني : أن ظاهر الصنيع ، أنك أحسنت الظن ببعض المتكلمين ، وأخذت من عباراتهم ، بعضاً بلفظه ، وبعضاً بمعناه ، فدخل عليك شيء من ذلك ، لم تمعن النظر فيها ؛ ولهم عبارات مزخرفة تتضمن الداء العضال ، وما دخل عليك من ذلك مغفور إن شاء الله ، بحسن القصد ، واعتماد الحق ،

وتحري الصدق والعدل ، وهو قليل بالنسبة إلى ما وقع فيه كثير ممن صنف في التفسير وغيره ، وإذا نظر السني المنصف ، في كثير من التفاسير ، وشروح الحديث ، وجد ما قلته وما هو أكثر منه.

وقد سلكتم في هذا التفسير في مواضع منه ، مسلك أهل التأويل ، مع أنه قد وصل إلينا لكم رسالة في ذم التأويل مختصرة ، وهي كافية ومطلعة ، على أن ما وقع في التفسير صدر من غير تأمل ، وأنه من ذلك القبيل ، وكذلك في التفسير من مخالفة أهل التأويل ما يدل على ذلك.

وأنا اجتريت عليك ، وإن كان مثلي لا ينبغي له ذلك ، لأنه غلب على ظني إصغاؤك إلى التنبيه ، ولأن من أخلاق أئمة الدين ، قبول التنبيه ، والمذاكرة ، وعدم التكبر ، وإن كان القائل غير أهل.

ولأنه بلغني عن بعض من اجتمع بك ، أنك تحب الاجتماع بأهل العلم ، وتحرص على ذلك ، وتقبل العلم ؛ ولو ممن هو دونك بكثير ، فرجوت أن ذلك عنوان التوفيق ؛ جعلك الله كذلك وخيراً من ذلك.

واعلم أرشدك الله : أن الذي جرينا عليه ، أنه إذا وصل إلينا شيء من المصنفات في التفسير ، وشرح الحديث ، اختبرنا ، واعتبرنا معتقده في العلو والصفات والأفعال ، فوجدنا الغالب على كثير من المتأخرين أو أكثرهم ، مذهب الأشاعرة الذي حاصله نفي العلو ، وتأويل الآيات في هذا

الباب ، بالتأويلات الموروثة عن بشر المريسي وأضرابه ، من أهل البدع والضلال ؛ ومن نظر في شرح البخاري ومسلم ونحوهما ، وجد ذلك فيها.

وأما : ما صنفوا في الأصول والعقائد ، فالأمر فيه ظاهر لذوي الألباب ؛ فمن رزقه الله بصيرة ونوراً ، وأمعن النظر فيما قالوه ، وعرضه على ما جاء عن الله ورسوله ، وما عليه أهل السنة المحضة ، تبين له المنافاة بينهما ، وعرف ذلك كما يعرف الفرق بين الليل والنهار.

فأعرض عما قالوه ، وأقبل على الكتاب والسنة ، وما عليه سلف الأمة وأئمتها ، ففيه الشفاء والمقنع ؛ وبعض المصنفين يذكر ما عليه السلف ، وما عليه المتكلمون ، ويختاره ويقرره ، فلما اعتبرنا هذا التفسير ، وجدناك وافقتهم في ذكر المذهبين ؛ وخالفتهم في اختيار ما عليه السلف تقرره ، وليتك اقتصرت على ذلك ، ولم تكبر حجم هذا الكتاب بمذهب أهل البدع ، فإنه لا خير في أكثره.

وقد يكون لكم من القصد ، نظير ما بلغني عن الشوكاني رحمه الله ، لما قيل له : لأي شيء تذكر كلام الزيدية ، في هذا الشرح ؟ قال ما معناه : لا آمن الإعراض عن الكتاب ، ورجوت أن ذكر ذلك أدعى إلى قبوله وتلقيه.

وقد قيض الله لكتب أهل السنة المحضة ، من يتلقاها ، ويعتني بها ، ويظهرها مع ما فيها من الرد على أهل البدع وعيبهم ؛ وتكفير بعض دعاتهم وغلاتهم ، فإن الله ضمن لهذا

الدين ، أن يظهره على الدين كله.

والمقصود : أن في هذا التفسير مواضع تحتاج إلى تحقيق ، ونذكر لك بعض ذلك.

فمنه : أني نظرت في الكلام على آيات الاستواء ، فرأيتك أطلت الكلام في بعض المواضع ، بذكر كلام المبتدعة النفاة ، كما تقدم.

ومنه : أن في الكلام بعض تعارض ، كقولكم في آية يونس : وظاهر الآية يدل على أنه سبحانه ، إنما استوى على العرش بعد خلق السماوات والأرض ، لأن كلمة ثم للتراخي ؛ ثم قلتم في سورة الرعد ، وثم هنا لمجرد العطف لا للترتيب ، لأن الاستواء عليه غير مرتب على رفع السماوات ؛ وكذلك قلتم في سورة السجدة ، وليست ثم للترتيب ، بل بمعنى الواو.

فالنظر في هذا من وجهين ؛ أحدهما : أن ظاهره التعارض ؛ الثاني : أن القول بأن ثم لمجرد العطف ، لا للترتيب في هذه الآيات ، إنما يقوله من فسر الاستواء بالقهر والغلبة ، وعدم الترتيب ظاهر على قولهم.

وأما السلف وأئمة السنة وأهل التحقيق ، فقد جعلوا اطراد الآيات في جميع المواضع ، دليلاً على ثبوت الترتيب ؛ وردوا به على نفاة الاستواء ، وأبطلوا به تأويلاتهم ، كما هو معروف مقرر في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره ؛ فانظر من أين دخلت عليك هذه العبارات ، وقد رأيت للرازي عبارة

في التفسير تفهم ذلك ، فلعلك بنيت على قوله .

وهذا الرجل وإن كان يلقب بالفخر ، فله كلام في العقائد قد زل فيه زلة عظيمة ، وآخر أمره الحيرة ؛ نرجو أنه تاب من ذلك ؛ ومات على السنة ، فلا تغتر بأمثال هؤلاء .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : في المحصل ، وسائر كتب الكلام المختلف أهلها ، مثل كتب الرازي ، وأمثاله ، وكتب المعتزلة والشيعة والفلاسفة ؛ ونحو هؤلاء ، لا يوجد فيها ما بعث الله به رسله ، في أصول الدين ، بل وجد فيها حق ملبوس بباطل ، انتهى من منهاج السنة .

قال : وقد قال بعض العلماء في المحصل :

محصل في أصول الدين حاصله من بعد تحصيله جهل بلا دين
أصل الضلالات والشرك المبين وما فيه فأكثره وحي الشياطين

وهذا من أجل كتبه ، فكيف تسمح نفس عاقل : أن يعتمد على قول مثل هؤلاء ؟ ! .

ومن ذلك : أنكم قلتم في سورة يونس أيضاً : استوى على العرش ، استواء يليق به ، وهذه طريقة السلف المفوضين ، وقد تقدس الديان عن المكان ، والمعبود عن الحدود ، انتهى .

فإن كان المراد بالتفويض ما يقوله بعض النفاة ، وينسبونه إلى السلف ؛ وهو : أنهم يمرون الألفاظ ويؤمنون بها ، من غير أن يعتقدوا لها معان تليق بالله ؛ أو أنهم :

لا يعرفون معانيها ، فهذا كذب على السلف من النفاة.

وإذا قال السلف : أمروها كما جاءت بلا كيف ، فإنما نفوا حقيقة الصفة ؛ ولو كانوا قد آمنوا باللفظ المجرد ، من غير فهم لمعناه على ما يليق بالله ، لما قالوا : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ؛ وأمروها كما جاءت بلا كيف ، فإن الاستواء لا يكون حينئذ معلوماً ، بل مجهولاً بمنزلة حروف المعجم.

وأيضاً : فإنه لا يحتاج إلى النفي : علم الكيفية ، إذا لم يفهم من اللفظ معنى ؛ وإنما يحتاج إلى نفي علم الكيفية ، إذا ثبتت الصفات؛ هذا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، ولا نشك أن هذا اعتقادك ؛ ولكن المراد : أنه دخل عليك بعض الألفاظ من كلام أهل البدع ، لم تتصور مرادهم ، فانتبه لمثل ذلك.

وأما قول القائل : يتقدس الديان عن المكان ، فهذا لم ينطق السلف فيه بنفي ولا إثبات ، وهو من عبارات المتكلمين ، ومرادهم به : نفي علو الله على خلقه ، لأن لفظ المكان فيه إجمال يحتمل الحق والباطل ، كلفظ الجهة ونحوه ، والكلام في ذلك معروف في كتب شيخ الإسلام وابن القيم ، فارجع إلى ذلك تجده ولا نطيل به.

وحسب العبد الاقتصار في هذا الباب ، على ما ورد في الكتاب والسنة ، كما قال الإمام أحمد : لا يوصف الله إلا بما

وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ، لا يتجاوز القرآن والحديث.

ومن ذلك ما ذكرتم ، عند قوله تعالى : (ثم استوى إلى السماء) [السجدة : ١١] وقد قيل : إن خلق جرم الأرض متقدم على السماء ، ودحوها متأخر ، وقد ذكر هذا جماعة من أهل العلم ، وهذا جمع جيد يجب المصير إليه.

وفي حم السجدة ، الجواب : أن الخلق ليس عبارة عن الإيجاد والتكوين فقط ، بل عبارة عن التقدير أيضاً ؛ والمعنى : قضى أن يحدث الأرض في يومين ، بعد إحداث السماء ؛ والجواب المشهور : أنه خلق الأرض أولاً ، ثم خلق السماء بعدها ، ثم دحا الأرض ومدها ؛ والأول أولى ، ففي هذا نوع تعارض.

ومن ذلك قولكم ، في الكلام على البسملة : والرحمة إرادة الخير والإحسان لأهله ؛ وقيل : ترك عقوبة من يستحق العقاب ، وإسداء الخير والإحسان إلى من لا يستحقه ، فهو على الأول صفة ذات ؛ وعلى الثاني صفة فعل ، انتهى.

وهذا هو التأويل المعروف عن بعض أهل البدع ، يردون هذه الصفات إلى الإرادة ، فراراً مما فهموه ، حيث قالوا : إن الرحمة رقة في القلب ، لا يصلح نسبتها إلى الله تعالى ؛ فقال لهم أهل السنة : هذه رحمة المخلوق ، ورحمة الرب تليق بجلاله ، لا يعلم كيف هي إلا هو.

ويلزمهم في الإرادة نظير ما فروا منه في الرحمة ؛ فإن

الإرادة هي ميل القلب ، فإما أن تثبت إرادة تليق بالرب تعالى ، وهو الحق في جميع الصفات ، وإما أن تقابل بالتأويل وهو الباطل ، والآفة دخلت على النفاة ، من جهة أنهم لم يفهموا من صفات الرب إلا ما يليق بالمخلوق ، فذهبوا لينفوا ذلك ، ويقابلوه بالتأويلات.

قال شيخ الإسلام : إنهم شبهوا أولاً فعطلوا آخراً ، وأهل السنة والجماعة أثبتوا لله جميع الصفات على ما يليق بجلاله ، ونفوا عنه مشابهة المخلوقين ، فسلموا من التشبيه والتعطيل.

ومن ذلك : أنكم أكثرتم في هذا التفسير من حمل بعض الآيات على المجاز وأنواعه ، وقد علمتم أن تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز ، حدث بعد القرون المفضلة ، ولم يتكلم الرب به ولا رسوله ، ولا أصحابه ولا التابعون لهم بإحسان.

والذي تكلم به من أهل اللغة ، يقول في بعض الآيات : وهذا من مجاز اللغة ؛ ومراده : أن هذا مما يجوز في اللغة ، لم يرد هذا التقسيم الحادث ، ولا خطر بباله ، لاسيما وقد قالوا : إن المجاز يصح نفيه ، فكيف يليق حمل الآيات القرآنية على مثل ذلك ؟ !.

وقد أتى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، في كتاب الإيمان الكبير ، بما كفى وشفى ، وذكر الآيات التي استدلوا بها ، وبعض الأمثلة التي ذكروها ؛ وأجاب عن ذلك بما إذا طالعه المنصف ، عرف الصواب.

ومن قواعده : أن المجاز لا يدخل في النصوص ، ولا يهولنك إطباق المتأخرين عليه ، فإنهم قد أطبقوا على ما هو شر منه ، والعاقل يعرف الرجال بالحق ، لا الحق بالرجال.

ومن عرف غربة الإسلام والسنة ، لم يغتر بأقوال الناس وإن كثرت ؛ والله يقول : (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله) الآية [الأنعام : ١١٦] ، ومن أبلغ الناس بحثاً في المعاني ، الزمخشري ، وله في تفسيره مواضع حسنة.

ولكنه معروف بالاعتزال ونفي الصفات ، والتكلف في التأويلات الفاسدة ، والحكم على الله بالشريعة الباطلة ، مع ما هو عليه من مسبة السلف وذمهم ، والتنقص بهم ، وفي تفسيره عقارب لا يعرفها إلا الخواص من أهل السنة.

وقد قال فيه بعض العلماء:

ولكنه فيه مقال لقائل	وزلات سوء قد أخذن المخانقا
ويسهب في المعنى القليل إشارة	بتكثير ألفاظ تسمى الشقاشقا
ويقول فيها الله ما ليس قائلا	وكان مجا في الخطابة وامقا
ويشتم أعلام الأئمة ضلة	ولا سيما إن أولجوه المضائقا
لئن لم تداركه من الله رحمة	لسوف يرى للكافرين مرافقا

والمقصود : أن الاعتماد على أقوال مثل هؤلاء ، لا يليق بالمحقق ، لا سيما فيما يتعلق بمعرفة الله وتوحيده ، وأنت ترى مثل محمد بن جرير الطبري رحمه الله ، وأقرانه ومن

قبله ، ومن يقربه في أزمانه لم يعرج على هذه الأمور ، وكذلك المحققون من المتأخرين كابن كثير ونحوه ، وكما هو المأثور عن السلف رحمهم الله ، وما استنبطوا منه.

فنسأل الله تعالى أن يلحقنا بآثار الموحدين ، وأن يحشرنا في زمرة أهل السنة والجماعة بمنه وكرمه ، والله أعلم.

وقال الشيخ : محمد بن الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن ، والشيخ محمد بن الشيخ إبراهيم بن الشيخ عبد اللطيف وفقهما الله تعالى ، جواباً لعلماء الهند ، ما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ناصر الحق ورافعه ، وخاذل الباطل وواضعه ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من صدق إسراره إعلانه ؛ وواطأ جنانه لسانه ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الذي أطلع الله ببعثته صبح الإسلام وأبانه ؛ ومحق برسالته حالك ليل الشرك وأهانه ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، ما غردت قمرية ببانه، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد : فقد وقفنا على الكتاب الذي أرسله أبو يحيى ، محمد شريف الكهريالوي ، وأصحابه من أهل الحديث الشريف ، من أهل الهند ، إلى إمام المسلمين ، ورافع ألوية الدين : عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ، لا زال للدين ناصراً ؛ ولأعداء الملة المحمدية كاسراً.

يطلبون منه استفتاء علماء **نجد** وغيرهم ، فيما شجر بينهم وبين أبي الوفاء ثناء الله ، ليرشدوا إلى الصواب في تلك المسائل ، التي أخذوها على ثناء الله ، وانتقدوها من تفسيره ، وتصفحنا النقول التي نقلت من تفسير ثناء الله ، بمرسوم عبد الله كميريوري ، من مضافات أوتر.

فنقول وبالله التوفيق : هذه المواضع المنقولة من تفسير أبي الوفاء ثناء الله ، جمهورها ، بل كلها خطأ ، إلا مواضع يسيرة ، ننبه عليها إن شاء الله تعالى ؛ وأعظمها وأكبرها : ما يتعلق بصفات الله تعالى ، كإنكاره حقيقة الاستواء ، بتفسيره إياه بالاستيلاء ؛ أو تنفيذ الأحكام والتدبير ، فإنه خطأ وضلال.

بل دخول فيما عليه أهل التحريف والتعطيل ، من الجهمية والمعتزلة ؛ ونحوهم ، ممن ضل عن سواء السبيل ، وهو خلاف ما عليه أهل السنة.

فإن الذي عليه أهل السنة والجماعة قاطبة ، وقولهم الشامل في هذا الباب : أنهم يصفون الله سبحانه وتعالى ، بما وصف به نفسه في كتابه ، ووصفه به رسوله ﷺ ، ووصفه به السابقون الأولون ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، لا يتجاوزون القرآن والحديث.

وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره ؛ وسنة رسوله ﷺ من أولها إلى آخرها ، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ، ثم كلام سائر الأئمة مملوء بما هو إما نص ، وإما ظاهر ، في : أن الله

سبحانه هو العلي الأعلى ، وهو فوق كل شيء ، وهو عال على كل شيء ، وأنه فوق العرش ، وأنه فوق السماء .

مثل قوله : (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) [فاطر : ١٠] (إني متوفيك ورافعك إلي) [آل عمران : ٥٥] (ءَأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور ، أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا) [الملك : ١٦ ، ١٧] (بل رفعه الله إليه) [النساء : ١٥٨] (تعرج الملائكة والروح إليه) [المعارج : ٤] (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه) [السجدة : ٥] (يخافون ربهم من فوقهم) [النحل : ٥] (ثم استوى على العرش) في ستة مواضع[١] (الرحمن على العرش استوى) [طه : ٥] (يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب ، أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً) [غافر : ٣٦ ، ٣٧] (تنزيل من حكيم حميد) [فصلت : ٤٢] (منزل من ربك) [الأنعام : ١١٤] إلى أمثال ذلك مما لا يكاد يحصى إلا بكلفة .

وفي الأحاديث الصحاح والحسان ، ما لا يحصى إلا بكلفة ، مثل قصة معراج الرسول ﷺ إلى ربه ، ونزول الملائكة من عند الله ، وصعودها إليه ، وقوله في الملائكة

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٥٤ ، وسورة يونس ، الآية : ٣ ، وسورة الرعد، الآية : ٢ ، وسورة الفرقان ، الآية : ٥٩ ، وسورة السجدة ، الآية : ٤ ، وسورة الحديد ، الآية : ٤ .

الذين « يتعاقبون فيكم بالليل والنهار ، فيعرج الذين باتوا فيكم إلى ربهم ، فيسألهم وهو أعلم بهم ».

وفي الصحيح في حديث « ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء » ؟ إلى غير ذلك مما هو من أبلغ المتواترات اللفظية ، والمعنوية ، التي تورث علماً يقينياً من أبلغ العلوم الضرورية ، أن الرسول المبلغ عن الله ، ألقى إلى أمته المدعوين : أن الله سبحانه على العرش ، وأنه فوق السماء كما فطر على ذلك جميع الأمم عربهم وعجمهم ، في الجاهلية والإسلام ، إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته.

ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لو جمع لبلغ مئين ألوف ، ولم يقل أحد منهم قط : إن الاستواء بمعنى الاستيلاء ، أو تنفيذ الأحكام والتدبير.

والذين أولوا الاستواء بالاستيلاء ، إنما حملهم على ذلك سوء أفهامهم ؛ حيث لم يفهموا من ذلك إلا التشبيه ؛ ظنا منهم أن استواءه تعالى على العرش ، من جنس استواء المخلوق على ما يستوى عليه ، من الفلك وبهيمة الأنعام.

وخفي عليهم : أن استواء الله سبحانه وتعالى على العرش ، من جنس سائر الصفات الواردة في الكتاب والسنة ، كوجوده تبارك وتعالى وعلمه ، وحياته وغير ذلك ، فكما أن إثبات وجوده تعالى وعلمه وحياته ، لا يلزم منه مماثلة خلقه في الوجود والعلم والحياة ، بل وجوده تعالى وعلمه وحياته

تليق به وتناسبه وتختص به ، فكذلك القول في الاستواء وسائر الصفات.

وهذا المحذور الذي زعموه وفرّوا من أجله من إثبات الاستواء ، يلزمهم نظيره فيما ذهبوا إليه من الاستيلاء ، أو تنفيذ الأمر والتدبير ؛ فإنهم إن أثبتوا الاستيلاء ، من جنس استيلاء المخلوقين ، وقعوا في نفس ما فرّوا منه ؛ وإن قالوا : استيلاء يليق بجلال الله وعظمته ، فلأي شيء لم يثبتوا الاستواء ؟ ويقولوا استواء يليق بجلاله وعظمته ، حتى يكونوا قد صدّقوا الكتاب والسنة ، ووافقوا في الاعتقاد ما أجمعت عليه الأمة.

ولم يفهم أحد من سلف الأمة وأئمتها ، من قوله تعالى : (وخلق كل شيء فقدّره تقديراً) [الفرقان : ٢] وقوله تعالى : (يدبر الأمر) [السجدة : ٥] ما يدل على أن الاستواء بمعنى الاستيلاء بوجه من الوجوه ، ويقرب من هذا تفسيره العرش في قوله : (وكان عرشه على الماء) [هود : ٧] وغيرها من الآيات ، التي ذكر بالملك والحكومة.

وتفسيره قوله : (ويحمل عرش ربك) [الحاقة : ١٧] بأن ذلك كناية عن عظمة كبريائه ، فإن هذا إنكار لحقيقة العرش ، وإنكار لحملته ، ودخول في مسالك المبتدعة المنكرين للصفات ، فإنهم إنما أنكروه تذرعاً إلى إنكار علو الله سبحانه على خلقه ، واستوائه على عرشه.

والنصوص من الكتاب والسنة ظاهرة جلية ، في إثبات

العرش ؛ وهو إجماع أهل السنة والجماعة ، كما دلت عليه هذه الآيات الكريمات ، وقوله تعالى : (وترى الملائكة حافين من حول العرش) [الزمر : ٧٥] وقوله تعالى : (الذين يحملون العرش ومن حوله) [غافر : ٧].

وقال ﷺ في الفردوس : « إنها أعلى الجنة ، ووسط الجنة ، وسقفها عرش الرحمن » وقال ﷺ : « إن الله كتب في كتاب ــ فهو موضوع عنده فوق العرش ــ إن رحمتي تغلب غضبي ».

وقال ﷺ : « إن الناس يصعقون يوم القيامة ، فأكون أول من يرفع رأسه ، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة العرش » الحديث ؛ إلى غير ذلك مما أفاد العلم الضروري ، بوجود العرش الذي هو السرير ، كما هو المعروف في لغة العرب ، وهو الذي فهمه الصحابة عن نبيهم ﷺ ، وتلقاه عنهم أهل العلم ، وعقائد أهل السنة تنادى بذلك.

وكثير منهم يعقد لذلك بابا ؛ ويقول : باب إثبات العرش ، ويذكر فيه النصوص الواردة من الكتاب والسنة.

والاستدلال على أن العرش ليس هو المعروف عند سلف الأمة وأئمتها ، بقوله تعالى : (لمن الملك اليوم) [غافر : ١٦] أظهر في البطلان من أن يحتاج إلى تعريف.

وكذلك تفسيره : الكتاب المذكور ، في قوله تعالى : (ما فرطنا في الكتاب من شيء) [الأنعام : ٣٨] ونظائرها ، بعلم الله ، فجهل وضلال ، ولا يتمشى هذا إلا على أصول

القدرية ، المنكرين للقدر السابق ؛ وأما أهل السنة والجماعة : فهم بُرَءَاءُ إلى الله تبارك وتعالى ، من هذا المذهب الباطل.

ونصوص الكتاب والسنة ـ في إثبات اللوح المحفوظ ، والكتاب السابق ، الذي كتبت فيه المقادير ، وإثبات القلم ، وأن الله تعالى لما خلقه ، قال له اكتب ، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة ـ أشهر من أن ينبه عليها.

وهكذا قوله في قوله تعالى : (أحصيناه في إمام مبين) [يس : ١٢] في صحف أعمال ، هو غلط كالذي قبله ، وليس في قوله : (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو) [الأنعام : ٥٩] التي استدل بها ، ما ينافي إثبات اللوح المحفوظ ، والكتاب السابق المذكور في تلك الآيات.

ونظير ذلك استدلاله بقوله تعالى : (وكل شيء فعلوه في الزبر) [القمر : ٥٢] بل هذه الآية نظير الآيات الأول في إثبات الكتاب السابق ، وكاستدلاله أيضاً بقوله تعالى : (ولا يحيطون بشيء من علمه) [البقرة : ٢٥٥] وغيرها ، كل ذلك لا ينافي ما تقرر فيما تقدم ، بإجماع أهل العلم من المفسرين وغيرهم.

ومما يدخل في أنواع أهل البدع ـ كالمنكرين الصفات ـ تفسيره الكتابة في قوله : (وكتبنا له في الألواح من كل شيء) [الأعراف : ١٤٥] بالأمر بكتابة الأحكام ، فإنه من تأويل آيات الصفات ، وتحريفها عن ظاهرها الذي أريد منها ؛ وفي

الحديث : « إن الله خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده » الحديث.

ومثله أيضاً قوله : إن السدرة التي في قوله تعالى : (عند سدرة المنتهى) [النجم : ١٤] ليست سدرة حقيقة ، والمراد بالمنتهى منتهى مراتب كمال الإنسان ، فإنه من أقوال منكري علو الله تبارك وتعالى ، وهو خروج عن ظاهر الآية ، وخلاف ما دلت عليه أحاديث الإسراء ، التي فيها التصريح بالمراد من الآية ، وأن ذلك كله حقيقة.

وأما تفسيره قوله تعالى : (وظللنا عليهم الغمام) [الأعراف : ١٦٠] بإرسال السماء عليهم مدراراً ، فهو خلاف ما عليه المفسرون ؛ والصواب الموافق للحق ، ما قاله في الطبع الثاني ، بقوله في التيه : لدفع الشمس ، إلا أنه لم يصرح بالمراد بالغمام ؛ وقال أيضاً في آخر ذلك : لأن بني إسرائيل أقاموا في التيه أربعين سنة في الشمس ، فلم يصنع حينئذ شيئاً ، ورجع التفسير إلى ما في الطبع الأول.

وأما تفسيره قوله تعالى : (فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم) [البقرة : ٥٩] بقوله ، أي : خالفوا ما أمروا به من التوكل والاستغفار ؛ فلا ريب أن التفسير الصحيح في ذلك ، هو ما دلت عليه سنة رسول الله ﷺ من أنهم دخلوا يزحفون على استاههم ، وقالوا : حبة في شعرة ، كما في الصحيح عن أبي هريرة مرفوعاً وغيره.

لكن إن أراد أن التوكل داخل في الأمر بالدخول سجدا ،

من طريق اللزوم ، فهو صحيح ، وكذلك الاستغفار الذي ذكره ، هو داخل في الحديث ؛ لكن قوله في الطبع الثاني : أو دخلوا يزحفون على استاههم إلى آخره ، يشعر بالمغايرة ، ولا مغايرة على التوجيه السابق.

وأما تفسيره الرجز المذكور في قوله : (فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً) [البقرة : ٥٩] بقوله : أي حرمناهم بفسقهم ، فغلط ؛ وذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره عن الضحاك ، عن ابن عباس : كل رجز في القرآن المراد به العذاب ؛ قال : وهكذا روي عن مجاهد وأبي مالك ، والسدى والحسن وقتادة : أنه العذاب.

وقال أبو العالية : الرجز الغضب ، وقال الشعبي : الرجز إما الطاعون وإما البرد ، إلى أن قال : وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج ، وذكر سنده إلى سعد بن مالك ، وأسامة بن زيد وخزيمة بن ثابت ، قالوا : قال رسول الله ﷺ « الطاعون رجز عذاب عذب به من كان قبلكم » وهكذا رواه النسائي من حديث سفيان به ؛ وقوله (فإنها محرمة) [المائدة : ٢٦] غير خاف عدم دلالته على أن المراد بالرجز التحريم المذكور ، فهذا شيء وذاك شيء آخر.

وأما تفسيره قوله تعالى : (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) بقوله ، أي : ابتداء لا بعد المنع ، وقوله : (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم) [البقرة : ١٨٧] أي :

تنقصون حظوظ أنفسكم بالمجانبة عن النساء ، فهو خلاف ما دلت عليه سنة رسول الله ﷺ.

فإن السنة دلت على منع الصائم أولاً من النساء ليلة الصيام ، ثم أباح الله ذلك وأنزل قوله : (أحل لكم ليلة الصيام) الآية السابقة ، كما في صحيح البخاري من حديث البراء بن عازب ، قال : لما نزل صوم شهر رمضان ، كانوا لا يقربون النساء رمضان كله ، الحديث.

فهذا ظاهر في أن الحل المذكور في قوله تعالى : (أحل لكم ليلة الصيام) أنه من بعد منع ، وظاهر في معنى قوله تعالى : (تختانون أنفسكم) أي : بالجماع ليلة الصيام ، ليس معناه تنقصون حظوظ أنفسكم بالمجانبة عن النساء.

وأما تفسيره قوله تعالى : (فصرهن إليك) بقوله أملها ، أي : اجعلها مائلة إليك بحيث إذا تركتها تميل إليك (ثم) بعد ميلانها إليك تعودها ، و (اجعل على كل جبل منهن جزءاً) [البقرة : ٢٦] أي : واحداً واحداً ، فهو إنكار لما ذكره المفسرون ، من ذبح تلك الطير وتقطيعهن ، وخروج عما دلت عليه الآية الكريمة من الآية الباهرة ، الدالة على قدرة الله تعالى على إحياء الموتى.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : (فصرهن إليك) قطعهن ، قاله ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير ، وأبو مالك وأبو الأسود الدؤلي ، ووهب بن منبه ، والحسن والسدى وغيرهم.

وقال العوفي عن ابن عباس : (فصرهن إليك) أوثقهنّ ، فلما أوثقهنّ ذبحهن ، ثم جعل على كل جبل منهن جزءاً ؛ فذكروا : أنه عمد إلى أربعة من الطير فذبحهن ، ثم قطعهن ، ونتف ريشهن ، ومزقهنّ ؛ وخلط بعضهن ببعض ، ثم جزّأهنّ أجزاءاً ، وجعل على كل جبل منهن جزءاً ، قيل : أربعة أجبل ، وقيل سبعة.

وقال ابن عباس : وأخذ رؤوسهن بيده ، ثم أمره الله عز وجل أن يدعوهنّ ، فدعاهن كما أمره الله ، فجعل ينظر إلى الريش يطير إلى الريش ، والدم إلى الدم ، واللحم إلى اللحم ، والأجزاء من كل طائر يتصل بعضها إلى بعض ، حتى قام كل طائر على حدته.

وأتينه يمشين سعياً ، ليكون أبلغ له في الرؤية التي سألها ؛ وجعل كل طائر يجيء ليأخذ رأسه الذي في يد إبراهيم عليه السلام ، فإذا قدم له غير رأسه يأباه ، فإذا قدم إليه رأسه تركب مع بقية جسده ، بحول الله وقوته ، انتهى.

وأما قوله : إن آية : (الآن خفف الله عنكم) [الأنفال : ٦٦] ليست بمنسوخة ، لأن كون الحكم مشروطاً بشرط لا يوجد ينافي النسخ ، فهو خلاف ما عليه أئمة التفسير ، كابن عباس رضي الله عنهما وغيره ؛ وقول من قال : ليست بمنسوخة من أهل العلم لا ينافي ذلك ، إذ هو مبني على خلاف في حد النسخ ، لا على الوجه الذي ذكره.

ونظير هذا إنكاره النسخ في قوله : (والذين عقدت

أيمانكم) [النساء : ٣٣] وزعمه أن المراد الزوج والزوجة ، فإنه غلط خلاف ما جاءت به الآثار ، ونقل عن أئمة التفسير.

وأما تفسيره قوله تعالى : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) [يونس : ٢٦] بقوله : على قدر أعمالهم ، ويشمل رؤية الله تعالى ، فهذا تفسير حسن ، ولا ينافي ما جاء في السنة ، من تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله تعالى.

قال الحافظ ابن كثير : يخبر تعالى أن لمن أحسن العمل في الدنيا بالإيمان والعمل الصالح ؛ الحسنى في الدار الآخرة ، كقوله تعالى : (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) [الرحمن : ٦٠].

وقوله تعالى : (وزيادة) هي تضعيف ثواب الأعمال ، بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، وزيادة على ذلك أيضاً ، ويشمل ما يعطيهم الله في الجنان من القصور ، والحور ، والرضا عنهم ، وما أخفاه لهم من قرة أعين.

وأفضل من ذلك ، وأعلاه النظر إلى وجهه الكريم ، فإنه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه ، لا يستحقونها بعملهم ، بل بفضله ورحمته ؛ ثم ذكر أحاديث النظر إلى وجه الله وأقوال الصحابة.

وقوله في قول الله تعالى : (فجعلنا عاليها سافلها) [الحجر : ٧٤] أي : أسقطنا سقف بيوتهم عليهم ، هذا من الخطأ الواضح ، فإنه خلاف ظاهر اللفظ ، وخلاف ما عليه

المفسرون ، فإن قوم لوط ــ والعياذ بالله ــ قلبت ديارهم عليهم ، فجعل عاليها سافلها.

وأما قوله في قوله تعالى : (يا مريم أنّى لك هذا) إلى آخره [آل عمران : ٣٧] كانت عليها السلام تنسب ما كان عندها إلى الله ، لقوله : (وما بكم من نعمة فمن الله) [النحل : ٥٣] فليس فيه دليل على أن مريم الصدّيقة كان يأتيها فاكهة الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف.

فمن المعلوم أن أئمة التفسير ، كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ، وأبي الشعثاء وإبراهيم النخعي والضحاك والسدى ، وقتادة والربيع بن أنس ، وعطية العوفي وغيرهم ، أدرى بمعاني كتاب الله ؛ وقد جاء عنهم : أنها ــ عليها السلام ــ تؤتى بفاكهة الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف ؛ وإثبات كرامات الأولياء ، من أصول أهل السنة والجماعة.

وأما تفسيره النار ، في قوله تعالى : (بقربان تأكله النار) [آل عمران : ١٨٣] بقوله ، أي : يحرقه الكاهن بالنار ، والعجب ممن قيد النار بالسماوي ! ليت شعري ، من أين أخذ هذا التفسير ؟! فيقال : ليس ذلك بتقييد ، بل تفسير ، والألف واللام في النار ، للعهد الذهني ، فيكون المراد : النار المتعارفة بينهم ، وجاء عن أئمة التفسير ، تفسيرها بالنار التي تنزل من السماء.

قال ابن كثير : يقول تعالى تكذيباً لهؤلاء ، الذين زعموا

أن الله عهد إليهم في كتبهم ، أن لا يؤمنوا لرسول حتى يكون من معجزاته : أن من تصدق بصدقة من أمته فتقبل منه ، أن تنزل نار من السماء تأكلها ، قاله ابن عباس والحسن وغيرهما ، انتهى.

ومما يشهد لذلك ويدل على صحة نزول جنس النار السماوية، الأحاديث الدالة على أن الغنائم ، فيمن قبل هذه الأمة ، تنزل عليها نار من السماء فتأكلها، وهذا نظير تفسيره قوله تعالى ، (فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر)[المائدة : ٢٧] أنهما اطلعا بواسطة آدم ، أن تقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر.

فإنه قد جاءت الآثار هنا : أن هابيل قرب جذعة ؛ وقابيل : قرب حزمة سنبل ، فوجد فيها سنبلة عظيمة ففركها، فنزلت النار فأكلت قربان هابيل ، كما في تفسير ابن جرير ، وابن كثير والبغوي وغيرها من التفاسير.

وأما تفسيره قوله تعالى : (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها) [الأنعام : ١٥٨] أنه يوم الموت ، فإن الذي دلت عليه الأحاديث كحديث أبي هريرة وأبي ذر اللذين في الصحيحين وغيرهما ، وحديث حذيفة عند ابن مردويه ، وحديث أبي سعيد عند الترمذي ، وحديث صفوان بن عسال ، وحديث عبد الله بن مغفل وغيرها ، أن المراد بالآيات ، في قوله تعالى : (أو يأتي بعض آيات ربك) الآيات العظام ، التي قرب قيام الساعة ، التي هي من أشراطها ، كطلوع

الشمس من مغربها ، وغير ذلك مما ثبت في الأحاديث.

وليس ذلك هو المذكور في قوله تعالى : (يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين) [الفرقان : ٢٢] فإن ذلك يوم الاحتضار ، كما في تفسير ابن كثير وغيره.

وأما تفسيره الوزن في قوله تعالى : (والوزن يومئذ الحق) [الأعراف : ٨] أي : مقدار الأعمال ، بأي وجه كان ؛ وتفسيره خفة الموازين بحبوط الأعمال ؛ فهذا إنكار لحقيقة وزن الأعمال ، الذي دل عليه الكتاب العزيز ، وسنة رسول الله ﷺ.

وأما تفسيره قوله تعالى : (وشهد شاهد من أهلها) [يوسف : ٢٦] بقوله : أي : أظهر رأيه ، إلى آخره ، فليس خطأ محضاً ، بل هو مبني على أحد القولين في ذلك الشاهد.

قال ابن كثير : واختلف في هذا الشاهد ، هل هو صغير أو كبير ؟ على قولين لعلماء السلف ، أحدهما أنه كبير ، ذكره ابن عباس والثوري ، وابن إسحاق وغيرهم.

ثم قال : وقال العوفي عن ابن عباس ، كان صبياً في المهد ؛ وكذا روي عن أبي هريرة وهلال بن يساف ، والحسن وسعيد بن جبير ، والضحاك بن مزاحم ، أنه كان صبياً في الدار ، واختاره ابن جرير ، وروى فيه حديثاً مرفوعاً عن ابن عباس ، وقال : تكلم أربعة وهم صغار ، فذكر فيهم شاهد يوسف ، انتهى. لكن هذا القول الثاني أظهر للحديث.

وأما تفسير قوله تعالى : (ظلاً ظليلاً) [النساء : ٥٧]

وقوله : (وظل ممدود) [الواقعة : ٣٠] بالنعماء دون حقيقة الظل ، فهو ظن منه : أن الظل متوقف على الشمس ، وليس الأمر كذلك ، وليس في نفي الشمس المذكورة في قوله تعالى : (لا يرون فيها شمساً) [الإنسان : ١٣] ما ينافي الظل ؛ نعم : الظل الموقوف على الشمس منفي ، ولا يلزم من نفيه نفي ظل آخر ، غير موقوف على الشمس.

وأما قوله في آية: (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) [إبراهيم : ٢٧] أي : ببركة التوحيد في الحياة الدنيا ، لا يزيغون بإغواء المغوي ، وفي الآخرة بعد الموت من القبر إلى المحشر ، فليس فيه ما ينافي ما وردت به الأخبار ، على أن ذلك هو التثبيت عند السؤال في القبر ، لكن ينبغي الاقتصار على ما جاءت به السنة ، فإن فيه غنية وكفاية.

وأما قوله في : (إن قرآن الفجر كان مشهوداً) [الإسراء : ٧٨] أي: ينبغي أن يشهدها المؤمنون ؛ فهو خلاف ما دلت عليه سنة رسول الله ﷺ ، من أن المراد شهود ملائكة الليل والنهار ، أو شهود الله وملائكته ، إلا أن يراد بذلك تنبيه الآية وإشارتها.

وأما تفسيره قوله تعالى : (فاتخذ سبيله في البحر سربا) [الكهف : ٦١] بقوله : شقا ، كما يسبح الحوت سبحاً طبيعياً ، وقوله : (عجباً) [الكهف : ٦٣] تعجب يوشع من سرعته، وقوله تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً) [مريم : ٩٦] أي : بينهم يوم

القيامة ؛ ففي ما جاء من السنة في تفسير هذه الآيات غنية في رد ما ذكره ، والأحاديث في ذلك معروفة.

وأما تفسيره تسبيح الجبال والطير بتذكيره ذلك ، فقد رجع عنه في الطبع الثاني ، بقوله : تسبيحاً مناسباً بشأنها ؛ فلا مطعن عليه في ذلك حينئذ ؛ وأما قوله ، في قوله تعالى: (وألنّا له الحديد) [سبأ : ١٠] أي : علمناه إلانة الحديد ، فهو خلاف ظاهر الآية ، وما نقل عن أئمة التفسير ؛ وإلانة الحديد لون ، وتعليمه صنعة لبوس لون آخر.

وأما تفسيره قوله تعالى : (وفديناه بذبح عظيم) [الصافات : ١٠٧] بأن إبراهيم أمر بأن يذبح الكبش، فكان ظاهره : أنه لم يفد بكبش منزل من السماء ؛ وهذا خلاف ما ثبت عن ابن عباس وغيره ، من أنه فدي بكبش قد رعى في الجنة أربعين خريفاً.

وأما تفسيره قوله تعالى : (الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم) [الفرقان : ٣٤] بقوله : أي : يسحبون ويجرون ؛ وقوله تعالى : (فما بكت عليهم السماء والأرض) [الدخان : ٢٩] بقوله : أي : لم يترحم عليهم أحد من أهل السماء ، ولا من أهل الأرض.

وقوله تعالى : (وإذا وقع القول عليهم) [النمل : ٨٢] بقوله : أي قامت عليهم الساعة ؛ وقوله تعالى : (دابة) بقوله : أن نبعث نبيهم يشهد عليهم ، فهذا غلط ، وخلاف

قوله ﷺ عندما سئل عن ذلك « إن الذي أمشاه على رجليه قادر أن يمشيه على وجهه ».

وخلاف ما روى أبو العالية الموصلي ، عن أنس مرفوعاً : « ما من عبد إلا وله في السماء بابان ، باب يخرج منه رزقه ، وباب يدخل منه عمله وكلامه ، فإذا مات فقداه وبكيا عليه. . . » الحديث.

والأحاديث في الدابة ، وخروجها قرب قيام الساعة مشهورة، كما روى أحمد ومسلم وأهل السنن ــ واللفظ لأحمد ــ عن حذيفة بن أسيد الغفاري مرفوعاً : « لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان ، والدابة . . . » الحديث.

وروى مسلم ، من حديث عبد الله بن عمر ، وقال : حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد ، سمعته يقول : « إن أول الآيات خروجاً ، طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابة على الناس ضحى . . . » الحديث ، وغيرهما من الأحاديث.

وأما قوله في الطبع الثاني : (وإذا وقع القول عليهم) أي : إذا شارفت الساعة عليهم بظهور علاماتها (أخرجنا لهم دابة من الأرض) [النمل : ٨٢] أيّة دابة ، ومن أيّة أرض تخرج ، فهذا كان رجوعاً عن قوله الأول ، ولكن فيه شيء.

وأما تفسيره البيت المعمور بالمساجد ، فهو خلاف ما عليه المفسرون ، من أنه البيت الذي في السماء ، المذكور في

أحاديث الإسراء ، كما في الصحيحين ، من قوله ﷺ : « ثم رفع بي إلى البيت المعمور . . . » الحديث ، وغيره من الأحاديث ؛ والله الموفق.

وليعلم : أن قد تركنا التنبيه على بعض الآيات ، التي استشهد بها على بعض ما فسر به ، لوضوح عدم دلالتها على مراده ، وأنَّا لم ننبه على تلك الغلطات ، إلا نصحاً لله ولرسوله ، ولكتابه وللمسلمين ، وأنه ينبغي لاخواننا أهل الحديث الهنديين ، أن لا يكون قصدهم ذلك ، وأن يدعو هذا الرجل ويعاملوه باللين ، لعل الله أن يمن عليه بالرجوع ، فإن أصر فلا أسف عليه ، ويصير حكمه حكم أمثاله المصرين على البدع ، والتحريف لنصوص القرآن ، لا سيما نصوص صفات الله ، والله أعلم ، وصلى الله على محمد.

ثم كتبا إلى الشيخ المذكور ما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. وصلاته وسلامه على نبيه الأمين ، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

من محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ ، ومحمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ ، إلى الأخ أبي الوفاء ثناء الله الهندي ، منحنا الله وإياه مزيد الدراية ، وجنبنا وإياه طرق الزيغ والغواية ، اللهم آمين ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد : فالحامل على هذا الكتاب ، إهداء السلام إلى حضرتكم ، ثم تعريفكم أنه قد صار عندنا من المعلوم ، رجوعكم بعد أعوام ، عن الأمور التي أخذت عليكم ، وانتقدت من تفسيركم ، فشكرنا لكم ذلك ، ودعونا لكم.

لكن وقفنا أثناء هذا العام ، في ذي القعدة سنة ١٣٥٠ هجرية ، على كتاب أرسله أهل الحديث ، من أهل الهند ، إلى الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ، ذكروا فيه عدم رجوعكم، وإصراركم على تلك الأمور التي انتقدت من تفسيركم ، وبطي كتابهم نصوص العبارات التي انتقدت ، وطلبوا الإرشاد إلى الصواب في ذلك.

فلم يسعنا إلا النطق بالصواب ، وبيان الصحيح منها من السقيم ، نصحاً للخلق ، وقياماً بما تعبدنا به من بيان الحق ، وإرشاداً لكم خصوصاً ، رجاء أن ينفعكم الله بذلك ، فتتركوا ما سلكتموه من تلك المسالك ؛ وغير خاف عليكم : أن كل ذي دين وإنصاف ، أبعد شيء عن الأنفة والاستنكار ، ومن أحب الناس إليه ، من يعرفه عيبه ويوقفه عليه.

وليكن منكم على بال ، قول إمام دار الهجرة ، مالك بن أنس رحمه الله : ليس منا إلا راد ومردود عليه ، إلا صاحب هذا القبر ــ يعني رسول الله ﷺ ــ ولتحضرك قصة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، حين نهى في خطبته عن المغالاة في مهور النساء ، فقالت له امرأة : يا أمير المؤمنين ، ألم يقل الله تعالى : (وآتيتم إحداهن قنطاراً)

[النساء : ٢٠] فقال رضي الله عنه : أصابت امرأة ، وأخطأ عمر.

ولم يزل أهل العلم يبينون غلطات من غلط ويردونها، حتى إن بعضهم يرد ذلك ، ولو بعد توبة من حدث عنه ، خوفاً أن يغتر بتلك المقالة ؛ كما رد موفق الدين ابن قدامة الحنبلي ، غلطات أبي الوفاء ابن عقيل بعدما تاب منها.

والذي نوصيك به وأنفسنا تقوى الله عز وجل ، ومراقبته في السر والعلانية ، والتوبة إلى الله من تلك الورطات ، والرجوع إلى الحق بكتابة في ذلك ، حتى يشتهر ذلك عنك ؛ ويحصل الاتفاق بينك وبين أهل الحديث من الهند وغيرهم.

ونوصيك أيضاً : بالإكباب على كتب أهل السنة وتفاسيرهم ، كالأمهات الست وغيرها من كتب الحديث ، وتفسير ابن جرير وابن كثير والبغوي ، وغيرها من تفاسير السلف من أهل السنة ، الذين لا تروج عليهم إحداثات المحدثين، وتأويلات الجاهلين.

جعلنا الله وإياك هادين مهتدين، غير ضالين ولا مضلين ، سلما لأوليائه، حرباً لأعدائه ، نحب بحبه من أحبه ، ونعادي بعداوته من خالف أمره ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سئل الشيخ : علي بن الشيخ محمد ، رحمهما الله تعالى ، عن قوله : « القرآن ماحل مصدق » ما معناه؟

فأجاب : مسألتك التي سألت عنها الشيخ وهي قوله : « القرآن ماحل مصدق » بالحاء ، والماحل : نقال العلوم ،

فالقرآن ماحل مصدق ، أي : ناقل مصدق ، لأنه نقل إلينا أخبار من قبلنا.

سئل الشيخ عبد الرحمن بن حسن ، عن حديث : « خذ من القرآن ما شئت لما شئت ».

فأجاب : ليس هذا بحديث ، ولا يصح أن ينسب إلى النبي ﷺ.

سئل الشيخ : عبد الله بن الشيخ محمد ، رحمهما الله ، عن الاجتماع في رمضان لأجل قراءة القرآن ، مع التدبر ؟

فأجاب : لا بأس بذلك ؛ بل ورد الحث عليه فيما رواه مسلم في صحيحه ، عن النبي ﷺ أنه قال : « ما جلس قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم ، إلا غشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » أو كما قال ﷺ.

سئل الشيخ : سعيد بن حجي ، عن الكلام عند تلاوة القرآن؟.

فأجاب : قال النووي رحمه الله ، في كتاب « التبيان » ويتأكد الأمر باحترام القرآن ، من أمور ؛ منها : اجتناب الضحك واللغط ، والحديث في خلال القرآن إلا كلام يضطر إليه ، وليمتثل أمر الله تعالى ، قال الله تعالى : (وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) أي: اسكتوا (لعلكم ترحمون) [الأعراف : ٢٠٤] وعن ابن عمر : أنه كان إذا قرأ القرآن لا يتكلم ، حتى يفرغ مما أراد أن يقرأ.

سئل الشيخ : عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين ، عن تنكيس السور؟

فأجاب : أما صورة تنكيس السور ، فمثل أن يقرأ سورة آل عمران قبل سورة البقرة ؛ وأما تنكيس الآيات ، فمثل أن يقول في قراءة : (قل أعوذ برب الناس) (إلٰه الناس) (ملك الناس).

وسئل عن قراءة القرآن بالألحان؟

فأجاب : أما قراءة القرآن بالألحان فكرهها العلماء ، وقال أحمد ومالك : هي بدعة ؛ وقال أحمد : يحسن صوته بالقرآن.

وقال الشيخ تقي الدين : التلحين الذي يشبه الغناء مكروه ، والألحان التي كره العلماء قراءة القرآن بها ، هي التي تتضمن قصر الحرف الممدود ، ومدّ المقصور ، وتحريك الساكن ، وتسكين المتحرك ، ونحو ذلك ؛ يفعلون ذلك لموافقة نغمات الأغاني المطربة.

ولها عند أهلها أسماء كالبريطي والرومي ، والمكي والإسكندراني ؛ والمصري ، والديباجي والياقوتي ، أسماء مبتدعة ما أنزل الله بها من سلطان ، فإن حصل من ذلك تغيير نظم القرآن ، كجعل الحركات حروفاً ، فهو حرام.

وسأل رجل الإمام أحمد عن ذلك ، فقال للسائل : ما اسمك ؟ قال : محمد ؛ قال : ما يسرك أن يقال : يامو حامد.

وروى عن النبي ﷺ أنه قال : «اقرؤوا القرآن بلحن العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل الكتاب ، وأهل الفسوق ، فإنه سيجيء أقوام يرجعون بالقرآن ، كترجيع الغناء والرهبانية ، لا يجاوز حناجرهم ».

وأما تحسين الصوت بالقرآن على غير الوجه المكروه، فمندوب إليه ؛ قال الإمام أحمد : يحسن صوته بالقرآن ؛ وقال النبي ﷺ : « ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت ، يتغنى بالقرآن يجهر به » وفي حديث آخر « زينوا القرآن بأصواتكم » وفي حديث آخر « حسن الصوت زينة القرآن ».

ومما قال النبي ﷺ لأبي موسى : « لو رأيتني أستمع لقراءتك البارحة » فقال أبو موسى : لو علمت أنك تستمع لحبرته لك تحبيراً ، أي : حسنته.

سئل الشيخ : عبد الله بن عبد العزيز العنقري ، عن الذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه ، هل يدخل في الوعيد ، الوارد فيمن زاد في القرآن؟

فأجاب : لو قلنا بهذا لانسد باب تعلم القرآن ؛ وهذا من خرافات الجهال ؛ بل قد ثبت في الحديث المتفق على صحته ، عن النبي ﷺ قال : « من قرأ القرآن وهو ماهر فيه فهو مع السفرة الكرام البررة ، ومن قرأ وهو يتتعتع فيه ، وهو عليه شاق » وفي رواية « شديد ، فله أجران ».

والزيادة في القرآن الموجبة للعنة، هي التي يتعمدها

الإنسان ؛ وأما الحديث المسؤول عنه : من قرأ القرآن برأيه ، فلا نعلمه حديثاً ؛ والذي يقرأ برأيه ، هو الذي يحدث قرآناً من عنده ؛ ولفظ الحديث الصحيح : « من قال في القرآن برأيه . . . » الحديث.

سئل الشيخ : عبد اللطيف بن عبد الرحمن ، عن قراءة الفاتحة كلما أراد القراءة؟

فأجاب : وأما الابتداء بفاتحة الكتاب ، كلما أراد تلاوة القرآن ، فلا أرى الإنكار على من فعل ذلك ، لما ثبت في الحديث الصحيح ، من قصة الأنصاري ، الذي كان يقرأ سورة (قل هو الله أحد) في كل ركعة يكررها إذا أراد القراءة بغيرها ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال : « سلوه لم فعل ذلك ؟ » فقال إني أحبها ، لأن فيها صفة الرحمن ، فقال النبي ﷺ « أخبروه أن الله يحبه ».

فمن قرأ فاتحة الكتاب أو غيرها ، بقصد يضاهي هذا ويشابهه ، فلا حرج عليه ؛ وأما إن قرأها قبل كل قراءة ، معتقداً أن الله أمر بذلك ، أو أن الرسول ﷺ سنّه فهذا يعرف بالسنة ويخبر بها ، وأنها إنما ابتدأ بها القراءة في الصلاة ، لا في سائر أحوال التلاوة.

قال الشيخ : محمد بن عبد الوهاب ، رحمه الله تعالى : مما ذكر في الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ، فأما الشيطان الإنسي فالمصانعة تدفع شره ، وأما الشيطان الجني ، فلا يدفعه غير الاستعاذة بالذي خلقه.

وجمع الله بينهما في ثلاث آيات ، قوله تعالى : (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين، وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم) [الأعراف : ٢٠٠].

الثانية : في سورة (قد أفلح المؤمنون) في قوله تعالى : (ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون ، وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين ، وأعوذ بك رب أن يحضرون) [المؤمنون : ٩٦ ــ ٩٨].

الثالثة : في حم السجدة ، قوله تعالى : (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ، وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ، وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم) ، [فصلت : ٣٤ ــ ٣٦].

قال الشيخ : عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ، رحمهم الله في : (بسم الله الرحمن الرحيم) في أربعة مواضع ، تدل على وجوب توحيد الله وعبادته ، وحده لا شريك له.

الأول : في متعلق الباء إذا قدر متأخراً ، فإنه يفيد الحصر والاختصاص ، وتقديره : (بسم الله) أؤلف لا بسم غيره ، لأن المشركين يستعينون بأسماء آلهتهم ، كالمسيح ومريم ، واللات والعزى ، ونحو ذلك ، والموحد يخص الله سبحانه ويفرده باستعانته ، كما يخصه ويفرده بركوعه

وسجوده ، وغير ذلك من عباداته.

والموضع الثاني في اسمه (الله) فإنه دال على أنه سبحانه المستحق لأن يعبد ، وحده لا شريك له ، بما دل عليه من المعنى الموضوع له ، وهو علميته على ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين ، كما فسره به حبر الأمة ابن عباس ؛ وكلام غيره يدل على ذلك أيضاً.

والموضع الثالث : في صفته تعالى بـ(ـالرحمن) فإنه صفة ذات ، دلت على أنه تعالى اتصف بغاية الرحمة ومنتهاها ، ومن هذا صفته وهذه رحمته ، فقصد غيره وعبادة سواه ورجاؤه ، من أضل الضلال وأبطل الباطل ، وأسفه السفه . وهكذا الاستدلال بجميع صفات الكمال ، كالعلم والقدرة ، وغير ذلك.

الموضع الرابع : في اسمه (الرحيم) فإن معناه : الذي أوصل ويوصل إلى عباده غاية الرحمة ومنتهاها ، وكل ما في الموجودات من أنواع النعيم ، والهداية والخيرات ، فمن رحمته وفضله وإحسانه ؛ فمن هذا فضله بعبيده ، وهذه رحمته لهم ، هو الذي يستحق ويجب أن يعبد ويقصد ، ويرجى ويناب إليه ؛ والعدول إلى غيره ضلال بعيد ، وجهل عظيم ، وشرك وخيم (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) [الأنعام : ١].

ومن تأمل ما في الكتاب والسنة ، من صفات الكمال ، ونعوت الجلال ، فتح له باب عظيم في معرفة الله وحقه ،

ووجوب توحيده ، تعالى وتقدس عن أن يكون له شريك.

سورة الفاتحة

قال شيخ الإسلام : محمد بن عبد الوهاب ، رحمه الله ورضي عنه بمنه وكرمه:

اعلم أرشدك الله لطاعته ، وأحاطك بحياطته ، وتولاك في الدنيا والآخرة : أن مقصود الصلاة وروحها ولبها ، هو إقبال القلب على الله تعالى فيها ، فإذا صليت بلا قلب فهي كالجسد الذي لا روح فيه.

ويدل على هذا قوله تعالى : (فويل للمصلين ، الذين هم عن صلاتهم ساهون) ففسر السهو بالسهو عن وقتها ــ أي إضاعته ــ والسهو عن ما يجب فيها ، والسهو عن حضور القلب.

ويدل على ذلك الحديث الذي في صحيح مسلم ، أن رسول الله ﷺ قال : « تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني شيطان ، قام فنقر أربعاً ، لا يذكر الله فيها إلا قليلاً ».

فوصفه بإضاعة الوقت ، بقوله : « يرقب الشمس » وبإضاعة الأركان بذكره النقر ، وبإضاعة حضور القلب بقوله : « لا يذكر الله فيها إلا قليلاً ».

إذا فهمت ذلك ، فافهم نوعاً واحداً من الصلاة ، وهو قراءة الفاتحة ، لعل الله أن يجعل صلاتك في الصلوات المقبولة المضاعفة ، المكفرة للذنوب .

ومن أحسن ما يفتح لك الباب في فهم الفاتحة ، حديث أبي هريرة الذي في صحيح مسلم ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يقول الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، ولعبدي ما سأل .

فإذا قال العبد : (الحمد لله رب العالمين) قال الله : حمدني عبدي ، فإذا قال : (الرحمن الرحيم) قال الله : أثنى علي عبدي ، فإذا قال : (مالك يوم الدين) قال الله : مجدني عبدي ، فإذا قال : (إياك نعبد وإياك نستعين) قال الله : هذا بيني وبين عبدي ، ولعبدي ما سأل ، فإذا قال : (اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال الله : هذا لعبدي ، ولعبدي ما سأل » انتهى الحديث .

فإذا تأمل العبد هذا ، وعلم أنها نصفان : نصف لله ، وهو أولها إلى قوله : (إياك نعبد) ونصف للعبد دعاء يدعو به لنفسه ؛ وتأمل أن الذي علمه هذا هو الله تعالى ، وأمره أن يدعو به ، ويكرره في كل ركعة ، وأنه سبحانه من فضله وكرمه ، ضمن إجابة هذا الدعاء ، إذا دعاه بإخلاص وحضور قلب ، تبين له ما أضاع أكثر الناس .

قد هيئوك لأمر لو فطنت له ‏ فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

وها أنا أذكر لك : بعض معاني هذه السورة العظيمة ، لعلك تصلي بحضور قلب ، ويعلم قلبك ما نطق به لسانك ، لأن ما نطق به اللسان ، ولم يعقد عليه القلب ، ليس بعمل صالح ، كما قال تعالى : ﴿ يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ﴾ [الفتح : ١١] وأبدأ بمعنى الاستعاذة ، ثم البسملة ، على طريق الاختصار والإيجاز.

فمعنى : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » ألوذ بالله وأعتصم بالله ، وأستجير بجنابه من شر هذا العدو ، أن يضرني في ديني أو دنياي ، أو يصدني عن فعل ما أمرت به ، أو يحثني على فعل ما نهيت عنه.

لأنه أحرص ما يكون على العبد ، إذا أراد عمل الخير ، من صلاة أو قراءة أو غير ذلك ، وذلك أنه لا حيلة لك في دفعه إلا بالاستعاذة بالله ، لقوله تعالى : ﴿ إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ﴾ [الأعراف : ٢٧] فإذا طلبت من الله أن يعيذك منه ، واعتصمت به ، كان هذا سبباً في حضور القلب ، فاعرف معنى هذه الكلمة ، ولا تقلها باللسان فقط ، كما عليه أكثر الناس.

وأما البسملة : فمعناها أدخل في هذا الأمر من قراءة أو دعاء أو غير ذلك (بسم الله) لا بحولي ولا بقوتي ، بل أفعل هذا الأمر مستعيناً بالله ، متبركاً باسمه تبارك وتعالى ، هذا في كل أمر تسمى في أوله ، من أمر الدين أو أمر الدنيا.

فإذا أحضرت في نفسك : أن دخولك في القراءة بالله

مستعيناً به ، متبرئاً من الحول والقوة ، كان هذا أكبر الأسباب في حضور القلب ، وطرد الموانع من كل خير.

(الرحمن الرحيم) اسمان مشتقان من الرحمة ، أحدهما أبلغ من الآخر ، مثل العلام والعليم ؛ قال ابن عباس : هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر ، أي : أكثر من الآخر رحمة.

وأما الفاتحة، فهي سبع آيات : ثلاث ونصف لله ، وثلاث ونصف للعبد ؛ فأولها : (الحمد لله رب العالمين) فاعلم : أن الحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري ، فأخرج بقوله الثناء باللسان ، الثناء بالفعل الذي يسمى لسان الحال ، فذلك من نوع الشكر ، وقوله : على الجميل الاختياري ، أي : الذي يفعله الإنسان بإرادته ، وأما الجميل الذي لا صنع له فيه ، مثل الجمال ونحوه ، فالثناء به يسمى مدحاً لا حمداً.

والفرق بين الحمد والشكر : أن الحمد يتضمن المدح ، والثناء على المحمود بذكر محاسنه ، سواءاً كان إحساناً إلى الحامد أو لم يكن ، والشكر لا يكون إلا على إحسان المشكور ، فمن هذا الوجه الحمد أعم من الشكر ، لأنه يكون على المحاسن والإحسان ؛ فإن الله يحمد على ما له من الأسماء الحسنى ؛ وما خلقه في الآخرة والأولى.

ولهذا قال : (الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً) الآية [الإسراء : ١١١] وقال: (الحمد لله الذي خلق السمٰوات

والأرض) [الأنعام : ١] إلى غير ذلك من الآيات.

وأما الشكر: فإنه لا يكون إلا على الانعام ؛ فهو أخص من الحمد من هذا الوجه ؛ لكنه يكون بالقلب واليد واللسان ، ولهذا قال تعالى : (اعملوا آل داود شكراً) [سبأ : ١٣] والحمد إنما يكون بالقلب واللسان ، فمن هذا الوجه الشكر أعم من جهة أنواعه ، والحمد أعم من جهة أسبابه.

والألف واللام في قوله : (الحمد) للاستغراق ، أي : جميع أنواع الحمد لله لا لغيره ، فأما الذي لا صنع للخلق فيه ، مثل خلق الإنسان ، وخلق السمع والبصر ، والسماء والأرض ، والأرزاق ، وغير ذلك فواضح.

وأما ما يحمد عليه المخلوق ، مثل ما يثنى به على الصالحين والأنبياء والمرسلين ، وعلى من فعل معروفاً ، خصوصاً إن أسداه إليك ، فهذا كله لله أيضاً ، بمعنى أنه خلق ذلك الفاعل ، وأعطاه ما فعل به ذلك ، وحببه إليه وقواه عليه ، وغير ذلك من إفضال الله الذي لو يختل بعضها ، لم يحمد ذلك المحمود ، فصار الحمد كله لله بهذا الاعتبار.

وأما قوله : (لله رب العالمين) فالله علم على ربنا تبارك وتعالى ، ومعناه : الإله أي : المعبود ، لقوله : (وهو الله في السموات وفي الأرض) [الأنعام : ٣] أي : المعبود في السماوات ، والمعبود في الأرض (إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً) الآيتين [مريم : ٩٣ ــ ٩٥].

وأما الرب ، فمعناه : المالك المتصرف ، وأما

(العالمين) فهو اسم لكل ما سوى الله تبارك وتعالى ، فكل ما سواه من ملك ونبي ، وانسي وجني وغير ذلك ، مربوب مقهور يتصرف فيه ؛ فقير محتاج ، كلهم صامدون إلى واحد لا شريك له في ذلك ، وهو الغني الصمد.

وذكر بعد ذلك : (مالك يوم الدين) وفي قراءة أخرى (مَلك يوم الدين) فذكر في أول هذه السورة ، التي هي أول المصَحف ، الألوهية والربوبية والملك ؛ كما ذكره في آخر سورة في المصحف (قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس ، إلٰه الناس).

فهذه ثلاثة أوصاف لربنا تبارك وتعالى ، ذكرها مجموعة في موضع واحد في أول القرآن ؛ ثم ذكرها مجموعة في موضع واحد ، في آخر ما يطرق سمعك من القرآن ، فينبغي لمن نصح نفسه أن يعتني بهذا الموضع ، ويبذل جهده في البحث عنه.

ويعلم أن العليم الخبير ، لم يجمع بينهما في أول القرآن ، ثم في آخره إلا لما يعلم من شدة حاجة العباد إلى معرفتها ، ومعرفة الفرق بين هذه الصفات ؛ فكل صفة لها معنى غير معنى الصفة الأخرى ، كما يقال : محمد رسول الله ، وخاتم النبيين ، وسيد ولد آدم ، فكل وصف له معنى غير ذلك الوصف الآخر.

إذا عرفت : أن معنى « الله » هو الإلٰه ، وعرفت أن الإلٰه هو المعبود ؛ ثم دعوت الله ، أو ذبحت له ، أو نذرت له ،

فقد عرفت أنه الله ، فإن دعوت مخلوقاً طيباً أو خبيثاً ، أو ذبحت له أو نذرت له ، فقد زعمت أنه هو الله .

فمن عرف أنه قد جعل شمسان ، أو تاجاً برهة من عمره هو الله ، عرف ما عرفت بنو إسرائيل ، لما عبدوا العجل ، فلما تبين لهم ارتاعوا ، وقالوا ما ذكر الله عنهم : (ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين) [الأعراف : ١٤٩] .

وأما « الرب » فمعناه : المالك المتصرف ؛ فالله تعالى مالك كل شيء ، وهو المتصرف فيه ، وهذا حق ، ولكن أقر به عباد الأصنام ، الذين قاتلهم رسول الله ﷺ ، كما ذكر الله عنهم في القرآن في غير موضع ، كقوله تعالى : (قل من يرزقكم من السماء والأرض) إلى قوله : (فقل أفلا تتقون) [يونس : ٣١] .

فمن دعا الله في تفريج كربته ، وقضاء حاجته ، ثم دعا مخلوقاً في ذلك ، خصوصاً إن اقترن بدعائه نسبة نفسه إلى عبوديته ، مثل قوله في دعائه: فلان عبدك ؛ أو قول عبد علي ، أو عبد النبي أو الزبير ، فقد أقر له بالربوبية .

وفي دعائه عليا أو الزبير ، بدعائه الله تبارك وتعالى ، واقراره له بالعبودية ، ليأتي له بخير أو ليصرف عنه شراً مع تسمية نفسه عبداً له ، قد أقر له بالربوبية ، ولم يقر لله بأنه رب العالمين كلهم ، بل جحد بعض ربوبيته .

فرحم الله عبداً نصح نفسه ، وتفطن لهذه المهمات ،

وسأل عن كلام أهل العلم ، وهم أهل الصراط المستقيم ، هل فسروا السورة بهذا أم لا؟

وأما « الملك » فيأتي الكلام عليه ؛ وذلك أن قوله : (مالك يوم الدين) وفي القراءة الأخرى (مَلك يوم الدين) فمعناه عند جميع المفسرين كلهم ، فسره الله فَيَ قوله : (وما أدراك ما يوم الدين ، ثم ما أدراك ما يوم الدين ، يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله) [الانفطار : ١٧ ــ ١٩].

فمن عرف تفسير هذه الآية ، وعرف تخصيص الملك بذلك اليوم ، مع أنه سبحانه مالك كل شيء ذلك اليوم وغيره ، عرف أن التخصيص لهذه المسألة الكبيرة العظيمة ، التي بسبب معرفتها دخل الجنة من دخلها ، وبسبب الجهل بها دخل النار من دخلها.

فيا لها من مسألة لو رحل الرجل فيها أكثر من عشرين سنة لم يوفها حقها ، فأين هذا المعنى والإيمان بما صرح به القرآن ، مع قوله ﷺ : « يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئاً » من قول صاحب البردة:

ولن يضيق رسول الله جاهك بي إذا الكريم تحلى باسم منتقم
فإن لي ذمة منه بتسميتي محمداً وهو أوفى الخلق بالذمم
إن لم تكن في معادي آخذا بيدي فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم

فليتأمل : من نصح نفسه هذه الأبيات ومعناها ، ومن فتن بها من العباد ، وممن يدعي أنه من العلماء ، واختاروا

تلاوتها على تلاوة القرآن ؛ هل يجتمع في قلب عبد التصديق بهذه الأبيات ؟ والتصديق بقوله : (يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله) وقوله « يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئاً »؟

لا والله ، لا والله ؛ لا والله إلا كما يجتمع في قلبه : أن موسى صادق ، وأن فرعون صادق ، وأن محمداً صادق على الحق ؛ وأن أبا جهل صادق على الحق.

لا والله ما استويا ولن يتلاقيا حتى تشيب مفارق الغربان

فمن عرف هذه المسألة وعرف البردة ، ومن فتن بها عرف غربة الإسلام ، وعرف أن العداوة واستحلال دمائنا وأموالنا ونسائنا ، ليس عند التكفير والقتال ، بل هم الذين بدؤونا بالتكفير والقتال.

بل عند قوله : (فلا تدعوا مع الله أحدا) [الجن : ١٨] وعند قوله : (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) [الإسراء : ٥٧] وقوله : (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء) [الرعد : ١٤].

فهذا بعض المعاني في قوله : (مالك يوم الدين) بإجماع المفسرين كلهم ، وقد فسرها الله سبحانه في سورة (إذا السماء انفطرت) كما قدمت لك ؛ واعلم أرشدك الله :

أن الحق لا يتبين إلا بالباطل ، كما قيل[1] :

.... وبضـدهـا تتبيـن الأشيـاء

فتأمل ما ذكرت لك : ساعة بعد ساعة ، ويوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر ، وسنة بعد سنة ، لعلك أن تعرف ملة أبيك إبراهيم ودين نبيك فتحشر معهما ؛ ولا تصد عن الحوض يوم الدين ، كما يصد عنه من صد عن طريقهما .

ولعلك أن تمر على الصراط يوم القيامة ، ولا تزل عنه كما زل عن صراطهما المستقيم في الدنيا من زل ، فعليك بإدامة دعاء الفاتحة ، مع حضور قلب ، وخوف وتضرع .

وأما قوله : (إياك نعبد وإياك نستعين) فالعبادة : كمال المحبة ، وكمال الخضوع والخوف والذل ؛ وقدم المفعول وهو إياك ، وكرر للاهتمام والحصر ، أي : لا نعبد إلا إياك ، ولا نتوكل إلا عليك ، وهذا هو كمال الطاعة ؛ والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين .

فالأول : التبرؤ من الشرك ، والثاني التبرؤ من الحول والقوة ، فقوله : (إياك نعبد) أي : إياك نوحد ؛ ومعناه : أنك تعاهد ربك ، أن لا تشرك به في عبادته أحداً ، لا ملكاً ولا نبياً ، ولا غيرهما ، كما قال للصحابة : (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) [آل عمران : ٨٠] .

---

(١) أي : في ديوان المتنبي .

فتأمل هذه الآية ، واعرف ما ذكرت لك في الربوبية ، أنها التي نسبت إلى « تاج » و « محمد بن شمسان » فإذا كان الصحابة لو يفعلونها مع الرسل ، كفروا بعد إسلامهم ، فكيف بمن فعلها في « تاج » وأمثاله ؟!

وقوله : (وإياك نستعين) هذا فيه أمران ، أحدهما : سؤال الإعانة ، وهو التوكل ، والتبري من الحول والقوة ؛ وأيضاً : طلب الإعانة من الله كما مر أنها من نصف العبد.

وأما قوله : (اهدنا الصراط المستقيم) فهذا هو الدعاء الصريح ، الذي هو حظ العبد من الله ، وهو التضرع إليه والإلحاح عليه ، أن يرزقه هذا الطلب العظيم ، الذي لم يعط أحد في الدنيا والآخرة أفضل منه ، كما من الله على رسوله ﷺ بعد الفتح ، بقوله : (ويهديك صراطاً مستقيماً) [الفتح : ٢] والهداية هاهنا التوفيق والإرشاد.

وليتأمل العبد ضرورته إلى هذه المسألة ، فإن الهداية إلى ذلك تتضمن العلم ، والعمل الصالح ، على وجه الاستقامة والكمال ، والثبات على ذلك إلى أن يلقى الله.

والصراط : الطريق الواضح ؛ والمستقيم : الذي لا عوج فيه ؛ والمراد بذلك الدين الذي أنزله الله على رسوله ﷺ ، وهو (صراط الذين أنعمت عليهم) وهم رسول الله ﷺ وأصحابه ، وأنت دائماً في كل ركعة تسأل الله أن يهديك إلى طريقهم.

وعليك من الفرائض : أن تصدق الله أنه هو المستقيم ،

وكل ما خالفه من طريق أو علم أو عبادة ، فليس بمستقيم ، بل معوج ، وهذه أول الواجبات من هذه الآية ، وهو اعتقاد ذلك بالقلب.

وليحذر المؤمن من خدع الشيطان ، وهو اعتقاد ذلك مجملاً ، وتركه مفصلاً ؛ فإن أكفر الناس من المرتدين يعتقدون : أن رسول الله ﷺ على الحق ، وأن ما خالفه باطل ؛ فإذا جاء بما لا تهوى أنفسهم ، فكما قال تعالى : (فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون) [المائدة : ٧٠].

وأما قوله : (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فالمغضوب عليهم هم العلماء ، الذين لم يعملوا بعلمهم ؛ والضالون العاملون بلا علم ؛ فالأول صفة اليهود ، والثاني صفة النصارى.

وكثير من الناس إذا رأى في التفسير : أن اليهود مغضوب عليهم ، وأن النصارى ضالون ، ظن الجاهل أن ذلك مخصوص بهم ، وهو يقر أن ربه فارض عليه أن يدعو بهذا الدعاء ، ويتعوذ من طريق أهل هذه الصفات.

فيا سبحان الله ! كيف يعلمه الله ويختار له ، ويفرض عليه أن يدعو به دائماً ، مع أنه لا حذر عليه منه ، ولا يتصور أنه يفعله ؟ ! هذا من ظن السوء بالله ؛ والله أعلم هذا آخر الفاتحة.

وأما « آمين » فليست من الفاتحة ، ولكنها تأمين على الدعاء ، معناها : اللهم استجب ؛ فالواجب تعليم الجاهل ،

لئلا يظن أنها من كلام الله ؛ والله أعلم.

وهذه مسائل مستنبطة ، من سورة الفاتحة ؛ استنبطها شيخ الإسلام : محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى.

الأولى : (إياك نعبد وإياك نستعين) فيها التوحيد ؛ الثانية : (اهدنا الصراط المستقيم) فيها المتابعة ؛ الثالثة : أركان الدين الحب والرجاء والخوف ؛ فالحب في الأولى ، والرجا في الثانية ، والخوف في الثالثة.

الرابعة : هلاك الأكثر في الجهل بالآية الأولى ، أعني : استغراق الحمد ، واستغراق ربوبية العالمين ؛ الخامسة : أول المنعَم عليهم ، وأول المغضوب عليهم ، والضالين ؛ السادسة : ظهور الكرم والحمد في ذكر المنعم عليهم ؛ السابعة : ظهور القدرة والمجد في ذكر المغضوب عليهم والضالين.

الثامنة : دعاء الفاتحة ، مع قوله : لا يستجاب الدعاء من قلب غافل ؛ التاسعة : قوله (صراط الذين أنعمت عليهم) فيه حجة الإجماع ؛ العاشرة : ما في الجملة من هلاك الإنسان إذا وكل إلى نفسه ؛ الحادية عشر : ما فيها من النص على التوكل.

الثانية عشر : ما فيها من التنبيه على بطلان الشرك ؛ الثالثة عشر : التنبيه على بطلان البدع ؛ الرابعة عشر : آيات الفاتحة ، كل آية منها ، لو يعلمها الإنسان صار فقيهاً ، وكل آية أفرد معناها بالتصانيف ، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وله أيضاً ، رحمه الله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين) وتضمنت ثلاث الآيات ، ثلاث مسائل .

الآية الأولى : فيها المحبة ، لأن الله منعم ، والمنعم يحب على قدر إنعامه ؛ والمحبة تنقسم إلى أربعة أنواع : محبة شركية ، وهي محبة الذين قال الله فيهم : (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله) إلى قوله : (وما هم بخارجين من النار) [البقرة : ١٦٥ ــ ١٦٧] .

المحبة الثانية : حب الباطل وأهله ، وبغض الحق وأهله ؛ وهذه صفة المنافقين ؛ والمحبة الثالثة : طبيعية ، وهي محبة المال والولد ، فإذا لم تشغل عن طاعة الله ، ولم تعن على محارم الله ، فهي مباحة .

والمحبة الرابعة : حب أهل التوحيد ، وبغض أهل الشرك ، وهي أوثق عرى الإيمان ، وأعظم ما يعبد بها الإنسان ربه .

الآية الثانية : فيها الرجاء ؛ والآية الثالثة فيها الخوف ؛ (إياك نعبد) أي : أعبدك يا رب بما مضى بهذه الثلاث ، بمحبتك ورجائك وخوفك ؛ هذه الثلاث أركان العبادة ، وصرفها لغير الله شرك .

وفي هذه الثلاث : الرد على من تعلق بواحدة منها ، كمن تعلق بالمحبة وحدها ، أو تعلق بالرجاء وحده ، أو تعلق بالخوف وحده ، فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك.

وفيها من الفوائد : الرد على ثلاث الطوائف ، التي كل طائفة تعلق بواحدة منها ، كمن عبد الله بالمحبة وحدها ، وكذلك من عبد الله بالرجاء وحده ، كالمرجئة ، وكذلك من عبد الله بالخوف وحده ، كالخوارج.

وأما (إياك نعبد وإياك نستعين) ففيها توحيد الألوهية ، وتوحيد الربوبية (إياك نعبد) فيها توحيد الألوهية (وإياك نستعين) فيها توحيد الربوبية (اهدنا الصراط المستقيم) فيها الرد على المبتدعين.

وأما الآيتان الأخيرتان ، ففيها من الفوائد : ذكر أحوال الناس ، قسمهم الله ثلاثة أصناف : منعم عليه ، ومغضوب عليه ، وضال ؛ فالمغضوب عليهم أهل علم ليس معه عمل ؛ والضالين : أهل عبادة ليس معها علم ؛ وإن كان سبب النزول في اليهود والنصارى ، فهي لكل من اتصف بذلك ؛ والنوع الثالث : من اتصف بالعلم والعمل ، وهم المنعم عليهم.

وفيها من الفوائد : التبرؤ من الحول والقوة ، لأنه منعم عليك ؛ وكذلك فيها : معرفة الله على التمام ، ونفي النقائص عنه تبارك وتعالى ؛ وفيها : معرفة الإنسان نفسه ، ومعرفة ربه ، فإنه إذا كان رب ، فلا بد من مربوب ، وإذا كان هنا عبد ، فلا بد من معبود.

وإذا كان هنا هاد ، فلا بد من مهدي ؛ وإذا كان هنا منعم عليه ، فلا بد من منعم ؛ وإذا كان هنا مغضوب عليه ، فلا بد من غاضب ؛ وإذا كان هنا ضال ، فلا بد من مضل ؛ فهذه السورة تضمنت الألوهية ، والربوبية ، ونفي النقائص عن الله ؛ وتضمنت معرفة العبادة وأركانها ، والله أعلم.

وله أيضاً ، رحمه الله تعالى:

[1] الخوف منه ، إذا عرفت أنه لا بد أن يدين الناس بأعمالهم خيرها وشرها (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) [الزلزلة : ٧ ، ٨].

وأفادك أيضاً : أعظم الفوائد ، وهي التوحيد ، إذا عرفت أن ذلك اليوم (لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله) [الانفطار : ١٩].

وأما الكلمة الرابعة : فأولها ، وهو قوله : (إياك نعبد) معاهدة منك لربك عز وجل ، أنك لا تشرك بعبادته أحداً ، لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً ، ولا غيرهما ، وآخرها ، وهو قوله : (وإياك نستعين) سؤال منك لمولاك سبحانه : أن يعينك على أمور دينك ودنياك ، ولا يكلك إلى نفسك ، ولا إلى أحد من خلقه ، وإخبار منك أنك لا تستعين إلا به تبارك وتعالى.

---

(١) بياض بالأصول ، ويفهم من السياق أنه من أول تفسير سورة الفاتحة ، وأنه في المعنى قريباً مما تقدم.

وفي الآية الخامسة ، والسادسة ، والسابعة ، وهي قوله : (اهدنا الصراط المستقيم) إلى آخرها ، تسأله تعالى أن يهديك إلى طريق الجنة ، الذي لا اعوجاج فيه ، الذي نصبه طريقاً إليها ، لا طريق لها إلا هو ، وهو التوحيد والبراءة من الشرك وتوابعه ، وذلك مع أداء الفرائض ، وترك المحارم.

والسادسة ، وهي قوله : (صراط الذين أنعمت عليهم) تبين أن الطريق الذي طلبت من مولاك أن يهديك إليه ، هو طريق النبي ﷺ وأصحابه ، الجامع لمعرفة الحق والعمل به ، ثم تبين ذلك وتوضح بالآية السابعة (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فالمغضوب عليهم ، الذين وهبهم الله الفهم ، فعرفوا الحق من الباطل ، لكن لم يعملوا ، والضالون هم الذين عملوا وطلبوا الطريق لكن بجهل.

فإذا سلم العبد من آفة الجهل ، وصار من أهل المعرفة ؛ ثم سلم من آفة الفسق وعمل بما أمره الله به ، صار من الذين أنعم الله عليهم ، من أهل الصراط المستقيم ، وهذا الدعاء جامع لخيري الدنيا والآخرة ؛ أما جمعه لخير الآخرة فواضح.

وأما جمعه لخير الدنيا ، فلأن الله تعالى يقول : (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) [الأعراف : ٩٦] والإيمان والتقوى هو الصراط المستقيم ، فقد أخبر أن ذلك سبب لفتح بركات السماء والأرض ، هذا في الرزق.

وأما في النصر ، فقد قال تعالى : (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) [المنافقون : ٨] فأخبر الله أن العزة تحصل بالإيمان وهو الصراط المستقيم ، فإذا حصل العز والنصر ، وحصل فتح بركات السماء والأرض ، فهذا خير الدنيا ، والله أعلم.

وقال الشيخ : عبد الرحمن بن حسن ، رحمه الله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين.

معنى : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ؛ أي : أستجير بجناب الله من الشيطان أن يضرني في ديني أو دنياي ؛ أو يصدني عن فعل ما أمرت به أو يحثنى على فعل ما نهيت عنه ، والاستعاذة هي الالتجاء إلى الله والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر ، والعياذ يكون لدفع الشر ، واللياذ لطلب الخير.

و « الشيطان » في لغة العرب ، مشتق من شطن إذا بعد ، فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر وبعيد بفسقه عن كل خير و « الرجيم » فعيل بمعنى مفعول ، أي : بعد عن الخير كله.

(بسم الله الرحمن الرحيم) فالمشروع ذكر اسم الله تبركاً وتيمناً ، واستعانة على الاتمام والتقبل.

(الله) علم على الرب تبارك وتعالى ؛ ويقال : إنه

الاسم الأعظم ، لأنه يوصف بجميع الصفات.

قال العلامة ابن القيم ـ جواباً لقول من قال (الله) غير مشتق ـ إن أريد بالاشتقاق أنه مشتق من أصل آخر ، فهو باطل ؛ وإنما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى ، وهي الإلٰهية ، كسائر أسمائه الحسنى ، كالعليم والقدير ، فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها ، فما كان جوابكم عن هذه الأسماء ، فهو جواب القائلين باشتقاق اسم الله.

ثم الجواب عن الجميع : أنا لا نعني أسماء الاشتقاق ، لأنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى ، ولا أنها متولدة منها تولد الفرع من أصله ، ولا محذور في اشتقاق أسماء الله تعالى بهذا المعنى.

وقال الكسائي والفراء : أصله « الإله » حذفوا الهمزة وادغموا اللام في اللام ، فصارتا في اللفظ لاماً واحدة مشددة مفخمة ، وهذا هو الذي ذكره أبو جعفر ابن جرير في تفسيره ؛ وهو قول سيبويه وأكثر أصحابه.

وذكر ابن جرير قول ابن عباس في معنى هذا الاسم ، الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين ؛ فإن قال لنا قائل : وما دل على أن الإلهية هي العبادة ، وأن الإله هو المعبود ، وأن له أصلاً في « فعل » و « يفعل » وذكر بيت رؤبة بن العجاج:

لِلّــهِ دَرُّ الغَــانِيَــاتِ المُــدَّهِ   سبَّحْنَ واسْتَرْجَعْنَ منْ تَأَلُّهِى

يعنى : من تَعَبد وطلَب الله بعمل ؛ ولا شك أن التأله

التفعُّل ، من أَلَهَ يَأْلهُ ، وقد جاء منه مصدر يدل على أن العرب ، قد نطقت منه بفَعَل يَفْعَلُ بغير زيادة ، وذلك ما حدثنا به سفيان عن وكيع ، ساق السند إلى ابن عباس ، أنه قرأ : (ويذرك وإلٰهَتَكَ) [الأعراف : ١٢٧] قال : عبادتك ، ويقول : إنه كان يُعْبَدُ ولا يَعْبُد.

(الرحمٰن الرحيم) اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة ، ورحمان أشد مبالغة من رحيم ، وفي الأثر عن عيسى ، أنه قال : الرحمٰن رحمٰن الدنيا ، والرحيم رحيم الآخرة.

وقال ابن القيم : الرحمن دالّ على الصفة القائمة به ؛ والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم ؛ فإذا أردت فهم هذا ، فتأمل قوله : (وكان بالمؤمنين رحيما) [الأحزاب : ٤٣] (إنه بهم رَءُوف رحيم) [التوبة : ١١٧] ولم يجيء رحمٰن بهم ، فالرحمن اسمه ووصفه ، فمن حيث هو صفة جرى تابعاً لاسم الله ، ومن حيث هو اسم ، ورد في القرآن غير تابع ، بل ورود الاسم العلم ، كقوله : (الرحمٰن على العرش استوى) [طه : ٥] انتهى ملخصاً.

(الحمد لله) ومعناه : الثناء بالكلام على الجميل ، على وجه التعظيم ، فمورده اللسان والقلب ، والشكر يكون باللسان والجنان والأركان ، فهو أعم من الحمد متعلقاً وأخص سبباً ، لأنه يكون في مقابلة النعمة وغيرها ، فبينهما عموم وخصوص

وجهي ، يجتمعان في مادة ؛ وينفرد كل واحد عن الآخر في مادة .

والألف واللام في الحمد ، لاستغراق أجناس الحمد وأفراده لله تعالى ، فلا يصلح منه شيء لغير الله ، كما قال تعالى : (وما بكم من نعمة فمن الله) [النحل : ٥٣] .

والرب هو المالك المتصرف ، ويطلق على السيد وعلى المعبود ، كما قال تعالى : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) [التوبة : ٣١] وكل ذلك صحيح .

(العالمين) جمع عالم ، وهو : كل موجود سوى الله تعالى ؛ والعوالم : أصناف المخلوقات في السماوات ، وفي البر والبحر ، وكل قرن وجيل يسمى عالماً أيضاً ، والعالم مشتق من العلامة ، لأنه علم دال على وجود خالقه وصانعه ، ووحدانيته ، قال ابن المعتز :

فيا عجبا كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد

(الرحمن الرحيم) تقدم الكلام عليه في البسملة .

(مالك يوم الدين) قرأ بعض القراء : (مَلك) وقرأ آخرون : (مَالك) وكلاهما صحيح متواتر فيَ السبع ، وتخصيص الملَكَ بيوم الدين ، لا ينفيه عما عداه ، لأنه قد تقدم الإخبار بأنه رب العالمين ؛ وذلك عام في الدنيا والآخرة .

وإنما أضيف إلى يوم الدين ، لأنه لا يدعي أحد هناك شيئاً ، فلا يتكلم أحد إلا بإذنه ، كما قال تعالى : (يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمٰن) الآية [النبأ : ٣٨].

و(يوم الدين) يوم الحساب للخلائق ، وهو يوم القيامة ، يدينهم بأعمالهم ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، إلا من عفا عنه ، قاله ابن عباس وغيره من الصحابة والتابعين والسلف ؛ والملك في الحقيقة هو لله تعالى ، قال تعالى : (لتعلموا أن الله على كل شيء قدير) [الطلاق : ١٢] (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض) [المائدة : ٤٠].

(إياك نعبد وإياك نستعين) العبادة في الشرع ، عبارة عما يجمع كمال المحبة ، وكمال الخضوع والخوف ؛ قال شيخ الإسلام ، رحمه الله : العبادة أن يوافق العبد ربه فيما يحبه ويرضاه ، ويحب في الله ويبغض في الله.

قال العماد بن كثير : وقدم المفعول وهو إياك ، وكرر للاهتمام والحصر ، أي لا نعبد إلا إياك ، ولا نتوكل إلا عليك ، وهذا كمال الطاعة ؛ والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين.

وهذا كما قال بعض السلف : الفاتحة سر القرآن ، وسرها هذه الكلمة : (إياك نعبد وإياك نستعين) فالأول تبرؤ من الشرك ، والثاني تبرؤ من الحول والقوة ، وهذا في غير آية

من القرآن ، كما قال تعالى : (فاعبده وتوكل عليه) [هود : ١٢٣].

وتحول الكلام من الغَيبة إلى المواجهة بكاف الخطاب ، وهو مناسب ، لأنه لما أثنى على الله تعالى ، فكأنه قرب وحضر بين يدي الله تعالى : فلهذا قال : (إياك نعبد وإياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم) كما تقدم الثناء على المسؤول تبارك وتعالى ، ناسب أن يعقب بالسؤال ، كما قال : « فنصفها لي ، ونصفها لعبدي ، ولعبدي ما سأل ».

وهذا أكمل أحوال السائل : أن يمدح مسؤوله ، ثم يسأله حاجته ، وحاجة إخوانه المؤمنين ، بقوله : (اهدنا) لأنه أنجح وأجمع للإجابة ، ولهذا أرشد الله تعالى إليه ، لأنه الأكمل ؛ والهداية هاهنا : الإرشاد والتوفيق.

قال العلامة ابن القيم : وكذلك اشتدت حاجة العبد ، بل ، ضرورته إلى أن يسأل الله ، أن يهديه الصراط المستقيم ، فليس العبد أحوج منه إلى هذه الدعوة ، وليس شيء أنفع له منها ، فإن الصراط المستقيم يتضمن علو ما وإرادات وأعمالاً ، ومدارك ظاهرة وباطنة تجري عليه كل وقت.

فتفاصيل الصراط المستقيم قد يعلمها العبد وقد لا يعلمها ؛ وقد يكون ما لا يعلمه أكثر مما يعلمه ، وما يعلمه قد يقدر عليه وقد لا يقدر عليه ، وهو من الصراط المستقيم وإن عجز عنه.

وما يقدر عليه قد تريده نفسه ، وقد لا تريده ، كسلاً

وتهاوناً ، لقيام مانع وغير ذلك ؛ وما يريده قد يفعله ، وقد لا يفعله ، وما يفعله قد يقوم فيه بشروط الإخلاص ، وقد لا يقوم فيه.

وما يقوم فيه بشروط الإخلاص ، قد يقوم فيه بكمال المتابعة وقد لا يقوم ، وما يقوم فيه بالمتابعة قد يثبت عليه وقد يصرف قلبه عنه ، هذا كله واقع سار في الخلق فمستقل ومستكثر ، ليس في طباع الخلق الهداية إلى ذلك ، بل متى نظر إلى طباعه حيل بينه وبين ذلك كله.

فالرب تبارك وتعالى : على صراط مستقيم ، في قضائه وقدره ، ونهيه وأمره ؛ ونصب لعباده من أمره صراطاً مستقيماً ، ودعاهم جميعاً إليه حجة منه وعدلاً ، وهدى من شاء منهم إلى سلوكه نعمة منه وفضلاً ، ولم يخرج بهذا العدل ، وهذا الفضل عن صراطه المستقيم الذي هو عليه ، ثم صرف عنه في الدنيا ، وأقام عليه من أقامه في الدنيا.

فإذا كان يوم القيامة نصب لخلقه صراطاً مستقيماً يوصلهم إلى جنته ، وجعل نور المؤمنين به ، وبرسوله وما جاء به ، الذي كان في قلوبهم في الدنيا ، نوراً يسعى بين أيديهم وبأيمانهم في ظلمة الحشر ، وحفظ عليهم الإيمان حتى لقوه ؛ وأطفأ نور المنافقين أحوج ما كانوا إليه في الدنيا ، وأقام أعمال العصاة بجنبتي الصراط ، كلاليب وحسكاً تخطفهم ، كما خطفتهم في الدنيا عن الاستقامة عليه ، وجعل

قوة سيرهم وسرعتهم ، على قدر قوة سيرهم وسرعتهم إليه في الدنيا.

(صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) المنعم عليهم ، هم كل من عرف الحق واتبعه ، فهو منعم عليه ، ومن لم يعرفه فهو ضال ، ومن عرفه وآثر غيره فهو مغضوب عليه.

ولهذا كان النصارى أخص بالضلال لأنهم أمة جهل ، واليهود أخص بالغضب لأنهم أمة عناد ، ومؤمنوا هذه الأمة هم المنعم عليهم.

وفي المسند والترمذي من حديث عدي بن حاتم ، عن النبي ﷺ قال : « اليهود مغضوب عليهم ، والنصارى ضالون » وقال سفيان بن عيينة : من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى.

وأما حقيقة الصراط المستقيم ، فقال ابن القيم رحمه الله تعالى : ولنذكر في الصراط المستقيم قولاً وجيزاً ، فإن الناس قد تنوعت عباراتهم عنه ، بحسب صفاته ومتعلقاته ؛ وحقيقته شيء واحد ، وهو طريق الله الذي نصبه لعباده موصلاً إليه ولا طريق لهم إليه سواه.

بل الطرق كلها مسدودة على الخلق ، إلا طريقه الذي نصبه على ألسن رسله ، وجعله موصلاً لعباده إليه ؛ وهو : إفراده بالعبودية ، وإفراد رسوله بالطاعة ، فلا يشرك به أحداً في عبوديته ، ولا يشرك برسوله أحداً في طاعته.

فيجرد التوحيد لله ؛ ويجرد متابعة الرسول ﷺ ، وهذا مضمون شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فأي شيء فسر به الصراط المستقيم ، فهو داخل في هذين الأصلين.

ونكتة ذلك : أن تحبه بقلبك ، وترضيه بجهدك كله ؛ فلا يكون في قلبك موضع إلا معموراً بحبه ، ولا يكون لك إرادة إلا متعلقة بمرضاته.

فالأول : يحصل بتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله ؛ والثاني : يحصل بتحقيق شهادة أن محمداً رسول الله ؛ وهذا هو الهدى ودين الحق ، وهو معرفة الحق والعمل به ، وهو معرفة ما بعث الله به رسله والقيام به ، وقل ما شئت من العبارات التي هذا أحسنها وقطب رحاها ، انتهى[1].

وأما « **آمين** » فهي طابع الدعاء ومعناها : اللهم استجب ؛ وليست من الفاتحة ، والله أعلم.

وقد اشتملت هذه السورة الكريمة ، وهي سبع آيات ، على حمد الله وتمجيده ، والثناء عليه ، بذكر أسمائه الحسنى ، المستلزمة لصفاته العلى ، وعلى ذكر المعاد وهو يوم الدين.

وعلى إرشاد عباده إلى سؤاله والتضرع إليه ، والتبري من حولهم وقوتهم ، وإلى إخلاص العبادة له ، وتوحيده بالإلهية ؛ وتنزيهه أن يكون له شريك ، أو نظير أو مماثل.

---

(١) من بدائع الفوائد صفحة ٤٠ ، ٤١ /ج /٢ لابن القيم رحمه الله.

وإلى سؤالهم إياه الهداية إلى الصراط المستقيم ، وهو الدين القويم ، وتثبيتهم عليه ، حتى يفضي بهم ذلك إلى جواز الصراط الحسي يوم القيامة ، المفضي بهم إلى جنات النعيم ، في جوار النبيين والصديقين ، والشهداء والصالحين.

واشتملت على الترغيب في الأعمال الصالحة ، ليكونوا مع أهلها يوم القيامة ، والتحذير من مسالك الباطل ، لئلا يحشر مع سالكيها يوم القيامة ، وهم المغضوب عليهم ، والضالون ، والله أعلم.

سئل الشيخ : **عبد الله** بن الشيخ محمد ، عن التأمين بعد الفاتحة ؟ .

فأجاب : وأما التأمين بعد الفاتحة ، فثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا قال الإمام (ولا الضالين) فقولوا : آمين ، فإن الملائكة في السماء تقول آمين ، فمن وافق قوله قول الملائكة ، غفر له ما تقدم من ذنبه » ويسن للإمام والمأمومين أن يقولوها جهراً.

سورة البقرة

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

المستفاد من سورة البقرة.

فيه مسائل : الأولى : (ذلك الكتاب) معنى هذا الرجل ، ولا ينفي أن غيره ليس هو رجل لكنه للكمال ؛

الثانية : نفي الشك مثل القمر ليلة ثالثة ؛ الثالثة : أن الهداية بالكتاب للمتقين خاصة.

وهذا فيه كشف شبه : الأولى أن الذي لا يتبعه ليس هو من المتقين ، فهذا يبين قول الشياطين[1] القرآن لا يفسر ، وهذا الكتاب مثل المطر للأرض ؛ فالأرض الطيبة تنتفع به ، والأرض الخبيثة لا ينفعها.

وذكر في التقوى ثلاث مراتب : الأولى تجنب الشرك ؛ الثانية : اجتناب المحرمات وأداء الفرائض ؛ الثالثة : لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين ، حتى يدع ما لا بأس به ، حذراً مما به البأس ؛ قال قتادة : هم الذين نعتهم الله ، بقوله : (الذين يؤمنون بالغيب) الآية والتي بعدها [البقرة : ٣ ، ٤].

وقوله : (الذين يؤمنون بالغيب) فيه خمس عبارات ؛ فعن أبي العالية : يؤمنون بالله إلخ ؛ الثانية غيب القرآن مثل قوله : (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) [الطلاق : ٢] وكقوله : (وإن جندنا لهم الغالبون) [الصافات : ١٧٣] وهذا شيء يذكره الله تعالى ، وأسبابه متخلفة ، ويقع مثل ما ذكره الله ؛ وتعرفها بمبدإ حال النبي ﷺ وأصحابه ؛ وما وقع في هذا الزمان ؛ الثالثة : ما أتى عن الله ، وهو الوحيان[2].

(١) المراد شياطين الإنس ، طوائف ممن يدعي العلم.

(٢) الوحيان هما : الكتاب والسنة ، وقد اختلف العلماء في=

الرابعة : بغيب الإسلام احتراز عن كلام أهل الكتاب ، لا تجعله مثل شرع الرسول ، وما ذكر في الجبت والطاغوت ، فهو من باب أولى ؛ الخامسة : الإيمان بالقدر ؛ وكل هذا من الإيمان بالغيب ؛ والإيمان به واجب (ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) عامة لجميع النفقات ، لكن أعلاها الزكاة ؛ وذكر أن وزنة[1] من الزكاة ، خير من أربعين غيرها.

(والذين يؤمنون بما أنزل إليك) إلخ ، وهذا من عطف الخاص على العام ؛ وهو نوعان ؛ الأول : كونه منهم ؛ الثاني : خوف الزلق ، والزلق : أن ترد شيئاً مما أنزل على الأنبياء المتقدمين ، أو شيئاً من الذي أنزل على محمد ﷺ إذا لم يكن على هواك ، خصوصاً إذا كان لك منازع ، وبان الحق مع خصمك.

فالإيمان : أنك تصرح بالإذعان والانقياد ، وهذا واقع (وبالآخرة هم يوقنون) والإيقان بالآخرة ، يستلزم الاستعداد لها بالأعمال (أولئك) يعني المتصفين بما تقدم (على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) [البقرة : ٥] علق الهداية والفلاح ، بالاتصاف بما تقدم.

وقال رحمه الله تعالى : قال شيخ الإسلام رحمه الله

= السنة ، هل جميعها وحي أم لا؟

(١) الوزنة : عيار للوزن ، معروف في نجد ، يساوي أقة وخمساً تقريباً.

تعالى ، في تفسير آيات أشكلت ، حتى لا يوجد في طائفة من كتب التفسير ، إلا ما هو خطأ ، منها قوله تعالى : (بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته) الآية [البقرة : ٨٢] ؛ ذكر : أن المشهور ، أن السيئة الشرك ؛ وقيل : الكبيرة يموت عليها، قاله عكرمة ؛ وقال مجاهد : هي الذنوب تحيط بالقلب.

قلت الصواب : ذكر أقوال السلف ، وإن كان فيها ضعيف ، فالحجة تبين ضعفه ، فلا يعدل عن ذكر أقوالهم ، لموافقتها قول طائفة من المبتدعة ، وهم ينقلون عن بعض السلف : أن هذه الآية أخطأ فيها الكاتب ، كما قيل في غيرها.

ومن أنكر شيئاً من القرآن بعد تواتره ، استتيب فإن تاب وإلا قتل ، وأما قبل تواتره عنده فلا يستتاب ، لكن يبين له ، وكذلك الأقوال التي جاءت الأحاديث بخلافها ، فقهاً وتصوفاً واعتقاداً ، وغير ذلك.

وقول مجاهد في الآية صحيح ، كما في الحديث الصحيح « إذا أذنب العبد نكت في قلبه نكتة سوداء » إلى آخره ، والذي يغشى القلب ، يسمى : ريناً وطبعاً وختماً وقفلاً ونحو ذلك ، فهذا ما أصر عليه.

وإحاطة الخطيئة إحداقها به ، فلا يمكنه الخروج ، وهذا هو البسل بما كسبت نفسه ، أي تحبس عما فيه نجاتها في الدارين ، فإن المعاصي قيد ، وحبس لصاحبها ، عن الجولان في فضاء التوحيد ، وعن جنى ثمار الأعمال الصالحة.

ومن المنتسبين إلى السنة ، من يقول : إن صاحب الكبيرة يعذب مطلقاً ؛ والأكثرون على خلافه ، وأن الله سبحانه يزن الحسنات والسيئات ؛ وعلى هذا دل الكتاب والسنة ، وهو معنى الوزن ، لكن تفسير السيئة بالشرك هو الأظهر ، لأنه سبحانه غاير بين المكسوب والمحيط ، فلو كانا واحداً لم يغاير ، والمشرك له خطايا غير الشرك أحاطت به ، لأنه لم يتب منها.

وأيضاً ، قوله: (سيئة) نكرة ، وليس المراد جنس السيئات بالاتفاق ؛ وأيضاً : لفظ السيئة ، قد جاء في غير موضع مراداً به الشرك ، وقوله : (سيئة) أي : حالاً سيئة ؛ أو مكانة سيئة ونحو ذلك ، كما في قوله : (ربنا آتنا في الدنيا حسنة) [البقرة : ٢٠١] أي : حالاً حسنة تعم الخير كله ، وهذا اللفظ يكون صفة ، وقد ينقل من الوصفية إلى الاسمية ، ويستعمل لازماً ومتعدياً ، يقال : ساء هذا الأمر ، أي : قبح ؛ ويقال : ساءني هذا.

قال ابن عباس ، في قوله : (والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها) [يونس : ٢٧] أي عملوا الشرك ، لأنه وصفهم بهذا فقط ، ولو آمنوا لكان لهم حسنات وسيئات ، وكذا لما قال : (كسب سيئة) لم يذكر حسنة وقوله : (للذين أحسنوا الحسنى) [يونس : ٢٦] أي فعلوا الحسن ، وهو ما أمر به ، كذلك السيئة تتناول المحظور ، فيدخل فيها الشرك.

ومنها قوله تعالى : (إن الذين آمنوا والذين هادوا) الآية

[البقرة : ٦٢] يبين سبحانه وصف أهل السعادة من الأولين والآخرين ، وهو الذي يدل عليه اللفظ ، ويعرف به معناه ، من غير تناقض ، ومناسبة لما قبلها وما بعدها ، وهو المعروف عن السلف.

ويدل عليه ما ذكروه : من سبب نزولها بالأسانيد الثابتة ، عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ، قال سلمان : سألت النبي ﷺ عن أهل دين كنت معهم ، فذكر من عبادتهم ، فنزلت الآية ولم يذكر فيه أنهم من أهل النار ؛ كما روى بأسانيد ضعيفة ، وهذا هو الصحيح كما في مسلم « إلا بقايا من أهل الكتاب ».

والنبي ﷺ لم يكن يجيب بما لا علم عنده ، وقد ثبت أنه أثنى على من مات في زمن الفترة ، كزيد بن عمرو ، وغيره ، ولم يذكر ابن أبي حاتم خلافاً عن السلف ، لكن ذكر عن ابن عباس ، ثم أنزل الله (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً) الآية [آل عمران : ٨٥] ومراده : أن الله يبين أنه لا يقبل إلا الإسلام ، من الأولين والآخرين ؛ وكثير من السلف ، يريد بلفظ النسخ : رفع ما يظن أن الآية دالة عليه.

فإن من المعلوم : أن من كذّب رسولاً واحداً فهو كافر ، فلا يتناوله قوله : (من آمن بالله) الآية وظن بعض الناس أن الآية في من بعث إليهم محمد ﷺ خاصة ، فغلطوا ، ثم افترقوا على أقوال متناقضة ، اهـ.

وقال أيضاً الشيخ: محمد بن عبد الوهاب ، رحمه الله تعالى:

قوله تعالى : (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) إلى قوله : (ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) [البقرة : ١٠٢] فيه مسائل.

الأولى : كون أناس من أهل الكتاب إذا وقعت المسألة ، وأرادوا إقامة الدليل عليها ، تركوا كتاب الله كأنهم لا يعلمون ، واحتجوا بما في الكتب الباطلة ؛ الثانية : أن من العجب احتجاجهم بذلك على رسول من الرسل.

الثالثة : أن الكلام يدل على أنهم يعلمون ، لقوله : (كأنهم لا يعلمون) ، الرابعة : أن المسائل الباطلة قد تنسب إلى الأنبياء كذباً عليهم ؛ الخامسة : أن الكتب الباطلة قد تضاف إلى بعض الصديقين ؛ السادسة : أن ذلك مما تتلوا الشياطين على زمان الأنبياء ، كما وقع أشياء في زمن النبي ﷺ.

السابعة : أن الشياطين مزجت به الحق في زمن سليمان ؛ الثامنة : بيان ضلال من ضل ، ممن يدعي العلم في شأن سليمان ، ممن نسب ذلك إليه واستحسنه ؛ أو قدح في سليمان ، كما ضل أناس كثير في علي لما قتل عثمان.

التاسعة : أن من فعل السحر كفر ، ولو عرف أنه باطل ؛ العاشرة : أن الشياطين يعلمونه الناس ؛ الحادية

عشر : أن العبد لو بلغ ما بلغ في العلم والعمل ، فلا يأمن مكر الله ؛ الثانية عشر : لا ينبغي له التعرض للفتن وثوقاً بنفسه ؛ بل يسأل الله العافية.

الثالثة عشر : سعة علم الله ومغفرته ورحمته ؛ الرابعة عشر : يجعل بعض نظره إلى القضاء والقدر ؛ الخامسة عشر : أن النساء من أكبر الفتن ؛ السادسة عشر : أن طاعة الهوى جماع الشر ، كما أن مخالفته جماع الخير.

السابعة عشر : أن الشرك أكبر مما يخطر بالبال ؛ الثامنة عشر : أن التلفظ بالشرك بكلمة واحدة ، لا يشترط في كفر من تكلم بها عقيدة القلب ، ولا عدم الكراهة للشرك ؛ التاسعة عشر : أن المتكلم لا يعذر ، ولو أراد أن يقضي به غرضاً مهماً.

العشرون : أن قتل النفس أعظم من الزنا ؛ الحادية والعشرون : أن المعاصي بريد الكفر ؛ الثانية والعشرون : أن بعضها يجر إلى بعض ؛ الثالثة والعشرون : أن عقوبة المعصية قد تكون أكبر مما يظن العالم.

الرابعة والعشرون : أن قبول التوبة بلا عذاب لا يحصل لكل أحد ، بل هو فضل من الله ، الخامسة والعشرون : أن من النعم تعذيب العبد بذنبه في الدنيا ؛ السادسة والعشرون : حسن الظن بالله.

السابعة والعشرون : القاعدة التي هي خاصية العقل ، وهو ارتكاب أدنى الشرين لدفع أعلاهما ، وتفويت أدنى

الخيرين لتحصيل أعلاهما ؛ الثامنة والعشرون : أن السحر نوعان ؛ التاسعة والعشرون : أن له تأثيراً ، لقوله : (يفرقون به بين المرء وزوجه) الثلاثون : الإرشاد إلى التوكل ، بكونه لا يضر أحداً إلا بإذن الله.

الحادية والثلاثون : أن في من يدعى العلم ، من اختار كتب السحر على كتاب الله ؛ الثانية والثلاثون : أنهم يعارضون به كتاب الله ؛ الثالثة والثلاثون : أن اتباع كتاب غير كتاب الله ضلال ؛ الرابعة والثلاثون : لا تأمن الكتب ، ولا ممن ينتسب إلى العلم على دينك.

الخامسة والثلاثون : أن فساد العلماء يفسد الرعية ؛ السادسة والثلاثون : أن السحر وقع في زمن خلافة النبوة ، حتى إن عمر وغيره : أمر بقتل الساحر ولم يستتبه ، كما استتاب المرتد ؛ السابعة والثلاثون : أن الحسد سبب لرد كتاب الله.

الثامنة والثلاثون : أن الحاسد قد يبغض الناصح ، ويسعى في قتله ؛ التاسعة والثلاثون : أن الحسد يحمله على رد حظه من الله في الدنيا والآخرة ؛ الأربعون : أنه من أخلاق اليهود ؛ الحادية والأربعون : أن المحسود يرفعه الله على الحاسد ؛ الثانية والأربعون : أن بالطاعة خير الدنيا والآخرة ، وبالمعصية العكس.

الثالثة والأربعون : أن في من ينتسب إلى العلم ، من يختار الكفر على الإيمان ، مع علمه أن من اختاره لا حظ له

في الآخرة ؛ الرابعة والأربعون : أن الإنسان يجتمع فيه الضدان ، يعلم ولا يعمل ؛ الخامسة والأربعون : بيان غبنهم ، والتسجيل على فرط جهلهم في هذا الشرط.

السادسة والأربعون : أن السبب في هذا الشرك ، اشتراء شيء خسيس تافه من الدنيا ؛ السابعة والأربعون : أنهم لمحبتهم ما هم عليه من الجاهلية ؛ وغرامهم به ، نبذوا كتاب الله الذي عندهم وراء ظهورهم ، كأنهم لا يعرفونه ؛ الثامنة والأربعون : أن الذي حملهم على هذه العظائم ، أنه أتاهم أمر من الله موافق لدينهم ، لكن مخالف لعادتهم الجاهلية.

التاسعة والأربعون : الفرق بين المعجزات والكرامات ؛ وبين ما يفعله الشياطين تشبهاً بذلك وتشبيهاً ؛ الخمسون : التنبيه على قول الصحابي : أو يأتي الخير بالشر ؟ وجوابه ﷺ . الحادية والخمسون : أنه لا ينبغي للإنسان أن ينكر ما لم يحط به علمه ؛ فقد ضل بالتكذيب بهذه القصة فئام من الناس ، لظنهم أنها تخالف ما علموه من الحق ؛ وتكلم بسببها ناس في نبي الله ، سليمان بن داود عليه السلام.

وقوله تعالى : (ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير ، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من

خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير) [البقرة : ١٠٩، ١١٠].

فيه مسائل : الأولى : كون أناس ينتسبون إلى العلم والدين ، يجري منهم هذا عمداً ، جراءة على الله ، وما أكثر من ينكر هذا ؛ الثانية : التنبيه على كثرة هذا الصنف ؛ الثالثة : كون المنتسب إلى العلم يتمنى إضلال غيره إذا عجز عنه ؛ الرابعة : أن سبب هذا الأمر الغريب هو الحسد ، لا خوف مضرة ولا طلب مصلحة.

الخامسة : أن المنتسب إلى العقل والعلم قد يسعى فيما يعلم أنه مصلحة لدنياه ليزيله ، وفيما يعلم أنه مضرة لدنياه ليأتي به ؛ فإنهم يعلمون : أن زوال المفاسد ، وحصول المصالح في هذا الدين ، وكانوا يستفتحون به قبل مجيئه على من ظلمهم ؛ فلما جاءهم حملهم الحسد على ما ذكر ؛ السادسة : أن الحسد قد يكون سبباً للكفر ، كما وقع لهؤلاء ولإبليس.

السابعة : ذكر العفو الذي هو من أسباب العز وقهر الخصم ، كما ورد في الحديث ؛ الثامنة : الرفق في الأمر وفعله بالتدريج ، كما فعل عمر بن عبد العزيز ؛ التاسعة : أنه سبحانه يمهل ولا يهمل.

العاشرة : الإشعار بالنسخ قبل وقوعه ؛ الحادية عشر : تسلية المظلوم المحسود ؛ الثانية عشر : التنبيه على العلة ؛

الثالثة عشر : أن الظالم الحاسد يذله الله ، كما جرى لهؤلاء إلى يوم القيامة.

وقوله : (إن الله على كل شيء قدير) فيه : الرابعة عشر : وهي الاستدلال بالصفات على الأفعال ؛ والخامسة عشر : وهي : الاستدلال بالقدرة على ما لا يظن وقوعه ؛ والسادسة عشر : وهي : الاستدلال بها على جعل العفو سبباً لعز العافي ، وذلة المعفو عنه ، عكس ما يظن الأكثر.

وأما الاستدلال بها على ما كذب به الجهال استبعاداً ، مثل عذاب القبر وغيره ، أو مثل الصراط والميزان وغيرهما ، أو ما يجري في الدنيا من تبديل الأحوال ، من الغنى إلى الفقر وضده ؛ ومن الذل إلى العز وضده ؛ فأكثر من أن يحصر ، ولكن من أحسن ما فيها المسألة.

السابعة عشر : وهي : تنبيه أعلم الناس على أشكل المسائل ، بقوله : (إن الله على كل شيء قدير) والله سبحانه وتعالى أعلم ؛ وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

وقال : ذكر بعض ما في قوله تعالى : (قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم) إلى قوله : (يعلمون) [البقرة : ١٣٩ ــ ١٤١] من بيان الحق وإبطال الباطل.

الأولى : إذا كانت المحاجة في الله سبحانه ، من أقرب ما يكون إليه من المختلفين في مسألة التوحيد ، وبيان ذلك

بمعرفة الله تعالى فيما اجتمعنا وإياكم عليه ، ومعرفة حالنا وحالكم في المسألة .

وذلك أنا مجمعون على استوائنا وإياكم في العبودية ، بخلاف ملوك الدنيا ، فإن بعض الناس يكون أقرب إليهم من بعض بالقرابة وغيرها .

ونحن مجمعون أيضاً : أنه لا يظلم أحداً من عبيده ، بل كل نفس ﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ [البقرة : ٢٨٦] بخلاف ملوك الدنيا فإنهم يأخذون مال هذا ويعطونه هذا .

فإذا كان الأمر كذلك ، فكيف تدعون أنكم أولى بالله منا ، ونحن له مخلصون وأنتم به مشركون؟ وكيف يظن به أنه يساوي بين من قصده وحده لا شريك له، ومن قصد غيره وأعرض عنه؟

وهل يظن عاقل أو سفيه ، برجل من بني آدم ــ خصوصاً إذا كان كريماً ــ أن من قصده وضاف عنده ، يكرهه ولا يضيفه ، ويخص بالرضا والكرامة والضيافة من أعرض عنه وضاف عند غيره ، مع استواء الجميع في القرب منه والبعد ؟ هذا لا يظن في الآدمي ، فكيف يظن برب العالمين؟!

فتبين بقضية العقل : أن ما جاءت به الرسل من الإخلاص ، هو الموافق للعقل ، وما فعل المشركون هو العجاب المخالف للعقل ، فيا لها من حجة ما أعظمها وأبينها ؛ لكن لمن فهمها كما ينبغي .

وقال الشيخ رحمه الله : ذكر بعض ما في قوله تعالى : (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن) [البقرة : ١٢٤ ــ ١٤١] إلى الجزء.

ففي الآية الأولى مسائل: الأولى معرفة أنه تعالى حكيم لا يضع الأشياء إلا في مواضعها ؛ لأنه ما جعله إماماً إلا بعد ما أتم ما ابتلاه به ؛ وسئل بعضهم : أيما الابتلاء أو التمكين ؟ فقال : الابتلاء ثم التمكين.

الثانية : إذا كان يبتلي الأنبياء هل يفعلونه أم لا ؟ فكيف بغيرهم ؟ الثالثة : الثناء على إبراهيم بأنه أتم الكلمات التي ابتلاه بها ؛ وقيل : إن الله لم يبتل أحداً بهذا الدين فأتمه إلا إبراهيم ، ولهذا قال : (وإبراهيم الذي وفى) [النجم : ٣٧].

الرابعة : أنه سبحانه جازاه على ذلك بأمور ؛ منها : أنه جعله للناس إماماً ؛ ولما علم ــ عليه السلام ــ كبر هذه العطية ، سألها للذرية ، وهي الخامسة ؛ السادسة : أن الله أجابه أن هذه المرتبة لا ينالها ظالم ولو من ذرية الأنبياء.

السابعة : أن هذا يدل على أن الإمامة في الدين ، تحصل لغير الظالم ، فليست بمختصة ؛ الثامنة : معرفة قدر هذه المرتبة التي أكرم بها ، وهي : الإمامة في الدين.

وأما الآية الثانية ، ففيها مسائل

الأولى : كونه سبحانه جعل البيت الذي بناه إبراهيم مثابة ، مع المشاق العظيمة ، وذلك من الآيات ؛ الثانية : أنه

جعله أمناً عند الكفار ، وذلك من أعجب الآيات ؛ الثالثة : أمره أن يتخذ من مقام إبراهيم مصلى ، وهذا من الخصائص ، فيتفطن المؤمن لشبهة المبتدعة ، لأنه لا يجوز أن يتخذ من مقام غيره مصلى.

الرابعة : أن فيها الرد على أهل الكتاب ، الذين لا يعظمونه ، مع ما فيه من الآيات ، ومع ما عندهم من العلم بذلك.

وقال أيضاً في قوله : (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن) فإن الكلمات تطلق ويراد بها الكلمات القدرية ، كقوله : (وصدقت بكلمات ربها وكتبه) [التحريم : ١٢] وتطلق ويراد بها الشرعية ، كقوله : (وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن).

قال : وأما الآية الثالثة ، ففيها مسائل:

الأولى : ذكره أنه عهد إلى إبراهيم وإسماعيل أن يطهراه لهذه الطائفة ، ولذلك أنزل الله (إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام) [التوبة : ٢٨] الثانية : أن فيها الرد على أهل الكتاب والمشركين ؛ الثالثة : العجب العجاب ، معاكستهم هذا الأمر ، فلا يردون عنه إلا الطائفة المأمور بتطهيره لهم.

الرابعة : أنه نعتهم بالطواف والركوع والسجود والعكوف ، فدل على أن نفس العكوف فيه عبادة ؛ الخامسة : أن التقدم عند الله بالأعمال الصالحة لا بالنسب ، فأمره بتطهيره

لهم وإن لم يكونوا من ذريته، وأمره بطرد ذريته عنه إذا لم يكونوا كذلك.

وقال أيضاً ، قال ابن أبي حاتم : وروي عن عبيد بن عمير ، وأبي العالية ومجاهد وقتادة : (أن طهرا بيتي) لاقوا بلا إله إلا الله من أشرك.

وأما الآية الرابعة ، ففيها مسائل:

الأولى دعوة إبراهيم أن يجعله آمناً ، ولا يناقض تحريمه يوم خلق الله السماوات والأرض ؛ الثانية دعوة إبراهيم للبلد وأهله بالأمن والرزق ؛ الثالثة : الآية العظيمة في إجابة هذه الدعوة.

الرابعة تخصيصه بها من آمن بالله واليوم الآخر ؛ الخامسة قوله : (ومن كفر) فلما دعا بأمر الدين منع الله الظالم من ذريته ، ولما خص بالأمر الآخر من آمن ، قال الله : (ومن كفر) وذلك للفرق بين الدارين.

السادسة : أنه لما أخبر أن ذلك للمؤمن وغيره ؛ فقد يتوهم منه كرامة الجميع ، فأخبر أنه لو عم العاصي فيه بالأمن والرزق ، فإنه يضطره إلى عذاب النار.

السابعة : أن المجاورة عنده ، كما أنها تنفع المطيع ، فهي تضر العاصي ، لقوله: (ثم أضطره إلى عذاب النار) ولذلك انتقل ابن عباس منها إلى الطائف.

وأما الآية الخامسة ، ففيها مسائل:

الأولى : التصريح بأن الاثنين بنياه ؛ الثانية : جلال الله وعظمته في قلوب الذين يعرفونه لدعوتهما بالقبول ، وكان بعض السلف لما قرأها جعل يبكي ، ويقول : ما بال خليل الله يرفع قواعد بيت الله ، ويخاف أن لا يقبله ؛ الثالثة : توسلهما بالصفات.

الرابعة : طلبهما أن يرزقهما الله الإسلام ، وهما هما ؛ والغفلة عن هذه الكلمة من العجائب ، الخامسة : إشراكهما في الدعوة بعض الذرية ، ففيها رغوب المؤمن وحرصه على صلاح ذريته.

السادسة : طلبهما أن يعلمهما المناسك ، ففيها حرصهما على العمل بالنص مع عصمتهما ؛ السابعة : طلبهما أن يتوب عليهما وهما هما ؛ ففيها خوفهما من الذنوب ؛ الثامنة : التوسل بالصفات.

التاسعة : التعليل بكونه (التواب الرحيم) ولولا ذلك لاستحقا العقوبة ؛ العاشرة : الرد على المشركين وأهل الكتاب ؛ الحادية عشر : أن دعوتهما بهذه النعمة ، التي هي أعظم النعم للذرية ، جعلها الذرية من أعظم المصائب.

وأما الآية السادسة ، ففيها مسائل.

الأولى : دعوتهما للذرية ببعثة الرسول ، فكانت عندهم أعظم البلاء مع دعواهم أنهم على ملتهما ؛ الثانية أنهما أرادا بذلك أن يعلمهم الكتاب والحكمة ، ويتلو عليهم الآيات ويزكيهم ؛ قيل : إن استماع التلاوة والتزكي بها فرض عين ؛

وأما الكتاب والحكمة ففرض كفاية ؛ الثالثة : أن نسبة الزكاة إلى السبب لا بأس بها مع أن المزكي في الحقيقة هو الله وحده ؛ الرابعة : التوسل بالصفات.

وأما الآية السابعة، فهي من جوامع الكلم، وأظهر البراهين، فنذكر شيئاً من ذلك.

الأولى : أنه بين أن ملة إبراهيم هي الإسلام ؛ ومنه تعظيم البيت وحجه ؛ ومع إقرار علماء أهل الكتاب بذلك يرغبون عنه ؛ وهذه مسألة مهمة، يدل عليه، قوله : « ومن رغب عن سنتي فليس مني ».

الثانية : أن أكثر الناس رغبوا عن اسم الإسلام، وعندهم لا فضيلة فيه، ولا بد عندهم من نسبة دين خاصة ؛ الثالثة : أعجب من ذلك، أنهم لا يعرفون معنى الإسلام، وعندهم لا فضيلة فيه، بل هذا عندهم صورة لا معنى لها.

الرابعة : أعجب من الجميع أنهم إذا بين لهم معناه، اشتد إنكارهم لذلك، مع قراءة هذه الآية وأمثالها ؛ الخامسة : التي سبق الكلام لأجلها، أنك إذا عرفت ملته، فالواجب الاتباع، لا مجرد الإقرار مع الرغوب عنها.

السادسة : أن من فعل ذلك لم يضر إلا نفسه، السابعة : أن ذلك في غاية الجهل، والسفه الواضح، مع ادعائهم الكمال في العلم، كيف يطلب أفضل من طريقه، والله سبحانه هو الذي اصطفاه، ووعده في الآخرة ما وعده بسبب طريقه ؟!

وأما الآية الثامنة ، ففيها مسائل:

الأولى : أن مسألة الإسلام الذي هو سبب الكلام والخصومة ، أن الله سبحانه هو الذي أمره بذلك ؛ الثانية : أنه استجاب لله فيما أمره ، فقال : (أسلمت لرب العالمين) الثالثة : وصفه ربه سبحانه بما يوضح المسألة ، وهو الربوبية للعالم كله ؛ فانظر رحمك الله تعالى إلى هذا التقرير والثناء ، والتوضيح للإسلام ؛ مع حقارته وإنكاره عند من يقرأ هذه الآيات وما بعدها.

وأما الآية التاسعة ، ففيها العجب العجاب ؛ الأولى : أن الله سبحانه ذكر أن إبراهيم وصى بالإسلام ابنيه وهما هما ؛ الثانية : أن يعقوب وصى بها بنيه وهم هم ؛ الثالثة : تحريضه الذرية على ذلك ، بأن الله الذي اختاره لهم فلا ترغبوا عن اختيار الله.

الرابعة : أنه مع هذا التقرير الواضح ، عند من يدعي كمال العلم ، ويدعي اتباع الملة ، أحقر الطرائق ولا مدح فيه ، ولا يصير من المسكوت عنه ، إلا من رغب عنه إلى اسم غيره ، وإلا من اقتصر عليه اتخذوه هزواً ، فاعتقدوا غاية جهله ، بل أفتوا بكفره وقتله ؛ والخامسة قوله : (فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) فحرضهم على لزوم ذلك إلى الممات ، وعدم الزيادة عليه ، لما في طبع الإنسان من طلب الزيادة ، خصوصاً مع طول الأمل.

وأما الآية العاشرة ، ففيها مسائل:

الأولى : وصية يعقوب عند الموت ، ولم يكتف بما تقدم ؛ الثانية لبنيه وهم هم ؛ الثالثة أنه لشدة التحريض ، وكبر الأمر عنده ، أخرجه مخرج السؤال ؛ الرابعة : أنه قال : (من بعدي) لأن الغالب أن الاتباع بعد موت كبيرهم ينقصون.

الخامسة : جوابهم له (نعبد إلٰهك) الآية ، لأن في هذا معنى الحجة ، وظهور الأمر : أن من اتبع الصالحين يسلك طريقهم ؛ وأما كونه يترك طريقهم بزعمه : أنه اتباع لهم ، فهذا خلاف العقل : السادسة قولهم : (إلٰهاً واحداً) يعنون للخلائق كلهم ، لكن متبع مهتد وضال.

السابعة : إخباره لهم بلزومهم الإسلام بعد موته ؛ الثامنة : ذكرهم له ، أن ذلك الإسلام لله وحده لا شريك له ؛ ليس لك ولا لآبائك منه شيء ؛ التاسعة : أن العم أب ، لأن إسماعيل عمه ، لكن مع التغليب.

العاشرة : أن ذلك من أوضح الحجج على ذريتهم ، مع إقرارهم بذلك ، ومع هذا يزعمون أنهم على ملتهم ، مع تركها وشدة العداوة لمن اتبعها ؛ الحادية عشر : أن فيها رداً عليهم في المسألة الخاصة ، وهي : اتخاذ الأحبار والرهبان أرباباً.

وأما الآية الحادية عشر ، ففيها مسائل

الأولى : المسألة التي ضل بها كثير ، وهي : ظنهم أن صلاح آبائهم ينفعهم ؛ الثانية : البيان أن الذي ينفع الإنسان

عمله ؛ الثالثة : أن الذي يضره عمله ، ولا يضره معصية أبيه وابنه.

وأما الآية الثانية عشر : ففيها مسائل ، وهي من جوامع الكلم أيضاً.

الأولى : أن من دعا إلى أي ملة كانت ، وهي من الملل الممدوحة السالم أهلها ، قيل له : بل ملة إبراهيم لأنها إن كانت باطلة فواضح ، وإن كانت صحيحة فملة إبراهيم أفضل ، كما قال ﷺ : « أحب الأديان إلى الله الحنيفية السمحة ».

الثانية : وهي مما ينبغي التفطن لها ، أنه سبحانه وصفها بأن إبراهيم حنيفاً بريئاً من المشركين ، وذلك : لأن كلا يدعيها ، فمن صدق قوله بالفعل ، وإلا فهو كاذب ؛ الثالثة : أن الحنيف معناه ، المائل عن كل دين سوى دين الإسلام لله.

الرابعة : أن من الناس من يدعي أنه لا يشرك ، وأنه مخلص ، ولكن لا يتبرأ من المشركين ، وملة إبراهيم الجمع بين النوعين.

وأما الآية الثالثة عشر ، ففيها مسائل:

الأولى : أمر الله سبحانه ، أن نقول ما ذكر في الآية ، وليس هذا من إظهار العمل الذي اخفاؤه أفضل ؛ الثانية : الإيمان بجميع المنزل ؛ الثالثة : عدم التفريق بينهم ؛ الرابعة : التصريح بالإسلام ؛ الخامسة : التصريح بإخلاص ذلك لله ، وليس هذا من الثناء على النفس ؛ بل من بيان الدين الذي أنت

عليه ، ولهذا قال بعض السلف : ينبغي لكل أحد أن يعلّم هذه الآية أهل بيته وخدمه.

وأما الآية الرابعة عشر ، ففيها مسائل:

الأولى قوله : (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا) فيها التصريح أن الإيمان هو العمل ؛ الثانية : أن هذا الكلام في غاية إنصاف الخصم ؛ الثالثة : أن الذي لا ينقاد له ، ليس داؤه داء جهالة بل مشاقة ، الرابعة : أنك إذا أنصفتهٗ وأصر فهو سبب الانتقام لله منه ؛ الخامسة : الاستدلال بالصفات.

وأما الآية الخامسة عشر ، ففيها مسائل:

الأولى ، قوله : (صبغة الله) أي : دين الله ؛ فدل على أن ذلك هو العمل ؛ الثانية : الدلالة الواضحة ، وهو أنه لا أحسن من الدين ، الذي تولى الله بيانه والأمر به ؛ الثالثة : أنكم أيها الخصوم إن افتخرتم بإسلامكم للأنبياء والصالحين ، فإسلامنا لله وحده ؛ ومعنى ذلك : لزوم هذا الدين الذي تولّى الله بيانه.

وأما الآية السادسة عشر ، ففيها مسائل:

الأولى : أمر الله لنا أن نحاجهم بهذه الحجة القاطعة ، فإذا كان الله رب الجميع ؛ وأيضاً : أنه بإقراركم أنه عدل لا يظلم ، بل كل عامل فعمله له ، وافترقنا في كوننا قاصدينه مخلصين له الدين ، وأنتم قصدتم غيره ؛ فكيف يساوي بيننا وبينكم أو يخص بكرامته من أعرض عنه دون من قصده ؟ هذا لا يدخل عقل عاقل ؛ الثانية : أن الخصوم محاجتهم في الله لا

في غيره ، مع فعلهم هذا في هذه الخصومة.

وأما الآية السابعة عشر ، ففيها مسائل:

الأولى : إن كانت الخصومة في الصالحين ، ودعواهم أنهم على طريقهم ، فهم لا يقدرون أن يدّعوا أن رسول الله ﷺ وأصحابه على طريقتهم ؛ بل يصرحون أنهم على غيرها ، ولكن يعتذرون أنهم لا يقدرون عليها ، فكيف هذا التناقض ؟! يدّعون أنهم تابعوهم مع تحريمهم اتباعهم ، وزعمهم أن أحداً لا يقدر عليه.

الثانية قوله : (ءأنتم أعلم أم الله) فهذه لا يقدر أحد أن يعارضها ، فإذا سلمها وسلم لك أن العلم الذي أنزله الله ، ليس هو لعدم القدرة ، فهذا الذي عليه غيره ، وهذا إلزام لا محيد عنه.

الثالثة : أن منهم من يعرف الحق ويكتمه خوفاً من الناس ، مع كونه لا ينكره ، فلا أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ، فكيف بمن جمع مع الكتمان ، دفعها وسبها ، وتكفير من آمن بها ؟!؛ الرابعة : الوعيد بقوله : (وما الله بغافل عما تعملون) والله أعلم.

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

وأما قوله : (أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط) الآية [البقرة : ١٤٠] فهذه حجة أخرى ؛ وبيانها : أنا إذا أجمعنا على الإمام والأئمة أنهم ومن

اتبعهم على الحق ، ومن خالفهم فهو على الباطل ، فهذه أيضاً مثل التي قبلها.

فإذا كان رسول الله ﷺ وأصحابه والأئمة بعدهم قد أجمعنا: أنهم ومن اتبعهم على الحق ، ومن خالفهم فهو على الباطل ؛ فنقول : هذه المسألة التي اختلفنا وإياكم فيها ، هل رسول الله ﷺ وأصحابه على قولنا أو على قولكم؟

فإذا أقروا : أن دعاء أهل القبور ، والبناء عليها ، وجعل الأوقاف والسدنة عليها ، من دين الجاهلية ، فلما بعث الله محمداً ﷺ نهى عن ذلك كلّه ، وهدم البناء الذي جعلته الجاهلية على القبور ، ونهى عن دعاء الصالحين ، وعن التعلق عليهم ، وأمر بإخلاص الدعوة لله وأمر بإخلاص الاستعانة لله.

وبلغنا عن الله أنه يقول: ﴿ فلا تدعوا مع الله أحداً ﴾ [الجن : ١٨] ومضى رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون وأتباعهم ، والأئمة وأصحابهم على ذلك ؛ ولم يحدث هذا إلا بعد ذلك ، أعني : دعاء غير الله والبناء على القبور ، وما يتبع ذلك من المنكرات.

فكيف تقرون : أن رسول الله ﷺ وأصحابه ، والأئمة بعدهم على ما نحن عليه ، ثم تنكرونه أعظم من إنكار دين اليهود والنصارى ، مع إقراركم أنه الدين الذي عليه رسول الله ﷺ وأصحابه والأئمة ؟! أم كيف تنصرون الشرك وما يتبعه من المنكرات ، وتبذلون في نصره النفس والمال ؟ مع إقراركم أنه دين الجاهلية المشركين ؛ هذا هو الشيء

العجاب ، لا جعل الآلهة إلٰهاً واحداً ، يا أعداء الله لو كنتم تعقلون !! وليس هذا في هذه المسألة وحدها ، بل كل مسألة اختلفنا وإياهم فيها ، وأقروا أن ما نحن عليه هو الذي عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ؛ فهذه الخصومة فيها واقعة فاصلة لها.

فإن أقروا بذلك لكن زعموا أن الناس أحدثوا أموراً تقتضي حسن ما هم عليه ، كقولهم : هذه بدعة حسنة ، فيها من المصالح كذا وكذا ؛ وفي تركها من المفاسد كذا وكذا ؛ فيجاوبون بالمسألة الثالثة ، وهي قوله : (ءَأنتم أعلم أم الله).

فإذا كان رسول الله ﷺ بإقراركم أوصانا بقوله : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » فقد أقررتم أنه أمر بلزوم ما أمرتم بتركه ، وأنه نهى عما أمرتم بفعله.

مع إقراركم أنه أوصى بهذه الوصية، عند وقوع الاختلاف في أمته ، مع إقراركم أنه لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ، فالله سبحانه قد علم ما يحدث في خلقه إلى يوم القيامة ، ومع هذا أمر بطاعة رسوله الذي أقررتم به ، وأنتم تشهدون أنه قاله.

فإذا بان لك، أن الأولى : في الأمر بالإخلاص والنهي عن الشرك ؛ وأن الثانية في الأمر بلزوم السنة ، والنهي عن البدعة ، بان لك أن هذا هو تقرير القاعدتين ، اللتين عليهما

مدار الدين ، وهما : لا يعبد إلا الله ؛ والثانية : لا يعبد إلا بما شرع ؛ فالأولى قوله : « إنما الأعمال بالنيات » والثانية قوله : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد ».

فإذا كان المحاج لا يقر ، ببعض ذلك ، بل أنكر شيئاً من تفاصيل ما ذكرنا ، فهي المسألة الرابعة ، وهو قوله : (ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله) [البقرة : ١٤٠] فإذا كان هذا في الكاتم مع المحبة وتمنى ظهوره ، ولكن أحب الدنيا عليه ، فكيف بالكاتم المبغض؟

فإن كان يدعى أنه لم يفعل ذلك ، وأنه تابع لهذا الحق ولكن يكتم إيمانه ، كمؤمن آل فرعون ، مع معرفتك أنه كاذب ، فهي المسألة الخامسة ، وهي أن تقول له : (وما الله بغافل عما تعملون).

فإن أقر بهذا كله ، ولكنه استروح إلى أنه : من ذرية رسول الله ﷺ ، أو أنهم جيرانه ، أو غير ذلك من الأسباب ، مثل مدحه الإمام الذي ينتسب إليه ، أو أصحابه ، فهي المسألة السادسة ، وهي قوله : (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون) [البقرة : ١٤١].

وقال الشيخ سليمان بن سحمان:

قال ابن القيم رحمه الله في الصواعق : الوجه الثامن عشر : أن تفسير وجه الله بقبلة الله ، وإن قاله بعض السلف كمجاهد وتبعه الشافعي، فإنما قالوه في موضع واحد لا غير ،

وهو قوله تعالى : (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) [البقرة : ١١٥] إلى أن قال:

على أن الصحيح في قوله : (فثم وجه الله) أنه كسائر الآيات التي ذكر فيها الوجه ؛ فإنه قد اطرد مجيئه في القرآن والسنة ، مضافاً إلى الرب تعالى ، على طريقة واحدة ، ومعنى واحد ، فليس فيه معنيان مختلفان في جميع المواضع ، غير الموضع الذي ذكر في سورة البقرة ، وهو قوله : (فثم وجه الله) وهذا لا يتيقن حمله على القبلة والجهة ، ولا يمتنع أن يراد به وجه الرب حقيقة ، فحمله على موارده ونظائره كلها أولى.

يوضحه الوجه التاسع عشر : أنه لا يعرف إطلاق وجه الله على القبلة لغة ولا شرعاً ولا عرفاً ، بل القبلة لها اسم يخصها ، والوجه له اسم يخصه ، فلا يدخل أحدهما على الآخر ، ولا يستعار اسمه له ؛ نعم القبلة تسمى وجهة كما قال تعالى : (ولكل وجهة هو موليها) [البقرة : ١٤٨] وقد تسمى جهة وأصلها وجهة ، إلى أن قال :

وأما تسميتها وجهاً : فلا عهد به ، فكيف إذا أضيف إلى الله تعالى ، مع أنه لا يعرف تسمية القبلة وجهة الله في شيء من الكلام ، مع أنها تسمى وجهة ، فكيف يطلق عليها وجه الله ، ولا يعرف تسميتها وجها ؟!

وأيضاً : فمن المعلوم أن قبلة الله التي نصبها لعباده هي قبلة واحدة ، وهي القبلة التي أمر الله عباده أن يتوجهوا إليها

حيث كانوا ، لا كل جهة يولى الرجل وجهه إليها ، فإنه يولى وجهه إلى المشرق والمغرب والشمال وما بين ذلك ، وليست تلك الجهات قبلة لله ، فكيف يقال : أي وجهة وجهتموها واستقبلتموها ، فهي قبلة الله ؟.

فإن قيل : هذا عند اشتباه القبلة على المصلي ، وعند صلاة النافلة في السفر ؛ قيل : اللفظ لا إشعار له بذلك البتة ، بل هو عام مطلق في الحضر والسفر ، وحال العلم والاشتباه والقدرة والعجز ، إلى أن قال:

وحمل الآية على استقبال المسافر في التنفل على الراحلة ، أو على حال الغيم ونحوه بعيد جداً عن ظاهر الآية ، واطلاقها وعمومها وما قصد بها ، فإن (أين) من أدوات العموم ، وقد أكد عمومها بما أراده لتحقيق العموم ، كقوله : (وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) [البقرة : ١٤٩].

والآية صريحة في أنه أينما ولى العبد فثم وجه الله من حضر أو سفر ، في صلاة أو غير صلاة ؛ وذلك أن الآية لا تعرض فيها للقبلة ، ولا لحكم الاستقبال بل سياقها لمعنى آخر ؛ وهو بيان عظمة الرب تعالى وسعته ، وأنه أكبر من كل شيء وأعظم منه ؛ وأنه محيط بالعالم العلوي والسفلي.

فذكر في أول الآية إحاطة ملكه في قوله : (ولله المشرق والمغرب) منبهاً بذلك على ملكه لما بينهما ، ثم ذكر عظمته سبحانه ، وأنه أكبر وأعظم من كل شيء ، فأينما ولى العبد

وجهه فثم وجه الله ؛ ثم ختم باسمين دالين على السعة والإحاطة ، فقال : (إن الله واسع عليم) فذكر اسمه الواسع عقب قوله : (فأينما تولوا فثم وجه الله) كالتفسير والبيان والتقرير له ، فتأمله.

ثم ذكر كلاماً طويلاً في تقرير هذا المعنى ، وبيان عظمة الرب ، وبيان سعة علمه وملكه وحلمه ؛ ثم قال في الوجه الحادي والعشرين : أنه لو كان المراد بوجه الله قبلة الله ، لكان قد أضاف إلى نفسه القبل كلها إلى أن قال:

يوضحه ؛ الوجه الثالث والعشرون : أنه لو أريد بالوجه الجهة والقبلة لكان وجه الكلام أن يقال : فأينما تولوا فهو وجه الله ، لأنه إذا كان المراد بالوجه الجهة ، فهي التي تولي نفسها ؛ وإنما يقال ثم كذا ، إذا كان هناك أمران ، كقوله تعالى : (وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً) [الإنسان : ٢٠].

فالنعيم والملك ثم ، لأنه نفس الظرف ، والوجه لو كان المراد به الجهة نفسها ، لم يكن ظرفاً لنفسها ، فإن الشيء لا يكون ظرفاً لنفسه ؛ فتأمله ، إلى أن قال:

الوجه السادس والعشرون : أنك إذا تأملت الأحاديث ، وجدتها مفسرة للآية مشتقة منها ، كقوله ﷺ : « إذا قام أحدكم إلى الصلاة ، فإنما يستقبل ربه » وذكر الأحاديث.

وقال أيضاً ـ في ذكر أقوال المعطلين ـ إنه على المجاز لا على الحقيقة ، إنه ثوابه وجزاؤه ؛ ثم قال : قال عثمان بن

سعيد الدارمي ، وقد حكى قول بشر المريسي ، أنه قال في قول النبي ﷺ : « إذا قام العبد يصلي ، أقبل الله عليه بوجهه » يحتمل : أن يقبل الله عليه بنعمته وإحسانه وأفعاله ، وما أوجب للمصلي من الثواب.

فقوله : (ويبقى وجه ربك) أي : ما توجه به إلى ربك من الأعمال الصالحة ؛ وقوله : (فأينما تولوا فثم وجه الله) أي : قبلة الله ؛ قال الدارمي : لما فرغ المريسي من إنكار اليدين ونفيهما عن الله ، أقبل قبل وجه الله ذي الجلال والإكرام ، لينفيه عنه ، إلى أن قال:

واستمر الجحود به ، حتى ادعى أن وجه الله الذي وصفه بأنه ذو الجلال والإكرام ، مخلوق ، لأنه ادعى أنه أعمال مخلوقة يتوجه بها إليه ، وثواب وإنعام مخلوق يثيب به العامل ، وزعم : أنه قبلة الله ، وقبلة الله لا شك مخلوقة ؛ ثم ساق الكلام في الرد عليه ، والقول بأن لفظ الوجه مجاز باطل ، انتهى.

وقال عبد الله بن الشيخ محمد : وما ذكرت من حال الموعظة فلا أرى أعظم من مواعظ القرآن ، قد ذكر أن رجلاً طلب من أخ له موعظة ، فسأله هل أنت تقرأ القرآن ؟ فقال : نعم ؛ فقال : إن لم يعظك القرآن ما وعظك غيره.

ولكن آية ، قرأت على الشيخ في سورة البقرة ؛ قوله تعالى : (كان الناس أمة واحدة) إلى قوله (والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) [البقرة : ٢١٣] وتكلم عليها كلاماً

حسناً ، أحببت أن أنقله لكم ، بسبب عظم فائدته ، وما أحسن ما قال أبو العالية ، قال : وفي هذه الآية مخرج من الشبهات والضلالات والفتن.

وصفة كلامه في المذاكرة ، الأولى قوله : (كان الناس أمة واحدة) يعني على الإسلام ، ثم اختلفوا بعد ذلك كما في بعض القراءات (كان الناس أمة واحدة ثم اختلفوا) الثانية : كونه سبحانه أرسل الرسل ؛ الثالثة : الحكمة في إرسالهم ، كما قال تعالى : (رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) [النساء : ١٦٥].

الرابعة : إنزال الكتب ؛ الخامسة : كونه بالحق ، فيها علم من أعلام النبوة ؛ السادسة : الحكمة في إنزاله الكتاب ، فذكر المراد في إنزاله ، وهو : الحكم بين الناس عند الاختلاف ؛ فما أعظم هذه الحكمة ، وما أكبر فائدتها لمن فهمها ، وما أكثر الجهل بها خصوصاً للذين يدعون العلم ، وهم من أبعد الناس عنه ، ولا يعرف ذلك إلا من تأمل أصولهم وفتاويهم الباطلة.

السابعة ، قوله : (وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه) كما قال الشاعر:

عثابها يابن الندا تسيارها

وهذه من آيات الخوف ؛ وفيها عدم الوثوق بنفسك وبغيرك ، خصوصاً إذا عرفت أن الذين أوتوه ، هم الذين اختلفوا فيه ، وعرفت قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إن

كثيراً من الأحبار والرهبان) الآية [التوبة : ٣٤] ، الثامنة : اختلافهم في ذلك ، ليس هو لعدم العلم ، بل من بعدما جاءتهم البينات ؛ التاسعة : كونه بغياً بينهم.

العاشرة ، قوله : (فهدى الله الذين آمنوا) فيها معنى قوله : (ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم) [الحجرات : ٧] الحادية عشر : التنبيه على ثمرة ما هداهم إليه من الاختلاف ، وذلك قوله : (من الحق) الثانية عشر ، قوله : (والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم).

فإذا أشكلت عليك مسألة الهداية والإضلال ، وأردت ما يزيل هذا الإشكال ، فاعرف المسألة الثالثة عشر ، وهي مسألة علم الله ، ومعرفتها من أجلّ العلوم وأنفعها ، وذلك قوله : (بإذنه) وبالله التوفيق.

وقال أيضاً الشيخ : محمد ، قدس الله روحه ، في الدرس من الفقه بعد الآية ، وقوله:

تعدون قتلا في الحرام عظيمة	وأعظم منه لو يرى الرشد راشد
صدودكمو عما يقول محمد	وكفر به والله راء وشاهد
وإخراجكم من مسجد الله أهله	لئلا يرى لله في البيت ساجد
فإني وإن عنفتموني بقتله	وأرجف بالإسلام باغ وحاسد
سقينا من ابن الحضرمي رماحنا	بنخلة لما أوقد الحرب واقد

وفي القصة من الفقه : معرفة الأشهر الحرم ، والبلد الحرام ، ما لا يوجد ؛ وفيها : ما كان في الجاهلية من بقايا دين إبراهيم ، ما لا يوجد مثله اليوم ؛ وفيها : أن من الكبائر

كبير وأكبر ؛ وفيها : أن الصد عن سبيل الله أكبر من الكبائر ؛ وفيها : أن الكفر بالله نوع آخر غير الصد ؛ وفيها : بيان الرب الرحيم ، أن القتل لو كان شديداً فالشرك أشد منه ؛ وفيها : بيان مطلب عدو الدين وما يرضيه منك.

وقال أيضاً ، وأما قوله : ﴿ رب أرني كيف تحيي الموتى ﴾ [البقرة : ٢٦٠] فمن أعظم الأدلة على تفاوت الإيمان ومراتبه حتى الأنبياء عليهم السلام ، فهذا طلب الطمأنينة مع كونه مؤمناً ، فإذا كان محتاجاً إلى الأدلة ، التي توجب له الطمأنينة ، فكيف بغيره ؟ ولذلك قال النبي ﷺ « نحن أحق بالشك من إبراهيم عليه السلام ».

وأما قوله في كلام البقرة والذئب : « آمنت به أنا وأبو بكر وعمر » رضي الله عنهما ، وليسا في ذلك المكان ، هذا من الإيمان بالغيب ، المخالف للمشاهدة ؛ وذلك : أن الناس يشاهدون البهائم لا تتكلم ، فلما أخبر الرسول ﷺ : أن هذا جرى فيما مضى ، تعجبوا من ذلك مع إيمانهم ، فقال : « آمنت به أنا وأبو بكر وعمر ».

فلما ذكرهما في المقام العظيم ، الذي طلب إبراهيم في مثله العيان ، ليطمئن قلبه ، مع كونهما ليسا في المجلس ، دل على أن إيمانهما أفضل من إيمان غيرهما ، خصوصاً لما قرنهما بإيمانه ﷺ ؛ ومع هذا فأمور الإيمان من الأمور البينة ، لكن لعلكم تفهمون منها شيئاً ، إذا قرأتم كتاب الإيمان ، والله أعلم.

وقال أيضاً الشيخ : محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى :

فصـــل

قد ذكرت في مواضع : ما اشتملت عليه سورة البقرة ، من تقرير أصول العلم ، وقواعد الدين ، أن الله افتتحها بذكر الكتاب الهادي للمتقين ؛ فوصف حال أهل الهدى ، ثم الكافرين ، ثم المنافقين ، فهذه جمل خبرية.

ثم ذكر الجمل الطلبية فدعا الناس إلى عبادته وحده ، ثم ذكر الدلائل على ذلك من فرش الأرض وبناء السماء ، وإنزال الماء وإخراج الثمار رزقاً للعباد ، ثم قرر الرسالة ، وذكر الوعد والوعيد ، ثم ذكر مبدأ النبوة والهدى ، وما بثه في العالم من الخلق والأمر ، ثم ذكر تعليم آدم الأسماء ، وإسجاد الملائكة له لما شرف به من العلم.

فإن هذا تقرير لجنس ما بعث به محمداً ﷺ من الهدى ودين الحق ، فقص جنس دعوة الأنبياء ، ثم انتقل إلى خطاب بني إسرائيل ، وقصة موسى معهم ، وضمن ذلك تقرير نبوته ، إذ هو قرين محمد ﷺ ، فذكر آدم الذي هو أول ، وموسى الذي هو نظيره ، وهما اللذان احتجا ، وموسى قتل نفساً فغفر له ، وآدم أكل من الشجرة فتاب عليه.

وكان في قصة موسى رد على الصابئة ونحوهم ، ممن يقر بجنس النبوات ، ولا يوجب اتباع ما جاؤوا به ، وقد

يتأولون أخبار الأنبياء ، وفيها رد على أهل الكتاب ، بما تضمنه ذلك من الأمر بالإيمان بما جاء به محمد ﷺ ، وتقرير نبوته.

وذكر حال من عدل عن النبوات إلى السحر ؛ وذكر النسخ الذي ينكره بعضهم ؛ وذكر النصارى وأن الأمتين لن يرضوا حتى يتبع ملتهم ؛ كل هذا في تقرير أصول الدين ، من الوحدانية والرسالة.

ثم أخذ سبحانه : في بيان شرائع الإسلام المبنى على ملة إبراهيم ، فذكر إبراهيم الذي هو إمام الناس ؛ وبناءه البيت الذي بتعظيمه تميز الإسلام عما سواه ، وذكر استقباله وقرر ذلك ، فإنه شعار الملة الفارقة بين أهلها وغيرهم ، ولهذا يقال : أهل القبلة ، كما قال : « من صلى صلاتنا ، واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا ، فهو المسلم ».

وذكر من المناسك ما يختص بالمكان ، وذلك : أن الحج له مكان وزمان ؛ والعمرة لها المكان فقط ، والعكوف والركوع والسجود شرع فيه ، ولا يقيد به ولا بمكان ولا زمان ؛ لكن الصلاة تتقيد باستقباله ؛ فذكر سبحانه هذه الأنواع الخمسة ، من العكوف ، والصلاة ، والطواف ، والعمرة ، والحج ، والطواف يختص بالمكان فقط.

ثم أتبع ذلك بما يتعلق بالبيت من الطواف بين الجبلين ، وأنه لا جناح فيه ، جواباً لما كان عليه الأنصار في الجاهلية ، من كراهة الطواف بهما ، لأجل إهلالهم لمناة ؛ وجواباً لقوم

توقفوا عن الطواف بهما ، وجاء ذكر الطواف بعد ذكر العبادات المتعلقة بالبيت.

بل وبالقلوب والأبدان والأموال ، بعدما أمروا به ، من الاستعانة بالصبر والصلاة ، الذين لا يقوم الدين إلا بهما ، وكان ذلك مفتاح الجهاد المؤسس على الصبر ؛ لأن ذلك من تمام أمر البيت ، لأن أهل الملل يخالفون فيه ، فلا يقوم أمر البيت إلا بالجهاد عنه.

وذكر الصبر على المشروع والمقدور ، وبين ما أنعم به على هذه الأمة من البشرى للصابرين ، فإنها أعطيت ما لم تعطه الأمم قبلها ، فكان ذلك من خصائصها وشعائرها ، كالعبادات المتعلقة بالبيت.

ولهذا يقرن بين الحج والجهاد ، لدخول كل منهما في سبيل الله ؛ فأما الجهاد فهو أعظم سبيل الله ، بالنص والإجماع في الأصح ، كما قال : « الحج من سبيل الله » وبين أن هذا معروف عند أهل الكتاب ، بذمه لكاتم العلم.

ثم ذكر أنه لا يقبل ديناً غير ذلك ، ففي أولها (فلا تجعلوا لله أندادا) [البقرة : ٢٢] وفي أثنائها : (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا) [البقرة : ١٦٥] فالأولى نهي عام ؛ والثانية نهي خاص ، وذكر بعد البيت ، لينهى عن قصد الأنداد المضاهية له ولبيته ، من الأصنام والمقابر ، ونحو ذلك ، ووحّد نفسه قبل ذلك ، وأنه (لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) [البقرة : ١٦٣].

ثم ذكر ما يتعلق بتوحيده من الآيات ، ثم ذكر الحلال والحرام ، وأطلق الأمر في المطاعم ، لأن الرسول ﷺ بعث بالحنيفية ، وشعارها وهو البيت ، وذكر سماحتها في الأموال المباحة ، وفي الدماء بما شرعه من القصاص ، ومن أخذ الدية.

ثم ذكر العبادات المتعلقة بالزمان ، فذكر الوصية المتعلقة بالموت ، ثم الصيام المتعلق برمضان ، وما يتصل به من الاعتكاف ، ذكره في عبادات المكان وعبادات الزمان ، فإنه يختص بالمسجد الحرام ، والصلاة تشرع في جميع الأرض ، والعكوف بينهما.

ثم أتبع ذلك بالنهي عن أكل الأموال بالباطل ، وذلك أن المحرم نوعان ، نوع لعينه كالميتة ، ونوع لكسبه كالربا والمغصوب ، فأتبع المنع الثابت بالمحرم الثابت تحريمه لعينه ، وذكر في أثناء عبادات الزمان المنتقل الحرام.

ولهذا أتبعه بقوله : (يسألونك عن الأهلة) الآية [البقرة : ١٨٨] وهي أعلام العبادات الزمنية ، وأخبر أنه جعلها مواقيت للناس ، في أمر دينهم ودنياهم ؛ وللحج ، لأن البيت تحجه الملائكة والجن ، فكان هذا نصاً في أن الحج موقت بالهلالي الزماني ، كما أنه موقت بالبيت المكاني.

ولهذا ذكر بعد هذا من أحكام الحج ، ما يختص بالزمان مع المكان ، من إتمام الحج والعمرة ؛ وذكر المحصر ، وذكر تقديم الإحلال المتعلق بالمال ، وهو الهدى ، عن الإحلال

المتعلق بالنفس ، وهو الحلق ، لأن المتحلل يخرج من إحرامه ، فيحل بالأسهل فالأسهل ، ولهذا كان آخر ما يحل عنه الوطء ، فإنه أعظم المحظورات ، ولا يفسد النسك بمحظور سواه.

وذكر **التمتع** بالعمرة إلى الحج ، لتعلقه بالزمان مع المكان ، فإنه لا يكون متمتعاً ؛ حتى يحرم بالعمرة في أشهر الحج ، وحتى لا يكون أهله حاضري المسجد الحرام ، وهو الأفقي ، فإنه الذي يظهر التمتع في حقه ، لترفهه بسقوط أحد السفرين عنه ، أما الذي هو حاضر ، فسيان عنده ، تمتع ، أو اعتمر قبل أشهر الحج.

ثم ذكر وقت الحج وأنه أشهر معلومات ، وذكر الإحرام ، والوقوف بعرفة ومزدلفة ، فإن هذه تختص بزمان ومكان ، ولهذا قال : (فمن فرض فيهن الحج) [البقرة : ١٩٧] ولم يقل والعمرة لأنها تفرض كل وقت.

ولا ريب أن السنة فرض الحج في أشهره ؛ ومن فرض قبل خالف السنة ؛ فإما أن يلزمه ما التزمه كالنذر ، إذ ليس فيه نقض للمشروع ، وليس كمن صلى قبل الوقت ، وإما أن يلزم الإحرام ويسقط الحج ويكون معتمراً ، وهذان قولان مشهوران.

ثم أمر عند قضاء المناسك بذكره ؛ وقضاؤها ــ والله أعلم ــ هو قضاء التفث والإحلال ؛ ولهذا قال بعد ذلك : (واذكروا الله في أيام معدودات) هو أيضاً من العبادات الزمانية

المكانية ، وهو ذكر الله مع رمي الجمار ومع الصلوات ، ودل على أنه مكاني قوله : (فمن تعجل في يومين) الآية [البقرة : ٢٠٣] .

وإنما يكون التعجيل والتأخير بالخروج من المكان ، ولهذا تضاف هذه الأيام إلى مكانها ، فيقال : أيام منى ؛ وإلى عملها فيقال أيام التشريق ، كما يقال : ليلة جمع وليلة مزدلفة ؛ ويوم عرفة ، ويوم الحج الأكبر ويوم العيد ويوم الجمعة ، فتضاف إلى الأعمال وأماكن الأعمال ، إذ الزمان تابع للحركة ، والحركة تابعة للمكان .

فتدبر تناسب القرآن وارتباط بعضه ببعض ؛ وكيف ذكر أحكام الحج فيها في موضعين ؛ موضع ذكر فيه بيته وما يتعلق بمكانه ؛ وموضع ذكر فيه الأهلة فذكر ما يتعلق بزمانه .

وذكر أيضاً : القتال فى المسجد الحرام ؛ والمقاصة في الشهر الحرام ؛ لأن ذلك مما يتعلق بالزمان المتعلق بالمكان ، ولهذا قرن سبحانه ذكر كون الأهلة مواقيت للناس والحج .

وذكر أن البر ليس أن يشقي الرجل نفسه ، ويفعل ما لا فائدة فيه ؛ من كونه يبرز للسماء فلا يستظل بسقف بيته ؛ حتى إذا أراد دخول بيته لا يأتيه إلا من ظهره ، فأخبر أن الهلال الذي جعل ميقاتاً للحج شرع مثل هذا ، وإنما تضمن شرع التقوى .

ثم ذكر بعد ذلك أحكام النكاح والوالدات ، وما يتعلق بالأموال ، والصدقات والربا والديون وغير ذلك ، ثم ختمها

بالدعاء العظيم ، المتضمن وضع الآصار والأغلال ؛ والعفو والمغفرة والرحمة ؛ وطلب النصر على القوم الكافرين الذين هم أعداء ما شرعه من الدين في كتابه المبين.

سـورة آل عمـران

وسئل أيضاً الشيخ : محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ، عن قوله عز وجل : (شهد الله أنه لا إله إلا هو) إلى قوله سبحانه : (لا إله إلا هو العزيز الحكيم) [آل عمران : ١٨] ما معنى هذا التكرار ؟ هل هو تأكيد أم غير ذلك ؟.

فأجاب : وأما قوله : (شهد الله أنه لا إله إلا هو) فذكروا في تفسيرها (مسائل) الأولى : إعلام بأن الله سبحانه شهد بهذا ، وكذلك كل عالم يشهد به ، وليس هذا ثناء على نفسه مجرداً ، بل هو قيام بالقسط ؛ وأما الكلمة الثانية ، فهي : تعليم وإرشاد ؛ والله أعلم.

وسئل الشيخ عبد الله عن قوله تعالى : (ومن يبتغ غير الإسلام دينا) [آل عمران : ٨٥] وعن شروط الإسلام التي يصير بها الإنسان مسلماً ، هل هي غير ما أثبت للناس رسول الله ﷺ في زمانه ، وسماهم به مسلمين أم غير ذلك ؟.

فأجاب : الإسلام وشروطه ما بينه الله في كتابه ، وعلى لسان رسوله ﷺ وتوفى الله رسوله وأصحابه عليه في حياته ؛ وفي زمن خلفائه الراشدين المهديين ، رضي الله عنهم ، وما حدث بعد ذلك فليس من الدين.

بل كان بدعة وضلالة ، كما ثبت عنه ﷺ أنه قال : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة » وهذا مجمع عليه عند جميع الأمة ، ولكن الشأن في تحقيق القول بالعمل.

فإن من الناس من يزعم أنه مسلم ، يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وهو كافر مشرك بالله ، مكذب لرسول الله ﷺ ، كما أن اليهود يزعمون أنهم مسلمون على الحق ، وكذلك النصارى ، وهم كافرون بالله ورسوله.

فمن أراد الله هدايته ووفقه للعمل بكتابه ، وسنة رسوله ، باتباع أصحاب رسول الله ﷺ من أهل البيت وغيرهم ، فهذا هو العصمة والنجاة ؛ كما كان العلماء رضي الله عنهم يقولون : السنة سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق ، والله أعلم.

وقال الشيخ : محمد بن عبد الوهاب ، رحمه الله ، في قوله تعالى : (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله) الآيتين [آل عمران : ٧٩ ، ٨٠].

إذا عرفت أن سبب نزولها ، قول أهل الكتاب : نحن مسلمون نعبد الله ، إلا إن كنت تريد أن نعبدك ؛ عرفت أنها من أوضح ما في القرآن من تقرير الإخلاص ، والبراءة من

الشرك ، ومن أعظم ما يبين لك طريق الأئمة المهديين من الأئمة المضلين.

وذلك : أن الله وصف أئمة الهدى ، بالنفي والإثبات ، فنفى عنهم أن يأمروا أتباعهم بالشرك بهم ، أو بالشرك بالملائكة والأنبياء ، وهم أصلح المخلوقات ، وأثبت أنهم يأمرون أتباعهم أن يصيروا ربانيين ، فإذا كان من أنزله الله بهذه المنزلة ، لا يتصور أن يأمر أتباعه بالشرك به ، ولا بغيره من الأنبياء والملائكة ، فغيرهم أظهر وأظهر.

وإذا كان الأمر الذي يأمرهم به كونهم ربانيين ، تبين طريقة الأنبياء وأتباعهم ، من طريقة أئمة الضلال وأتباعهم ، ومعرفة الإخلاص والشرك ؛ ومعرفة أئمة الهدى ، وأئمة الضلال ، أفضل ما حصل المؤمن.

لكن فيه من البيان قول اليهود : إلا إن كنت تريد أن نعبدك ، كما عبدت النصارى عيسى ، وقول النصارى : تريد ذلك ، أي : إلا إن كنت تريد أن نعبدك ، كما عبدت اليهود عزيراً ؛ أن عبادة غير الله من أنكر المنكرات ببديهة العقل ، ولكن الهوى يعمي ويصم.

وفيه معرفة الإنسان بعيب عدوه ، ولا يعرف ما فيه من ذلك العيب بعينه ، ولو كان فيه منه أضعافاً مضاعفة ، وفيه ما على من قرأ القرآن من الحق من تعلم معانيه ، وفيه أن عليه أن يعمل به ؛ وفيه أن يكون ربانياً ، وفيه أن ذلك بسبب درس

الكتاب وعلمه وتعليمه ، وفيه : أن المسلم إذا أشرك بالأنبياء والصالحين كفر بعد إسلامه .

وفيه : معرفة أعداء رسول الله ﷺ بما هو عليه من العدل والتواضع ، كيف يتفوهون له بهذا الكلام ، وهم تحت يده محتاجون له ، وفيه أن من أشرك بشيء فقد اتخذه رباً ، وفيه أن قوله في القرآن : (من دون الله) ليس كما يقول الجاهلون ، لأن أهل الكتاب لا يتركون عبادات الله .

وقوله عز وجل : (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة) الآيتين [آل عمران : ٨١ ، ٨٢] فيه ما هو من أبين الآيات للخاص والعام ، وكونه ﷺ مذكوراً مبشراً به في كتب الأنبياء ، وفيه حجة على أن دعوته عامة في الظاهر والباطن ، وفيه أن الإيمان به لا يكفي عن نصرته ، بل لا بد من هذا وهذا .

وفيه أخذه تعالى الميثاق على الأنبياء بذلك ، دليل على شدته إلا على من يسره الله عليه ، وفيه أن من آتاه الله الكتاب والحكمة ، أحق بالانقياد للحق إذا جاء به من بعده ، بخلاف ما عرف من حال الأكثر ، من ظنهم أنه لو اتبعه غيرهم فهو نقص في حقهم .

وفيه مزيد التأكيد بقوله : (ءَأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى) وفيه إشهادهم مع شهادته سبحانه ؛ وفيه أن من تولى بعد ذلك فجرمه أكبر ، وفيه أن الآخر مصدق لما معهم لا مخالف له .

فإذا كان هذا في أهل الملل ، فكيف بأهل الملة الواحدة إذا ضلوا ، ثم جاءهم من يرشدهم إلى دينهم الذي أنزل الله عليهم ، وهو الذي ينتحلونه ؛ فإن تولوا بعد معرفته فأولئك هم الفاسقون.

فإن جمعوا مع التولي تكذيبه ؛ فإن جمعوا مع التكذيب الاستهزاء ؛ فإن جمعوا مع ذلك عداوته الشديدة ، فإن أضافوا إلى ذلك تكفير من صدق كتابهم ونبيهم ، واستحلال دمه وماله ، فإن أضافوا إلى ذلك كله اتباع دين المشركين أعداء نبيهم ؛ ونصروه بما قدروا عليه ، وبذلوا النفوس والأموال في نصرته ؛ وعداوة دين نبيهم وإزالته من الأرض ، حتى لا يذكر فيها ، فالله المستعان.

وسئل عن قوله تعالى : (ومن دخله كان آمنا) [آل عمران : ٩٧] هل المراد منه ــ عند الموت ــ من الكفر ، عند عرض الأديان ؟ أم المراد منه : أنه إذا أحدث حدثاً لا يقص منه ما دام في الحرم ؟.

فأجاب : التفسير المعروف ، في أن الله جعل الحرم بلداً آمناً قدراً وشرعاً ؛ فكانوا في الجاهلية يسفك بعضهم دم بعض خارج الحرم ، فإذا دخل الحرم صافى الرجل قاتل أبيه لم يهجه ، وحرمته في الإسلام كذلك أو أشد.

لكن إذا أصاب رجل حداً خارج الحرم ثم لجأ إليه ، فهل يكون آمنا لا يقام عليه فيه الحد أم لا ؟ فيه نزاع ، وأكثر السلف على أنه يكون آمنا ، كما نقل عن ابن عمر وابن عباس

وغيرهما ، وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد وغيرهما ، وقد استدلوا بهذه الآية ، وبقول النبي ﷺ في الحديث : « إنها لم تحل لأحد قبلي ، ولا تحل لأحد بعدي ».

قال الشيخ : محمد بن عبد الوهاب ، رحمه الله تعالى :
ومن قوله : (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب) إلى قوله (وما الله يريد ظلماً للعالمين) [آل عمران : ١٠٠ ، ١٠٨].

الأولى : سبب النزول يدل على شدة الحاجة لها ، فإذا احتاجوا فكيف بغيرهم ؟! الثانية : الخوف على مثلهم الردة بذلك ، فكيف بمن دونهم ؟! الثالثة : أن فيمن أوتى الكتاب من يدعو إلى الردة ، مثلما أن فيهم من يدعو إلى الله.

الرابعة : التصريح بأن ذلك بعد الإيمان ؛ الخامسة : لطف الله تعالى بعبده بدعوتهم بهذا الوصف ؛ السادسة : استبعاد الكفر ممن تتلى عليهم آيات الله وفيهم رسوله ، فإذا مضت الثانية فالأولى باقية.

السابعة : أن آيات الله لا نظير لها في دفع الشر في سائر الكلام ، كما أن رسوله لا نظير له في سائر الأشخاص في دفع ذلك ؛ الثامنة : الرد على أعداء الله الذين يزعمون أن القرآن لا يفهم معناه.

التاسعة : أن الاعتصام بحبل الله جامع ؛ العاشرة : أن الطرق فيها المعوج وفيها المستقيم ؛ الحادية عشر : ذكر حق تقاته ؛ الثانية عشر : لطافة الخطاب ؛ الثالثة عشر لزوم

الإسلام إلى الممات ؛ الرابعة عشر : فيه التنبيه على قوله « لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » لأن ذلك سبب النزول.

الخامسة عشر : كون الإسلام طاعة الرسول ومعصية أولئك ؛ السادسة عشر : خوفك من الردة وإن كنت من الصالحين ؛ السابعة عشر : ذكر الاعتصام بحبل الله، وهو القرآن ؛ ففيه دليل على أنه عصمة ؛ الثامنة عشر : الأمر بالاجتماع على ذلك.

التاسعة عشر : تأكيده ما تقدم بالنهي عن الافتراق، وفيه تذكيرهم بالنعمة التي هم فيها بعد تلك البلية ؛ العشرون : تذكيرهم بالنعمة العظمى، وهي : انقاذهم من النار بعد أن كانوا على شفا حفرة منها ؛ الحادية والعشرون : ذكره هذا البيان الواضح في آياته ؛ الثانية والعشرون : أن الفائدة في تعليم العلم تذكر المتعلم واهتداؤه.

الثالثة والعشرون : ذكر الأمر بطائفة متجردة للدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ الرابعة والعشرون : تخصيصها بالفلاح ؛ الخامسة والعشرون : نهيهم عن مشابهة الذين تفرقوا، واختلفوا من بعد مجيء الآيات.

السادسة والعشرون : فيه دليل على أن الله ذكر لنا من البينات، في دواء هذا الداء، ما فيه الشفاء ؛ السابعة والعشرون : وعيد من ارتكب هذا المنهي عنه بالعذاب الأليم ؛ الثامنة والعشرون : بياض الوجوه وسوادها.

التاسعة والعشرون : أن الذين اسودت وجوههم ، الذين كفروا بعد إيمانهم ، ففيه أن الواقعة كفر بعد الإيمان أو تجر إليه ؛ الثلاثون : الوعد الجزيل لمن سلم من ذلك ؛ الحادية والثلاثون : التذكر أن هذه النصائح والمواعظ هي آيات الله ؛ الثانية والثلاثون : أنه سبحانه يتلوها على رسوله لأجلنا.

الثالثة والثلاثون : تذكرنا بأن تلك التلاوة بالحق ؛ الرابعة والثلاثون : الاعتذار بأنه لا يريد ظلم أحد من العالمين ؛ الخامسة والثلاثون : تذكيرنا بأن له ما في السماوات وما في الأرض ؛ السادسة والثلاثون : تذكيرنا بالرجوع إليه.

سورة النساء

وقال الشيخ ، محمد رحمه الله : قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى ، قوله : (ما أصابك من حسنة فمن الله) الآية [النساء : ٧٩] بعد قوله : (كلّ من عند الله) لو اقتصر على الجمع أعرض العاصي عن ذم نفسه ، والتوبة من الذنب والاستعاذة من شره ؛ وقام بقلبه حجة إبليس فلم تزده إلا طرداً ، كما زادت المشركين ضلالاً ، حين قالوا : (لو شاء الله ما أشركنا) [الأنعام : ١٤٨].

ولو اقتصر على الفرق لغابوا عن التوحيد ، والإيمان بالقدر ، واللجأ إلى الله في الهداية ؛ كما في خطبته ﷺ « الحمد لله نستعينه ونستغفره » يشكره ويستعينه على طاعته ،

ويستغفره من معصيته ، ويحمده على إحسانه ، ثم قال : « ونعوذ بالله من شرور أنفسنا » إلى آخره لما استغفر من المعاصي استعاذه من الذنوب التي لم تقع.

ثم قال : « ومن سيئات أعمالنا » أي : ومن عقوباتها ، ثم قال : « من يهد الله فلا مضل له » إلخ ، شهادة بأنه المتفرد في خلقه ، ففيه إثبات القضاء الذي هو نظام التوحيد ، هذا كله مقدمة بين يدي الشهادتين ؛ فإنما يتحققان بحمد الله وإعانته ، واستغفاره واللجأ إليه ، والإيمان بأقداره ، فهذه الخطبة عقد نظام الإسلام والإيمان.

وكون الحسنات من الله ، والسيئات من النفس ، له وجوه : الأول : أن النعم تقع بلا كسب ؛ الثاني : أن عمل الحسنات من إحسان الله إلى عبده فخلق الحياة ، وأرسل الرسل ، وحبب إليهم الإيمان ، وإذا تدبرت هذا ، شكرت الله فزادك ، وإذا علمت أن الشر لا يحصل إلا من نفسك تبت فزال.

الثالث : أن الحسنة تضاعف ؛ الرابع : أن الحسنة يحبها ويرضاها ، فيحب أن ينعم ويحب أن يطاع ، ولهذا تأدب العارفون ، فأضافوا النعم إليه ، والشر إلى محله ، كما قال إمام الحنفاء : (الذي خلقني فهو يهدين) إلى قوله (وإذا مرضت فهو يشفين) [الشعراء : ٧٨ ــ ٨٠].

الخامس : أن الحسنة مضافة إليه ، لأنه أحسن بها بكل اعتبار ، وأما السيئة فما قدرها إلا لحكمة ؛ السادس : أن

الحسنات أمور وجودية متعلقة بالرحمة والحكمة ، لأنها إما فعل مأمور ، أو ترك محظور ، والترك أمر وجودي ، فتركه لما عرف أنه ذنب ؛ وكراهته له ومنع نفسه منه أمور وجودية ، وإنما يثاب على الترك على هذا الوجه.

وقد جعل النبي ﷺ البغض في الله ، من أوثق عرى الإيمان ، وهو أصل الترك ؛ وجعل المنع لله من كمال الإيمان ؛ وهو أصل الترك ، وكذلك براءة الخليل من قومه المشركين ومعبوديهم ؛ ليست تركاً محضاً ، بل صادراً عن بغض وعداوة ، وأما السيئات فمنشؤها الظلم والجهل.

وفي الحقيقة كلها ترجع إلى الجهل ، وإلا فلو تم العلم بها لم يفعلها ، فإن هذا خاصة العقل ؛ وقد يغفل عن هذا كله ، بقوة وارد الشهوة ، والغفلة والشهوة أصل الشر ، كما قال تعالى : (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه) الآية [الكهف : ٢٨].

السابع : أن ابتلاءه له بالذنوب عقوبة له على عدم فعل ما خلق له وفطر عليه ؛ الثامن : أن ما يصيبه من الخير والنعم ، لا تنحصر أسبابه من إنعام الله عليه ؛ فيرجع في ذلك إلى الله ، ولا يرجو إلا هو ، فهو يستحق الشكر التام الذي لا يستحقه غيره ، وإنما يستحق من الشكر جزاء على ما يسره الله على يديه، ولكن لا يبلغ أن يشكر بمعصية الله ، فإنه المنعم بما لا يقدر عليه مخلوق ، ونعم المخلوق منه أيضاً ، وجزاؤه على الشكر ، والكفر ، لا يقدر أحد على مثله.

فإذا عرف أن : (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده) [فاطر : ٢] صار توكله ورجاؤه إلى الله وحده ؛ وإذا عرف ما يستحقه من الشكر الذي يستحقه ، صار[1] له والشر انحصر سببه في النفس ، فعلم من أين يؤتى ، فتاب واستعان بالله ؛ كما قال بعض السلف ، لا يرجون عبد إلا ربه ، ولا يخاف إلا ذنبه ، وقد تقدم قول السلف ــ ابن عباس وغيره ــ إن ما أصابهم يوم أحد مطلقاً كان بذنوبهم لم يستثن أحد ، وهذا من فوائد تخصيص الخطاب ؛ لئلا يظن أنه عام مخصوص.

التاسع : أن السيئة إذا كانت من النفس ؛ والسيئة خبيثة كما قال تعالى : (الخبيثات للخبيثين) الآية [النور : ٢٦] ، قال جمهور السلف : الكلمات الخبيثات للخبيثين ؛ وقال : (ومثل كلمة خبيثة) [إبراهيم : ٢٦] وقال : (إليه يصعد الكلم الطيب) [فاطر : ١٠] والأقوال والأفعال صفات بالقائل الفاعل ؛ فإذا اتصفت النفس بالخبث ، فمحلها ما يناسبها.

فمن أراد أن يجعل الحيات يعاشرن الناس كالسنانير لم يصلح ؛ بل إذا كان في النفس خبث طهرت حتى تصلح للجنة ، كما في حديث أبي سعيد الذي في الصحيح ، وفيه « حتى إذا هذّبوا ونقّوا ، أذن لهم في دخول الجنة ».

---

(١) بياض.

فإذا علم الإنسان : أن السيئة من نفسه ، لم يطمع في السعادة التامة ، مع ما فيه من الشر ؛ بل علم تحقيق قوله : (من يعمل سوءاً يجز به) [النساء : ١٢٣] (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) إلخ [الزلزلة : ٧ ، ٨] وعلم : أن الرب عليم حليم عدل ، وأفعاله على قانون العدل والإحسان ، كما في الصحيح « يمين الله ملأى » إلى قوله : « والقسط بيده الأخرى » وعلم فساد قول الجهمية ، الذين يجعلون الثواب والعقاب بلا حكمة ولا عدل ، إلى أن قال:

ومن سلك مسلكهم غايته إذا عظم الأمر والنهي ، أن يقول كما نقل عن الشاذلي : يكون الجمع في قلبك مشهوداً ، والفرق على لسانك موجوداً ؛ كما يوجد في كلامه وكلام غيره ، أقوال وأدعية ، تستلزم تعطيل الأمر والنهي ، مما يوجب أن يجوز عنده (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض) [ص : ٢٨].

ويدعون بأدعية فيها اعتداء ، كما في : « حزب الشاذلي » وآخرون من عوامهم ، يجوزون أن يكرم الله بكرامات الأولياء لمن هو فاجر أو كافر ، ويقولون : هذه موهبة ، ويظنونها من الكرامات ، وهي من الأحوال الشيطانية ، التي يكون مثلها للسحرة والكهان ، كما قال تعالى : (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم) إلى قوله : (هاروت وماروت) [البقرة : ١٠١ ، ١٠٢] وصح قوله : « لتتبعن سنن من كان قبلكم ».

فعدل كثير من المنتسبين إلى الإسلام ، إلى أن نبذ القرآن وراء ظهره ، واتبع ما تتلوا الشياطين ، فلا يعظم أمر القرآن ونهيه ، ولا يوالى من أمر القرآن بموالاته ، ولا يعادي من أمر القرآن بمعاداته ؛ بل يعظم من يأتي ببعض الخوارق.

ثم منهم من يعرف أنه من الشياطين ، لكن يعظم لهواه ، ويفضله على طريقة القرآن ، وهؤلاء كفار ، قال الله تعالى فيهم : (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) [النساء : ٥١].

وفي قوله تعالى : (من نفسك) [النساء : ٧٩] من الفوائد أن العبد لا يطمئن إلى نفسه ؛ ولا يشتغل بملام الناس وذمهم ؛ بل يسأل الله أن يعينه على طاعته ؛ ولهذا كان أنفع الدعاء وأعظمه دعاء الفاتحة.

وهو محتاج إلى الهدى كل لحظة ؛ ويدخل فيه من أنواع الحاجات ما لا يمكن حصره ، ويبينه : أن الله سبحانه لم يقص علينا في القرآن قصة إلا لنعتبر ؛ وإنما يكون الاعتبار إذا قسنا الثاني بالأول.

فلولا أن في النفوس ما في نفوس المكذبين للرسل ، لم يكن بنا حاجة إلى الاعتبار بمن لا نشبهه قط ، ولكن الأمر كما قال تعالى : (ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك) [فصلت : ٤٣].

وقوله : (أتواصوا به) [الذاريات : ٥٣] وقوله : (تشابهت قلوبهم) [البقرة : ١١٨] ولهذا في الحديث :

« لتسلكن سنن من كان قبلكم ».

وقد بين القرآن : أن السيئات من النفس ؛ وأعظم السيئات جحود الخالق والشرك به ؛ وطلب أن يكون شريكاً له ، وكلا هذين وقع.

قال بعضهم : ما من نفس إلا وفيها من نفس فرعون ، وذلك أن الإنسان إذا اعتبر وتعرف أحوال الناس ، أي من يبغض نظيره وأتباعه حسداً ، كما فعلت اليهود لما بعث الله من يدعو إلى مثل ما دعا إليه موسى ، ولهذا أخبر عنهم بنظير ما أخبر به عن فرعون.

قال الشيخ محمد رحمه الله : في قوله : (يريد الله ليبين لكم ويهديكم) هذا في مقابلة الجهل والضلال ؛ والبيان ضد الجهل ؛ والهدى ضد الضلال ، وقوله : (والله يريد أن يتوب عليكم) في مقابلة الإفراط ، وقوله : (يريد الله أن يخفف عنكم) [النساء : ٢٦ ــ ٢٨] في مقابلة الضعف.

وذكر في تفسير الآية (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم) إلى قوله : (غفوراً رحيماً) [النساء : ٩٧ ــ ١٠٠] إذا كانت نازلة في أناس من السابقين الأولين ، الذين ما يبلغ مد أحدهم ولا نصيفه ، ولكن ما هاجروا بسبب أن أهلهم حبسوهم أولاً وآخراً رفضوا[1].

وخرجوا مع الكفار يوم بدر ، ويودون نصر المسلمين ،

(١) بياض.

ويرفعون عنهم الرمي ، فلما جرى عليهم ما جرى شق على المسلمين ، وقالوا : قتلنا ؛ إخواننا فأنزل الله الآية ، وقيل لهم : (فيم كنتم) من أي الطائفتين ، وتعذروا أنهم مستضعفون وعذرهم ، دليل على أنهم برحوا يدعون أنهم على الدين.

وقيل لهم : (ألم تكن أرض الله واسعة) الآية يعني مالكم عذر (إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا) هذا مما يزيل عن الإنسان إشكالات كثيرة واقعة ، أن من أحب الدين أنه صاحب دين حتى يتوصل أن الذي لا يسبه يمدح.

وقال أيضاً : شيخ الإسلام ؛ في تفسير آيات أشكلت ومنها قوله تعالى : (وعبد الطاغوت) [المائدة : ٦٠] والصواب عطفه على قوله : (مَنْ لعنه الله) فعل ماض معطوف على ما قبله من الأفعال الماضية ، والفاعل الله مظهراً أو مضمراً ، وهذا الفعل اسم من عبد الطاغوت ؛ وهو الضمير في عبد ، ولم يُعِدْ حرف (مَنْ) لأن هذه الأفعال لصنف واحد وهم اليهود.

سورة الأنعام

وقال الشيخ محمد أيضاً رحمه الله تعالى ، وأما قوله تعالى : (قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين ، بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون) [الأنعام : ٤٠ ، ٤١].

فيها من المسائل ، الأولى : أمره سبحانه وتعالى بمحاجّتهم بهذه الحجة الواضحة للجاهل والبليد ، لكن بشرط التفكر والتأمل ، فيا سبحان الله ! ما أقطعها من حجة ؛ وكيف يخالف من أقر بها ؟!

الثانية : إذا تحققت معنى هذا الكلام ، مع ذكر الله تعالى له في مواضع من كتابه ، عرفت الشرك الأكبر وعبادة الأوثان.

وقول بعض أئمة المشركين : إن الذي يفعل في زماننا شرك ، لكنه شرك أصغر ، في غاية الفساد ؛ فلو نقدر أن في هذا أصغر أو أكبر ، لكان فعل أهل مكة مع العزى ، وفعل أهل الطائف مع اللات ، وفعل أهل المدينة مع مناة ، هو الأصغر ، وفعل هؤلاء هو الأكبر ؛ ولا يستريب في هذا عاقل ، إلا إن طبع الله على قلبه.

الثالثة : أن إجابة دعاء مثل هؤلاء ، وكشف الضر عنهم ، لا يدل على محبته لهم ، ولا أن ذلك كرامة ؛ وأنت

تفهم لو يجري شيء من هذا في زماننا ، على يدي بعض الناس ، ما يظن فيه من يدعي العلم ، مع قراءتهم هذا ليلاً ونهاراً.

الرابعة : معرفة العلم النافع ، والعمل الذي لا ينفع ، فمع معرفتهم أنه لا يكشفه إلا الله ، ومع معرفتهم بعجز معبوداتهم ، ونسيانهم إياها ذلك الوقت ، يعادون الله هذه المعاداة ، ويوالون آلهتهم تلك الموالاة ، قال تعالى : (أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون) [النحل : ٧٢].

وأما قوله تعالى : (ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك) إلى قوله : (والحمد لله رب العالمين) [الأنعام : ٤٢ ـ ٤٥] ففيها مسائل ، الأولى : ذكر سنته سبحانه في خلقه ، الثانية : أن ذلك تسليط البأساء وهو القحط والمجاعة ، والضراء ، وهي الأمراض.

الثالثة : أن الله سبحانه أخبرنا بمراده أنه سلط ذلك عليهم ليتوبوا فيحصلون سعادة الدنيا والآخرة ، وليس مراده تعذيبهم على عظم جهالتهم وعتوهم ، كيف لم يتضرعوا لما جاءهم ذلك ، يعرفك أن هذا من أعظم الجهالة والعتو.

الرابعة : ذكر السبب الذي منعهم من ذلك ، مع اقتضاء العقل والطبع له ، وهو قسوة القلب ، وكون عدوهم زين لهم ما أغضب الله عليهم ، فلم يعرفوا قبحها ، بل استحسنوها ؛ الخامسة : أنهم لما فعلوا هذه العظيمة فتحت عليهم أبواب كل شيء ، فيا لها من مسألة!

السادسة : أنهم استبشروا بعذابهم ، كما استبشر قوم لوط بمجيء أضيافه ؛ السابعة : أنه لم يأخذهم حتى وقع الفرح ؛ الثامنة : أن ذلك الأخذ بغتة ؛ التاسعة : أنه بعد تلك النعمة ؛ العاشرة : أنه سبحانه المحمود على إنعامه على أوليائه ونصرهم.

وأما قوله تعالى : ﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ﴾ إلى قوله : ﴿ ولتستبين سبيل المجرمين ﴾ [الأنعام : ٥٠ ــ ٥٥] ففيها مسائل ؛ الأولى : أمر الله سبحانه رسوله أن يخبرهم ، بأنه بريء ممن ادعى خزائن الله ؛ الثانية : إخبارهم البراءة ممن ادعى علم الغيب.

الثالثة : إخبارهم بالبراءة من دعوى أنه ملك ؛ وأنت ترى من ينتسب إلى العلم ، كيف اعتقاده في هذه المسائل المعاكسة ؟ الرابعة : اقتصاره على ما يوحى إليه ، واليوم عند أكثر الناس هو هو.

الخامسة : أن الذي يقتصر على الوحي هو البصير ، وضده الأعمى ، ومن يدعي العلم بالعكس في هذه المسألة ، والتي قبلها ، ولست أعني العمل بل عقيدة القلب ؛ السادسة : حثه سبحانه على التفكر الذي هو باب العلم ، كما حث عليه سبحانه في غير موضع.

السابعة : الإنذار الخاص لهذه الطائفة المنعوتة بهذين الوصفين ؛ الثامنة : أن من فقدهما لم تنفعه النذارة ؛ التاسعة : فائدة الإنذار وثمرته ، واحتياج هذه الطائفة له ؛

العاشرة : النهي عن طرد المتصفين بما ذكر.

الحادية عشر : عظم شأن صلاة العصر والصبح ؛ الثانية عشر : عظمة الإخلاص ؛ الثالثة عشر : كون الأمر اليسير كثيراً كبيراً مع الإخلاص ؛ الرابعة عشر : ذكر القاعدة الكلية المأخوذة منها هذه الجزئية وهي : (لا تزر وازرة وزر أخرى) [الأنعام : ١٦٤].

الخامسة عشر : أن طردهم يخاف أن يوصل الرجل الصالح إلى درجة الظالمين ، ففيه التحذير من أذاء الصالحين ؛ السادسة عشر : حسن النية في ذلك ليس عذراً.

السابعة عشر : أن منعهم الجلوس مع العظماء في مجلس العلم هو الطرد المذكور ؛ الثامنة عشر : ذكر فتنته سبحانه بعض خلقه ببعض ؛ التاسعة عشر : ذكر بعض الحكمة في ذلك ؛ العشرون : أن من ذلك رفعة من لا يظن الناس فيه ذلك.

الحادية والعشرون : أن الدين إن صح فهو المنة العظيمة ، التي لا تساويها منن الدنيا ؛ الثانية والعشرون : أن من الفتنة حرمانه سبحانه ، من لا يظن الناس أنه يحرمه.

الثالثة والعشرون : المسألة العظيمة الكبيرة ، وهي الاستدلال بصفات الله ، على ما أشكل عليك من القدرة ، لأنه سبحانه رد عليهم ما وقع في أنفسهم ، من استبعاد كون الله حرمهم ، وخص هؤلاء بالكرامة.

الرابعة والعشرون : جلالة هذه المسألة ، وهي مسألة

علم الله ، لأنه سبحانه رد بها على الملائكة لما قالوا : (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) الآية [البقرة : ٣٠] ، ورد بها على الكفار الجهال في هذه الآية كما ترى.

الخامسة والعشرون : أنه متقرر عند الكفار عبدة الأوثان منكري البعث ، أن الله سبحانه حكيم يضع الأشياء في مواضعها ، والأشعرية يزعمون أنه لا يفعل شيئاً لشيء.

سئل الشيخ : عبد اللطيف بن عبد الرحمن ، عن قول الشارح الشيخ سليمان على آية الأنعام ، وأن قوله : (ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع) [الأنعام : ٥١] نصب على الحال.

فأجاب : هذا عليه غير واحد من المفسرين ، قال الجلال : وجملة النفي حال من ضمير (يحشروا) وهي محل الخوف ؛ وقال البيضاوي : (ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع) في موضع الحال من يحشروا ، فإن الخوف هو الحشر على هذه الحالة ، وقد سبقهم إلى هذا الزجاج ، وابن كثير حل المعنى ولم يتعرض لإعرابه ، ويظهر مراده من تقرير كلامه.

قال وقوله : (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم) الآية [الأنعام : ٥١] أي : أنذر بهذا القرآن يا محمد (الذين هم من خشية ربهم مشفقون) [المؤمنون : ٥٧] الذين (يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب) [الرعد : ٢١] (الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم) أي يوم القيامة.

(ليس لهم) أي : يومئذ (من دونه ولي ولا شفيع) أي في التقريب له ، ولا شفيع فيهم من عذابه ؛ أن مرادهم : (لعلهم يتقون) أي : أنذر هذا اليوم الذي لا حاكم فيه إلا الله عز وجل (لعلهم يتقون) يعملون في هذه الدار عملاً ينجيهم الله به يوم القيامة من عذابه ، ويضاعف لهم الجزاء من ثوابه ؛ انتهى.

وهو يشير إلى جواز جعلهم صفة لمخلوق دل عليه السياق ؛ والعائد في الجملة الوصفية يكفي تقريره ، كقوله تعالى : (واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً) [البقرة : ٤٨] والبغوي لم يتعرض لتقدير شيء.

وبهذا يظهر الجواب عن قولك : ما يقال في تقريره ؟ فإن الله أمر رسوله أن ينذر بالقرآن عباده المؤمنين ، الذين يؤمنون بلقائه ، ويخافون فيه سوء الحساب ، في يوم لا ولي لهم فيه ولا شفيع من دونه ، لعلهم يتقون ذلك بفعل ما أمروا به ، وترك ما نهوا عنه.

وعلى الأول يخافون الحشر وسوء الحساب ؛ في حال تخليهم وانفرادهم عن الأولياء والشفعاء ، وخصوا بذلك لأنهم هم المنتفعون بالإنذار ، المتقون عذاب ذلك اليوم وعقابه ، بخلاف من تعلق على الأولياء والشفعاء ، واعتمد عليهم في نجاته ، فإنه غير خائف ولا متق ، لسكون جاشه واطمئنان قلبه بوليه وشفيعه ، والله الهادي الموفق.

قال الشيخ : محمد بن عبد الوهاب ، رحمه الله :

قوله تعالى : (قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين ، وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي إليه تحشرون ، وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق) إلى قوله (وهو الحكيم الخبير) [الأنعام : ٧١ ــ ٧٣] .

فيه مسائل : تجاوب بها من أشار عليك بشيء تصير به مرتداً .

الأولى : (أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا) يعني : كيف تدبر عن هذا وتقبل على هذا ؟ الثانية : (ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله) كيف إذا تصور التائه في المهامه التي تهلك إذا هدى إلى الطريق ، ورأى بلده ينحرف على أثره في المهلكة؟

الثالثة : مشابهة من استجاب إلى الغيلان إذا دعته مع علمه بأنها ستهلكه ؛ الرابعة : إذا زعم الداعي أنه ناصح مرشد للهدى ــ مع علمك أنه مضاد لهدى الله ــ قولك : (إن هدى الله هو الهدى) الخامسة : إجابتك إياه أني مأمور بالإسلام لرب العالمين ، كيف أوافقك على التبرؤ من ذلك ؟ ! .

السادسة : أني مأمور بإقام الصلاة ، ولا يمكنني إقامتها

فيما تدعوني إليه ؛ السابعة : أني مأمور بمخافة الله واتقائه ، وأنت تدعوني إلى ترك ذلك ؛ الثامنة : أنك تأمرني بمقاطعة ومعاداة من ليس لي عنه ملاذ.

التاسعة : أن المسألة التي تدعوني إلى تركها هي التي لأجل فعلها خلقت السماوات والأرض ؛ العاشرة : أن الذي تدعوني إلى التهاون بأمره والاستهزاء به ، لا بد من يوم يقول له فيه : كن فيكون ، مع عظم شأن ذلك اليوم.

الحادية عشر : أن (قوله الحق) لا خلاف فيه ، وقد قال فيما تأمرني به من الوعيد ما قال ، وفيما تنهاني عنه من الوعد ما قال ؛ الثانية عشر : أن الملك كله له يوم ينفخ في الصور ، فكيف تؤثر عليه مالاً أو حالاً أو جاهاً أو غير ذلك ؟!

الثالثة عشر : أنه عالم السر وأخفى ، فكيف لي بفعل ما تأمرني به وهو لا يخفى عليه ؟ ! . الرابعة عشر : أنه الحكيم الخبير ، فلا يتصور أنه يشتبه عليه من يعصيه بمن يطيعه ، ولا يتصور أنه يجعل من أطاعه كمن عصاه ، لأنه الحكيم الخبير يضع الأشياء في مواضعها ، والله أعلم.

ونقل عنه أيضاً: وأما قوله تعالى : (قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا) إلى قوله (وهو الحكيم الخبير) [الأنعام : ٧١ ــ ٧٣] ففيه أربعة عشر جواباً لمن أشار عليك ، بموافقة السواد الأعظم على الباطل ؛ لأجل ما فيه من مصالح الدنيا والهرب من مضارها ؛ ولكن ينبغي أن

تعرف أولاً : أن الكلام مأمور به مؤمن فقيه.

فالأول : أن تجيبه بقوله : (قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا) وهذا تصوره كاف في فساده ؛ الثاني : (ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله) وهذا أيضاً كذلك.

الثالث : هذا المثل الذي هو أبلغ ما يرغبك في الثبات ، ويبغض إليك موافقته ؛ الرابع قولك له : إذا زعم أن الهدى في موافقة فلان وفلان بدليل الأكثر ، فتجيبه بقولك : (إن هدى الله هو الهدى).

الخامس : أن تجيبه بقوله : (وأمرنا لنسلم لرب العالمين) فإذا أمرتني بالإسلام لفلان وفلان فالله أمرني بما لا أحسن منه ؛ السادس : أن تقول وأمرنا بإقامة الصلوات ، وهذه خصلة مسلمة لا جدال فيها ، ولا يقيمها إلا الذي أمرتني بتركهم ، والذين أمرتني بموافقتهم لا يقيمونها.

السابع : أنا مأمورون بتقوى الله ، وأنت تأمرني بتقوى الناس ؛ الثامن : أن هذا الذي أمرتني بترك أمره (هو الذي إليه تحشرون) كما قال السحرة لفرعون لما دعاهم إلى ذلك : (إنا إلى ربنا منقلبون) [الأعراف : ١٢٥].

التاسع : أنه (هو الذي خلق السموات والأرض بالحق) وهذا مقتضى ما نهيتني عنه ، والذي تأمرني به يقتضي أنه خلقها باطلاً ؛ العاشر : أن هذا الذي تأمرني بترك أمره ، إليه حشر هذا الخلق العظيم ، ما دونه إلا قوله : (كن فيكون).

الحادي عشر : أن هذا الذي أمرتني بترك أمره (قوله

الحق) وقد قال ما لا يخفى عليك ، ووعد عليه بالخلود في النعيم ، ونهى عما أمرتني به ، وتوعد عليه بالخلود في الجحيم ، وهو لا يقول إلا الحق ، فكيف مع هذا أطيعك ؟ ! .

الثاني عشر : أن (له الملك يوم ينفخ في الصور) فإذا أقررت بذلك اليوم ، وأن عذابه ونعيمه دائمان ، فما ترجو من الشفاعات كلها باطلة ذلك اليوم ، وقد بين تعالى معنى ملكه لذلك اليوم في آخر الانفطار.

الثالث عشر : أنه (عالم الغيب والشهادة) فلا يمكن التلبيس عليه ، بخلاف المخلوق ولو أنه نبي.

الرابع عشر : أنه (هو الحكيم الخبير) فلا يجعل من اتبع أمره ولو خالف الناس ، كمن ضيع أمره موافقة للناس حاشاه من ذلك ، ولهذا يقول الموحدون يوم القيامة ــ إذا قيل لهم : قد ذهب الناس ــ فارقناهم في الدنيا أحوج ما كنا إليهم . . . إلى آخره ، والله أعلم.

وقال أيضاً : قال شيخ الإسلام ، قوله : (قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا) الآية يريد هؤلاء المنحرفون أن يفعلوا بالمؤمنين ، فيدعون من دون الله ما لا ينفع ولا يضر ، ويريدون أن يرتد المؤمنون على أعقابهم ، عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، ويصيرون حائرين كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران.

وقال الشيخ محمد رحمه الله ، ومن قوله تعالى : (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر) إلى قوله : (إن هو إلا ذكرى للعالمين) [الأنعام : ٧٤ ـ ٩٠].

الأولى قوله : (أتتخذ أصناماً آلهة) السؤال عن معنى الآلهة ، فإنها جمع إله ، وهو أعلى الغايات عند المسلم والكافر ، فكيف يتخذ جماداً ؟ ! وهذا أعجب وأبعد عن العقل من جعل الحمار قاضياً ، لأن الحيوان أكمل من الجماد فإذا كان هذا من خشب أو حجر لم يعص الله ، فكيف بمن اتخذ فاسقاً إلهاً ؟ ! مثل نمرود ، وفرعون ؛ فإن كان اتخذه بعد موته فأعجب وأعجب.

الثانية : القدح في حجتهم لأنها السواد الأعظم ، ليس لهم حجة إلا هي ، فيدل على الرسوخ في مخالفتهم بالأدلة اليقينية لقوله : (إني أراك وقومك في ضلال مبين).

الثالثة قوله تعالى : (وكذلك نُري إبراهيم ملكوت السموات والأرض) فإن ذلك من أعظم الأدلة على المسألة ببديهة العقل ، لأن من رأى نخلاً كثيراً لا يتخالجه شك ، أن المدبر له ليس نخلة واحدة منه ، فكيف بملكوت السماوات والأرض.

الرابعة : أن هذا النفي إنما نفي لأجل الإثبات ؛ الخامسة : (وليكون من الموقنين) فلم يكمل غيره حتى كمل ؛ السادسة : عظم مرتبة اليقين عند الله ، لجعله التعليم علة لإيصاله إليه ؛ السابعة : براءته من شركهم ، نفى أولاً

كونها لا تستحق ؛ ونفى ثانياً عن نفسه الالتفات إليها.

الثامنة : نفى النقائص عن ربه ؛ التاسعة : ذكر توجهه الذي هو العمل ؛ العاشرة : ذكر الدليل الذي دله على النفي والإثبات ؛ الحادية عشر : تحقيقه ذلك بكونه حنيفاً ، وهذه المسألة التي قال الله في ضدها : (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) [يوسف : ١٠٦] الثانية عشر : تصريحه لهم بما ذكر ولم يدار مع كثرتهم ووحدته.

الثالثة عشر : تصريحه بالبراءة منهم ، بقوله : (وما أنا من المشركين) الرابعة عشر : قوله : (وحاجه قومه) ولم يذكر حجتهم ، لأن كلامه كاف عن كل ما يقولون.

الخامسة عشر : أنهم لما خصموا رجعوا إلى التخويف كفعل أمثالهم ، فذكر أنه لا يخاف إلا الله ، لتفرده بالضر والنفع ، بخلاف آلهتهم ، فذكر النفي والإثبات ؛ السادسة عشر : سعة القدرة ؛ وهاتان هما اللتان خلق العالم العلوي والسفلي ، لأجل معرفتنا لهما.

السابعة عشر : أن من ادعى معرفتهما وأشكل عليه التوحيد فعجب ، ولذلك قال : (أفلا تتفكرون) الثامنة عشر : قوله : (وكيف أخاف ما أشركتم ؟) إلى آخره ، يدل على أنها حجة عقلية تعرفها عقولهم ؛ التاسعة عشر : قوله : (إن كنتم تعلمون) يدل على أن من أشكلت عليه هذه الحجة فليس له علم.

العشرون : البشارة العظيمة ، والخوف الكثير في

فصل الله هذه الخصومة ، إذا عرف ما جرى للصحابة ، وما فسرها لهم به النبي ﷺ ؛ الحادية والعشرون : تعظيمه سبحانه هذه الحجة بإضافتها إلى نفسه ، وأنه الذي أعطاها إبراهيم ــ عليه السلام ــ عليهم.

الثانية والعشرون : أن العلم بدلائل التوحيد ، وبطلان الشبه فيه ، يرفع الله به المؤمن درجات ؛ الثالثة والعشرون : معرفة أن الرب تبارك وتعالى حكيم يضع الأشياء في مواضعها ؛ الرابعة والعشرون : كونه عليماً بمن هو أهل لها ، كما قال تعالى : (وكانوا أحق بها وأهلها) [الفتح : ٢٦].

الخامسة والعشرون : ذكر نعمته على إبراهيم بالذرية ، التي أنعم عليهم بالهداية ؛ السادسة والعشرون : أن العلم والهداية أفضل النعم ، لقوله : (ونوحاً هدينا من قبل).

السابعة والعشرون : هداية المذكورين ، أصولهم وفروعهم ، ومن في درجتهم ؛ الثامنة والعشرون : ذكره الذي هداهم الله إليه ، وهو الصراط المستقيم ، وهو المقصود من القصة ؛ التاسعة والعشرون : التنبيه على الاستقامة.

الثلاثون : القاعدة الكلية ، أن هذا الطريق هو هدى الله ، ليس للجنة طريق إلا هو ؛ الحادية والثلاثون : التنبيه على أن الهداية إليه بمشيئته ليظهر العجب وتشكر النعمة ؛ الثانية والثلاثون : العظيمة التي لم يعرفها أكثر من يدعي الدين ، وهي مسألة : تكفير من أشرك وحبوط عمله ، ولو كان من أعبد الناس وأزهدهم.

الثالثة والثلاثون : ذكره أنه أعطاهم ثلاثة أشياء : الكتاب ، والحكم ؛ والنبوة ، فلا يرغب عن طريقهم إلا من سفه نفسه ؛ الرابعة والثلاثون : ما في قوله : (فإن يكفر بها هؤلاء) إلى آخره ، من العبر ، والتحريض على الحرص على طلب العلم من طريقهم ، وما فيه من النفور من الجهل وتقسيمه.

الخامسة والثلاثون : قوله : (فبهداهم اقتده) أن دينهم واحد ، وأن شرعهم شرع لنا ؛ السادسة والثلاثون : النهي عن البدع ، فإن في التحريض عليه نهي عن ضده ؛ السابعة والثلاثون : كون النذير البشير مع مقاساة الشدائد في ذلك ، لم يطلب منا أجراً عليه.

الثامنة والثلاثون : كونه ذكرى ، ففيه الرد على من يقرأ بلا تدبر ؛ التاسعة والثلاثون : قوله : (للعالمين) فيه تكذيب من قال : لا يعرفه إلا المجتهد ؛ الأربعون : الحصر فيما ذكر ، والله سبحانه أعلم.

وقال : **قال شيخ الإسلام** : هذه تفسير آيات أشكلت ، حتى لا يوجد في طائفة من كتب التفسير إلا ما هو خطأ.

منها : قوله تعالى : (وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون) والآية بعدها [الأنعام : ١٠٩ ، ١١٠] ، أشكلت قراءة الفتح على كثير ، بسبب أنهم ظنوا أن الآية بعدها جملة مبتدأة ؛ وليس كذلك ، لكنها داخلة في خبر (أن).

والمعنى : إذا كنتم لا تشعرون أنها إذا جاءت لا يؤمنون ،

وأنا أفعل بهم هذا ، لم يكن قسمهم صدقاً ، بل قد يكون كذباً ، وهو ظاهر الكلام المعروف : أنها « أن » المصدرية ؛ ولو كان : (ونقلب) إلى آخره كلاماً مبتدءاً ، لزم أن كل من جاءته آية ، قلب فؤاده ، وليس كذلك ، بل قد يؤمن كثير منهم.

ومنها قوله : (وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) [يونس : ٦٦] ظن طائفة أن (ما) نافية ، وهو خطأ ، بل هي استفهام ، فإنهم يدعون معه شركاء ، كما أخبر عنهم في غير موضع ، فالشركاء يوصفون في القرآن بأنهم يدعون ، لا أنهم يتبعون ، وإنما يتبع الأئمة.

ولهذا قال : (إن يتبعون إلا الظن) ولو أراد النفي ، لقال : إن يتبعون إلا من ليس شركاء ، بل بين أن المشرك لا علم معه ، إن هو إلا الظن والخرص ، كقوله : (قتل الخراصون) [الذاريات : ١٠].

وقال أيضاً : شيخ الإسلام ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، رحمه الله الأولى : ما ذبح لغير الله متقرباً إليه يحرم ؛ وإن قال فيه : بسم الله ، كما يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة ، يتقربون للكواكب ؛ وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال ، لكن يجتمع في الذبيحة مانعان.

ومن هذا ما يفعله الجاهلون بمكة شرفها الله من الذبح للجن ، ولهذا روي عن النبي ﷺ أنه « نهى عن ذبائح الجن » وأيضاً : ما رواه أبو داود في سننه ، عن ابن عباس ، قال :

نهى رسول الله ﷺ عن معاقرة الأعراب ، فقال : « إني أخاف أن تكون مما أهل لغير الله به » .

وعن عبد الله بن الجارود ، قال سمعت الجارود ، قال : كان من بني رباح رجل ــ يقال له سحية بن وثيل ــ شاعر ؛ نافر أبا الفرزدق الشاعر بماء بظهر الكوفة على أن يعقر هذا مائة من إبله ، إذا وردت الماء ، فلما وردت الإبل ، قاما إليها بأسيافهما ، فجعلا ينسفان عراقيبها .

فخرج الناس على الحمير والبغال ، يريدون اللحم ، وعلي رضي الله عنه بالكوفة ، فخرج على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء ، وهو ينادي : يا أيها الناس لا تأكلوا من لحومها ، فإنها أهل بها لغير الله ، فهؤلاء الصحابة قد فسروا ما قصد بذبحه غير الله .

وقال أيضاً ، رحمه الله تعالى : ذكر ثلاث مسائل ؛ الأولى : من ذبح لغير الله فهو مرتد ، فيحصل في الذبيحة مانعان ؛ الثانية : أن ما ذبح لقربان لا يجوز الأكل منه ، وإن ذكر اسم الله فيه ، بخلاف ما ذبح للحم ؛ الثالثة : أن معاقرة الأعراب مما أهل به لغير الله ، كما ذكر عن علي رضي الله عنه .

وذكر في قول الله تعالى : (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا) [الأنعام : ١٣٦] فأعظم الفوائد : كون الجاهلية يجعلون لله نصيباً .

والذي ذكر : أن القبيلة اسمهم خولان ، وهم حاضرة وبادية ، ولهم صنم ، ويجعلون لله بيدراً ، ولآلهتهم بيدراً ، وما طارت به الهوى من الذي لله على الذي للآلهة تركوه ، وقالوا : الله غني وهم فقراء ، وقال الله تعالى : (ساء ما يحكمون).

وأما أهل زماننا فهم أفضح الزكاة[1] وما كان واجباً عليهم لا يلتفتون له ، وأما الذي للشيطان فيحملون قناطير الحديد ؛ وكون أهل الخرج يقولون : يوم البركات تجعل بيدراً ، والنذور بيدراً ، وكون العلماء يتمنون هذا.

سئل بعضهم ، عن قوله تعالى : (وآتوا حقه يوم حصاده) [الأنعام : ١٤١].

فأجاب : وأما ما ذكرت من قول الله تعالى : (وآتوا حقه يوم حصاده) قال بعضهم في الزكاة المفروضة ، ثم رواه أنس بن مالك ؛ وكذا قال ابن المسيب.

وقال العوفي عن ابن عباس ، وذلك أن الرجل إذا زرع فكان يوم حصاده ، لم يخرج منه شيئاً ، فقال الله : (وآتوا حقه يوم حصاده) إلى آخره ؛ وقال الحسن : وهي الصدقة من الحب والثمار ، وقاله قتادة وغير واحد.

وقال آخرون : هي شيء آخر سوى الزكاة ، قال أشعث عن ابن سيرين ونافع ، عن ابن عمر في الآية : كانوا يعطون

---

(١) كذا بالأصل.

شيئاً سوى الزكاة ، وعن عطاء يعطى من حضر يومئذ ما تيسر ، وليست الزكاة.

وقال ابن المبارك : عن سالم عن سعيد بن جبير (وآتوا حقه يوم حصاده) قال : هذا قبل الزكاة ، للمساكين القبضة ؛ والضغث لعلف الدابة ؛ وفي حديث ابن لهيعة عن دارج ، عن أبي الهيثم ، عن سعيد مرفوعاً ، في الآية قال : « ما سقط من السنبل ».

وقال آخرون هذا شيء كان واجباً ، ثم نسخه الله بالعشر ، ونصف العشر ؛ حكاه ابن جرير عن ابن عباس ، وابن الحنفية ، وإبراهيم وغيرهم ، واختاره ــ يعني ابن جرير ــ وقد ذم الله سبحانه الذين يصرمون ولا يتصدقون كما ذكره في سورة نون ؛ انتهى النقل من تفسير ابن كثير.

فقد علمت كلامهم على الآية ، ونقل ابن جرير عن ابن عباس وابن الحنفية وإبراهيم ، وهو اختياره : أنها منسوخة ، يعني بآية الزكاة ؛ وأما الاستحباب فلا يخفى ، وإنما اختلافهم في الوجوب ، فلا ينبغي لمن أعطاه مولاه نعمة أن لا يؤدي حقها ، والمال يعتريه حقوق كثيرة غير الزكاة ، والله أعلم.

سورة الأعراف

قال الشيخ : محمد بن عبد الوهاب ، رحمه الله تعالى : مسائل في سورة الأعراف.

الآيةالأولى[1] ؛ فيها : وصفه بأنه كتاب ؛ الثانية : كونه منزل إلى النبي ﷺ ؛ الثالثة : النهي عن الحرج ؛ الرابعة : فاء التفريع ؛ الخامسة : ذكر الحكمة في ذلك ، وهي الانذار العام ، والذكرى الخاصة.

الآية الثانية : فيها الأمر باتباعه ؛ الثانية : التحريض على ذلك ؛ بأنه منزل إلينا من ربنا ؛ الثالثة : النهي عن اتباع ما سواه ؛ الرابعة : أنه لا بد من هذا وهذا ؛ الخامسة : ذكر أن التذكر منا قليل.

الآية الثالثة : ذكر عقوبات من لم يفعل ؛ الثانية : أن ذلك كثير ؛ الثالثة : أن البأس جاءهم وقت الغفلة ؛ الآية الرابعة فيها : ذكر إقرارهم بالظلم عند نزوله ؛ الثانية : أن ذلك الإقرار ليس لهم دعوى غيره.

الآية الخامسة فيها : أنه لما ذكر عقوبة الدنيا توعد بالحساب ؛ الثانية : أن الحساب متوقف على الرسالة ؛ الثالثة أنه عام حتى المرسلين ؛ وفي الآية السادسة : أنه يقص عليهم ما فعلوا بعلمه ؛ الثانية : أنه شهيد على الجزئيات.

---

(١) أي باعتبار ما فسره رحمه الله ، وإلا فهي الآية الثانية ، وهكذا بقية الآيات الآتية.

وفي الآية السابعة والثامنة : الوعيد بالميزان ؛ الثانية أنه الحق لتقطع الأطماع ؛ الثالثة : أن الفلاح بسبب ثقله ؛ الرابعة : أن الخسارة بسبب خفته ؛ الخامسة ذكر سبب الخفة ؛ الآية التاسعة فيها : ذكر نعمته بالتمكين في الأرض ، الثانية : ذكر نعمته بما فيها من المعايش ؛ الثالثة : ذكر قلة شكرهم.

وفي الآية العاشرة : ذكر نعمة الخلق ؛ الثانية : ذكر نعمة التصوير ؛ الثالثة : ذكر نعمة أمر الملائكة بالسجود لأبينا آدم ، الرابعة : أنهم امتثلوا كلهم ؛ الخامسة إلا بإبليس.

الآية الحادية عشر : فيها سؤال الله إياه عن علة الامتناع ؛ الثانية : تعظيم الفعل بقوله : (إذ أمرتك) الثالثة أن الاستدلال بالعموم صحيح ؛ الرابعة : جواب إبليس أن ذلك لأجل كونه خيراً منه ، لأن الفاضل لا يفعله مع المفضول ؛ الخامسة : الاستدلال على فضيلته عليه بالأصل ؛ السادسة : أن أصل الأبوين مما ذكر.

الآية الثانية عشر فيها : أن كثيراً من شبه أهل الباطل لا يخاض معهم في حلها ، بل جوابهم العقوبة ؛ الثانية قوله : (فاهبط منها) ؛ الثالثة : ذكر العلة ؛ الرابعة : ذكر فاء التفريع ؛ الخامسة : قوله : (فاخرج إنك من الصاغرين) ؛ السادسة : تغليظ شأن الكبر ؛ السابعة : معاقبة العاصي بضد قصده ؛ الثامنة : تغليظ رد النص بالرأي.

وفي الآية الثالثة عشر ، والرابعة عشر : سؤاله النظرة

ولم ينزع إلى التوبة ؛ الثانية : ليزداد معصية ؛ الثالثة : النظر إلى عجيب القدر ، كيف صدر هذا منه مع علمه وعبادته ؟! الرابعة : علمه بالبعث وذكره في ذلك الموطن ، الخامسة : أن إجابة دعاء الداعي في بعض الأحيان ، لا يدل على الكرامة ؛ السادسة : أنه قد يكون نقمة ؛ السابعة : أن طول العمر قد يكون نقمة.

الآية الخامسة عشر ، والسادسة عشر : فيهما الإيمان بالقدر ؛ الثانية : أن الاحتجاج به على المعاصي من طريقة إبليس ؛ الثالثة : ذكر تجرده لهذا الأمر بذكر القعود ؛ الرابعة : أنه قاعد على صراط الله المستقيم ، الخامسة : تفصيله ما أراد فعله ، أنه يأتي من الجهات كلها ؛ السادسة : أن القوة على فعل القبيح والتمدح بذلك من فعله.

السابعة : أن الفاسق قد يعطى من الذكاء ما يصير به من أهل الفراسة ؛ الثامنة : ما في هذا السياق من تقبيح المعصية ؛ التاسعة : ما فيه من تقبيح ترك الشكر ؛ العاشرة : أن الاعتراض على الحكمة بمثل هذا من فعله ؛ الحادية عشر : لو وقع المحذور فالاعتراض به على الحكمة من فعله.

السابعة عشر : إجابته بهذا الجواب ؛ الثانية : أنه خرج في هذه الحال ضد ما طلب ؛ الثالثة : وعيد من اتبعه بالنار ؛ الرابعة : أنها لا تملأ إلا بهم ، ففيه الرد على من زعم أن أطفال المشركين منهم ؛ الخامسة : امتلاؤها مع ما ذكر من عظمتها.

الثامنة عشر : ما ذكر من إكرام آدم وزوجته ؛ الثانية : إباحته لها جميع ما في الجنة إلا شجرة واحدة ؛ الثالثة : تأكيد النهي ؛ الرابعة : ظلم دون ظلم.

وفي التاسعة عشر ، والعشرين ، والحادية والعشرين : ذكر وسوسته لهما ؛ الثانية : ذكر غرضه في ذلك ؛ الثالثة : ذكر تعليله النهي بضده ؛ الرابعة : ذكر حلفه الفاجر ؛ الخامسة : ذكر تدليه إياهما بالغرور ؛ السادسة : أنهما لما فعلا بانت لهما العاقبة.

السابعة : رحمة الله بعبده فيما حجره عليه ، وأنه لم ينهه إلا عما يضره ؛ الثامنة : أن بدو العورة مستقبح شرعاً وعقلاً ؛ التاسعة : تكليم الله لهما ؛ العاشرة : أنه ذكر لهما أنه نصحهما عن الأمرين.

وفي الآية الثانية والعشرين : أن الاعتراف بالذنب هو الصواب ، وهو من أسباب السلامة ؛ الثانية : الاستغفار ؛ الثالثة : المبالغة فيه ؛ الرابعة : أن العاصي لم يظلم إلا نفسه.

وفي الآية الثالثة والعشرين : أمره لهم بالهبوط ؛ الثانية إخباره بعداوة بعضهم لبعض ؛ الثالثة : إخباره لهما بما لهم في الأرض ؛ الرابعة : مضرة المعصية ولو تاب فاعلها منها ؛ الخامسة ، الرد على من قال : بالعصمة.

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

وأما قوله : (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) [الأعراف : ١١ ــ ٣٠] إلى آخر القصة.

قال ابن القيم قال ابن عباس : (ولقد خلقناكم) يعني آدم (ثم صورناكم) لذريته ، ومثال هذا ما قاله مجاهد : (خلقناكم) يعني آدم (وصورناكم) يعني في ظهر آدم ، وفي الحديث المعروف أنه أخرجهم من ظهر آدم في صورة الذر ، ونظيره (فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة) [الحج : ٤] والله سبحانه يخاطب الموجودين، والمراد آباؤهم ، كقوله : (وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) [البقرة : ٥٥] وغير ذلك من الآيات.

وقد يستطرد سبحانه من الشخص إلى النوع ، كقوله : (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين) إلى آخره [المؤمنون : ١٢ ــ ١٦] ، فالمخلوق من سلالة آدم ، ومن نطفة ذريته ، وقيل إن : (صورناكم) لآدم أيضاً ، وقوله تعالى : (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) [ص : ٧٢] فأضاف النفخ إلى نفسه.

وفي الصحيح ــ في حديث الشفاعة ــ « فيقولون أنت آدم خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء » فذكروا له أربع خصائص ، فالمنفوخ منه الروح المضافة إلى الله ، إضافة تخصيص وتشريف ، والله هو الذي نفخ في طينته من تلك

الروح ؛ هذا الذي دل عليه النص.

وأما كون النفخة مباشرة منه سبحانه كما خلقه بيده ، أو أنها بأمره ، كقوله في مريم : (فنفخنا فيها من روحنا) [الأنبياء : ٩١] مع قوله : (فأرسلنا إليها روحنا) إلى آخره [مريم : ١٧ ــ ٢١] فهذا يحتاج إلى دليل ، فإنه أضاف النفخ إلى مريم لكونه بأمره ؛ وإلى الملك لكونه المباشر للنفخ.

وفي القصة فوائد عظيمة ، وعبر لمن اعتبر بها ، منها : أن خلق آدم من تراب من أبين الأدلة على المعاد ، كما استدل عليه سبحانه في غير موضع ، وعلى قدرته سبحانه وعظمته ورحمته وعقوبته ؛ وهيبته وإنعامه وكرمه ، وغير ذلك من صفاته ؛ ومنها : أنها من أدلة الرسل عامة ، ومن أدلة نبوة محمد ﷺ خاصة ؛ ومنها : الدلالة على الملائكة وعلى بعض صفاتهم ؛ ومنها : الدلالة على القدر خيره وشره ، فقد اشتملت على أصول الإيمان الستة في حديث جبريل.

ومنها ــ وهي أعظمها ــ أنها تفيد الخوف العظيم الدائم في القلب ؛ وأن المؤمن لا يأمن حتى تأتيه الملائكة عند الموت تبشره ، وذلك من قصة إبليس وما كان فيه أولاً من العبادة والطاعة ، ففي ذلك شيء من تأويل قوله ﷺ : « إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع » إلى آخره.

ومنها : أن لا يأمن عاقبة الذنب ، ولو كان قبله طاعات كثيرة ، وهو ذنب واحد ، فكيف إذا كانت الذنوب بعدد رمل

عالج ؟! ومن هذا قول بعض السلف : نضحك ولعل الله اطلع على بعض أعمالنا ، فقال : اذهبوا فلا أقبل منكم عملاً ، أو كلاماً هذا معناه.

وأبلغ منه قوله ﷺ : « إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله ، لا يلقى لها بالاً ، ما يظن أن تبلغ ما بلغت ، يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه » قال علقمة : كم من كلام منعنيه حديث بلال ، يعني هذا ؛ ومنها أنها تخلع من القلب داء العجب ، الذي هو أشد من الكبائر.

ومنها ــ وهي من أعظمها ــ أنها تعرف المؤمن شيئاً من كبرياء الله وعظمته وجبروته ؛ ولا يدلى عليه ، ولو بلغ في الطاعة ما بلغ ، وقد وقع في هذه الورطة كثير من العباد ، فمستقل ومستكثر ؛ ومنها : التحذير من معارضة القدر بالرأي ، لقوله : (أرأيتك هذا الذي كرمت علي) [الإسراء : ٦٠] وهذه بلية عظيمة لا يتخلص منها إلا من عصمه الله ، لكن مقل ومكثر.

ومنها ــ وهي من أعظمها ــ تأدب المؤمن من معارضة أمر الله ورسوله بالرأي ، كما استدل بها السلف على هذا الأمر ، ولا يتخلص من هذا إلا من سبقت له من الله الحسنى ، ومنها : عدم الاحتجاج بالقدر عند المعصية ، لقوله : (رب بما أغويتني) [الحجر : ٣٩] بل يقول كقول أبيه : (ربنا ظلمنا أنفسنا) الآية [الأعراف : ٢٣].

ومنها : معرفة قدر المتكبر عند الله ، خصوصاً مع

قوله : (فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها) [الأعراف : ١٣] ومنها الفخر بالأصل ، وقد ورد عن النبي ﷺ التشديد في ذلك ؛ والفخر منهي عنه مطلقاً ، ولو كان بحق ، فكيف إذا كان بباطل؟

ومنها : الشهادة لما كان عليه السلف ، أن البدعة أكبر من الكبائر ، لأن معصية اللعين كانت بسبب الشبهة ، ومعصية آدم بسبب الشهوة ؛ ومنها : عدم الاغترار بالعلم ؛ فإن اللعين كان من أعلم الخلق ، فكان من أمره ما كان.

ومنها : عدم الاغترار بالرتبة والمنزلة ، فإنه كان له منزلة رفيعة ؛ وكذلك بلعام وغيره ممن له علم ورتبة ثم سلب ذلك ، ومنها : معرفة العداوة التي بين آدم وذريته ، وبين إبليس وذريته ، وأن هذا سبباً لما طرد عدو الله، ولعن بسبب آدم لما لم يخضع.

وهذ المعرفة مما يغرس في القلب محبة الرب جل جلاله ، ويدعوه إلى طاعته وإلى شدة مخالفة الشيطان ، لأنه سبحانه ما طرد إبليس ولعنه ، وجعله بهذه المنزلة الوضيعة بعد تلك المنزلة الرفيعة ، إلا لأنه لم يخضع بالسجود لأبينا آدم ، فليس من الإنصاف والعدل موالاته ، وعصيان المنعم جل جلاله ، كما ذكر هذه الفائدة بقوله : (أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً) [الكهف : ٥٠].

ومنها : معرفة شدة عداوة عدو الله لنا ، وحرصه على

إغوائنا بكل طريق ، فيعتد المؤمن لهذا الحرب عدته ، ولا يعلم قوة عدوه وضعفه عن محاربته إلا بمعونة الله ، كما قال قتادة : إن عدواً يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم ، إنه لشديد المؤونة إلا من عصمه الله ، وقد ذكر الله عداوته في القرآن في غير موضع ، وأمرنا باتخاذه عدواً.

ومنها ــ وهي من أعظمها ــ معرفة الطرق التي يأتينا منها عدو الله ، كما ذكر الله تعالى عنه في القصة ، أنه قال : (لأقعدن لهم صراطك المستقيم ، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم) [الأعراف : ١٦ ، ١٧] وإنما تعرف عظمة هذه الفائدة ، بمعرفة شيء من معاني هذا الكلام ، قال جمهور المفسرين : انتصب صراط بحذف « على » التقدير لأقعدن لهم على صراطك.

قال ابن القيم : والظاهر أن الفعل مضمر ، فإن القاعد على الشيء ملازم له ، فكأنه قال : لألزمنه ولأرصدنه ونحو ذلك ، قال ابن عباس : دينك الواضح (ومن بين أيديهم) يعني الدنيا والآخرة (ومن خلفهم) يعني الآخرة والدنيا (وعن أيمانهم) قال ابن عباس : أشبه عليهم أمر دينهم ؛ وعنه أيضاً من قبل الحسنات ؛ وقوله : (وعن شمائلهم) الباطل أرغبهم فيه ، قال الحسن : السيئات يحثهم عليها ويزينها في أعينهم.

قال قتادة : أتاك الشيطان يا ابن آدم من كل وجه ، إلا أنه لم يأتك من فوقك ، ولم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله ؛ وهو يوافق قول من ذكر هذه الأوجه ، للمبالغة في

التوكيد ، أي : أتصرف لهم في الإضلال من جميع جهاتهم ؛ ولا يناقض ما ذكر السلف ، فإن ذلك على جهة التمثيل ، فالسبل التي للإنسان أربعة فقط.

فإنه تارة يأخذ على جهة شماله ، وتارة على يمينه ، وتارة أمامه ، وتارة يرجع خلفه ، فأي سبيل من هذه سلكها وجد الشيطان عليها راصداً له ، فإن سلكها في طاعة ثبطه ؛ وإن سلكها بالمعصية حداه ؛ وأنا أمثّل لك مثالاً واحداً لما ذكر السلف ، وهو : أن العدو الذي من بني آدم ، إذا أراد أن يمكر بك ، لم يستطع أن يمكر إلا في بعض الأشياء ، وهي الأشياء الغامضة ، والأشياء التي ليست بعالية.

فلو أراد أن يمكر بك في أمر واضح بين ، مثل التردي من جبل ؛ أو بئر وأنت ترى ذلك لم يستطع ، خصوصاً إذا عرفت أنه قد مكر بك مرات متعددة ، ولو أراد ليمكر بك لتتزوج عجوزاً شوهاء ، وأنت تراها لم يستطع ذلك.

وأنت ترى اللعين ــ أعاذنا الله منه ــ يأتي الآدمي في أشياء واضحة بينة أنها من محارم الله ، فيحمله عليها حتى يفعلها ؛ ويزينها في عينه حتى يفرح بها ، ويزعم أن فيها مصلحة ويذم من خالفه ؛ كما قال تعالى : ﴿ لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ﴾ الآية [آل عمران : ١٨٨].

وقوله : ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ﴾ [البقرة : ٤٢] وقوله : ﴿ ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ﴾ [البقرة : ١٠٢] وهذا معنى قول

من قال : (من بين أيديهم) من قبل الدنيا فإنهم يعرفونها وعيوبها ومجمعون على ذمها ، ثم مع هذا لأجلها قطعوا أرحامهم ، وسفكوا دماءهم ، وفعلوا ما فعلوا ، وهذا معنى قول مجاهد (من بين أيديهم) من حيث يبصرون.

فهو لم يقنع بإتيانه إياهم من الجهة التي يجهلون أنها معصية ، مثل ما فسر به مجاهد (من خلفهم) قال : من حيث لا يبصرون ، ولا من جهة الغيب ، كما قال فيها بعضهم ، الآخرة أشككهم فيها ، لم يقنع بذلك عدو الله ، حتى أتاهم في الأمور التي يعرفونها عياناً ، أنها النافعة ، وضدها الضار ، وفي الأمور التي يعرفون أنها سيئات وضدها حسنات ، ومع هذا فأطاعوه في ذلك ، إلا من شاء الله منهم ، كما قال تعالى : (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين) ، [سبأ : ٢٠].

وقال تعالى ، حكاية عنه : (وقال لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً ، ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) الآية [النساء : ١١٨ ، ١١٩] قال الضحاك : مفروضاً معلوماً ، وحقيقة الفرض التقدير ، والمعنى : أن من اتبعه فهو نصيبه المفروض ؛ فالناس قسمان ، نصيب الشيطان ومفروضه ، وحزب الله وأولياؤه.

قوله : (ولأضلنهم) يعني عن الحق (ولأمنينهم) قال ابن عباس : تسويف التوبة وتأخيرها ، وقال الزجاج : أجمع

لهم مع الإضلال أن أوهمهم أنهم ينالون مع ذلك حظهم من الآخرة ، وقوله : (ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام) البتك القطع. وهو ههنا قطع آذان البحيرة.

وقوله : (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) قال ابن عباس : دين الله ، وقاله ابن المسيب والحسن وإبراهيم وغيرهم ؛ ومعنى ذلك : أن الله فطر عباده على الفطرة وهي الإسلام ، كما قال تعالى : (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها) الآية [الروم : ٣٠].

وفي الصحيح : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه. . . » الحديث ، فجمع ﷺ بين الأمرين ، تغيير الفطرة بالتهويد وغيره ، وتغيير الخلقة بالجدع ، وهما اللذان أخبر إبليس أنه لا بد أن يغيرهما.

ثم قال تعالى : (يعدهم ويمنيهم) فوعده ما يصل إلى قلب الإنسان ، نحو : سيطول عمرك وتنال من الدنيا وتعلو ، والدنيا دول وستكون لك ، ويطول أمله ، ويعده الحسنى على شركه ومعاصيه ، ويمنيه الأماني الكاذبة على اختلاف وجوهها ؛ فالوعد في الخير ، والتمنية في الطلب والإرادة.

ومنها : أن معرفة هذه القصة تزرع في قلب المؤمن حب الله تعالى ، الذي هو أعظم النعم على الإطلاق ، وذلك من صنعه سبحانه بالإنسان وتشريفه ؛ وتفضيله إياه على الملائكة ، وفعله بإبليس ما فعل لما أبى أن يسجد له ، وخلقه إياه بيده ونفخه فيه من روحه ؛ وإسكانه جنته.

وقد خاطب الله سبحانه بني إسرائيل الموجودين في زمن النبي ﷺ بما فعل مع آبائهم ، وذكرهم بذلك واستدعاهم به ، وذكرهم أنه فعله بهم ، كقوله : (وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) [البقرة : ٥٠] وغير ذلك.

وذكر النعم التي هي أصل الشكر الذي هو الدين لأن شكرها مبني على معرفتها وذكرها ، فمعرفة النعم من الشكر ، بل هي أم الشكر ، كما في الحديث : « من أسدى إليه معروف فذكره فقد شكره ، فإن كتم فقد كفره » هذا في الأشياء التي تصدر من بني آدم ، فكيف بنعم المنعم على الحقيقة والكمال؟

واجتمع الصحابة يوماً في دار يتذاكرون ما منّ الله عليهم به ، من بعثة محمد ﷺ ، وجلس الفضيل وابن أبي ليلى يتذاكرون.

ومنها : أن التأويل الفاسد في رد النصوص ليس عذراً لصاحبه ، كما أنه سبحانه لم يعذر إبليس في شبهته التي ألقاها ، كما لم يعذر من خالف النصوص متأولا مخطئاً ، بل كان ذلك التأويل زيادة في كفره.

ومنها : أن مثل هذا التأويل ليس على أهل الحق أن يناظروا صاحبه ، ويبينوا له الحق ، كما يفعلون مع المخطىء المتأول ؛ بل يبادر إلى عقوبته بالعقوبة التي يستحقها بقدر

ذنبه ؛ وإلا أعرض عنه إن لم يقدر عليه ؛ كما كان السلف الصالح يفعلون هذا وهذا.

فإنه سبحانه لما أبدى له إبليس شبهته فعل به ما فعل ؛ ولما عتب على الملائكة في قيلهم ، أبدى لهم شيئاً من حكمته وتابوا ؛ وقد وقعت هذه الثلاث لرسول الله ﷺ في غزوته التي فتح الله فيها مكة ، فإنه لما أعطى المؤلفة قلوبهم ، ووجدت عليه الأنصار عاتبهم واعتذروا وقبل عذرهم ، وبين لهم شيئاً من الحكمة.

ولما قال له ذلك الرجل العابد اعدل ، قال له كلاماً غليظاً ؛ واستأذنه بعض الصحابة في قتله ولم ينكر عليه ؛ لكن ترك قتله لعذر ذكره ، ولما فعل خالد بن الوليد ببني جذيمة ما فعل ، رد عليهم ما أخذ منهم ووداهم، ولا نعلم أنه عاتب خالداً ولا منعه ذلك من تأميره على الناس.

ومنها : أن الشبهة إذا كانت واضحة البطلان ، لا عذر لصاحبها ، فإن الخوض معه في إبطالها تضييع للزمان ، وإتعاب للحيوان ، مع أن ذلك لا يردعه عن بدعته ، وكان السلف لا يخوضون مع أهل الباطل في رد باطلهم ، كما عليه المتأخرون ، بل يعاقبونهم إن قدروا ، وإلا أعرضوا عنهم ، وقال أحمد لمن أراد أن يرد عليهم : اتق الله ولا تنصب نفسك لهذا ، فإن جاءك مسترشد فأرشده.

وهو سبحانه لما قال اللعين : (أنا خير منه) ، (قال فاخرج منها فإنك رجيم) [ص : ٧٦ ، ٧٧] ولما قالت

الملائكة ما قالت (قال إني أعلم ما لا تعلمون) [البقرة : ٣٠] ثم بين لهم ما بين حتى أذعنوا.

ومنها : معرفة قدر الإخلاص عند الله ، وحماية الله لأهله ، لقول اللعين : (إلا عبادك منهم المخلصين) [ص : ٨٣] فعرف عدو الله أنه لا سبيل له على أهل الإخلاص.

ومنها : أن كشف العورة مستقر قبحه في الفطر والعقول ، لقوله : (فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما) [الأعراف : ٢٠] وقد سماه الله فاحشة.

ومنها : أنه لا ينبغي للمؤمن أن يغتر بالفجرة ، بل يكون على حذر منهم ، ولو قالوا ما قالوا ، خصوصاً أولياء الشيطان ، الذين تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته ، فإن اللعين حلف (إني لكما لمن الناصحين) [الأعراف : ٢١].

ومنها : أن زخرفة القول قد تخرج الباطل في صورة الحق ، كما في الحديث « إن من البيان لسحراً » فإن اللعين زخرف قوله بأنواع ، منها : تسمية الشجرة شجرة الخلد ؛ ومنها : تأكيد قوله: (إني لكما لمن الناصحين) وغير ذلك مما ذكر في القصة ، فينبغي للمؤمن أن يكون من زخرف القول على حذر ، ولا يقنع بظاهره حتى يعجم العود.

ومنها : أن في القصة شاهداً لما ذكر في الحديث « إن من العلم جهلا » أي : من بعض العلم ما العلم به جهل ،

والجهل به هو العلم ؛ فإن اللعين من أعلم الخلق بأنواع الحيل ، التي لا يعرفها آدم ، مع أن الله علمه الأسماء كلها ، فكان ذلك العلم من إبليس هو الجهل ؛ وفي الحديث : إن الفاجر خب لئيم ، وإن المؤمن غر كريم.

وأبلغ من ذلك وأعم منه قول الملائكة : (أتجعل فيها من يفسد فيها) [البقرة : ٣٠] فقيل لهم ما قيل وعوتبوا ، فكانت توبتهم أن قالوا : (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا) [البقرة : ٣٢] فكان كمالهم ورجوعهم عن العتب ، وكمال علمهم : أن أقروا على أنفسهم بالجهل ، إلا ما علمهم سبحانه ، ففي هذه القصة شاهد للقاعدة الكبرى في الشريعة المنبه عليها في مواضع ، منها قوله ﷺ : « وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها ».

ومنها : أنه لا ينبغي للمؤمن أن يغتر بخوارق العادة ، إذا لم يكن مع صاحبها استقامة على أمر الله ، فإن اللعين أنظره الله تعالى ، ولم يكن ذلك إلا إهانة له وشقاء له ، وحكمة بالغة يعلمها الحكيم الخبير ، فينبغي للمؤمن أن يميز بين الكرامات وغيرها ، ويعلم أن الكرامة هي لزوم الاستقامة.

ومنها : أن الأمور التي يحرص عليها أهل الدنيا ، قد تكون عقوبة ومحنة ، والجاهل يظنها نعمة ، مثل المال والجاه وطول العمر ؛ فإن الله أعطى اللعين من النظرة ما أعطاه.

ومنها : أن يعلم المؤمن أن الذنوب كثيرة ، ولا نجاة له منها إلا بمعونة الله وعفوه ، وأن كثيراً منها قد لا يعلمه من

نفسه ، فإن أكثر الكبائر القلبية مثل الرياء والكبر والحسد ؛ وترك التوكل والإخلاص وغير ذلك ، قد يتلطخ بها الرجل وهو لا يشعر ، ولعله يتورع عن بعض الصغائر الظاهرة ، وهو في غفلة عن هذه العظائم ؛ ومنها : أن يعرف قدر معصية الحسد ، وكيف آل باللعين حسده إلى أن فعل به ما فعل.

ومنها ــ وهو من أحسنها ــ أن يعرف صحة ما ذكر عن بعض السلف : أن من لم يجاهد في سبيل الله ، ابتلى بالجهاد في سبيل الشيطان ؛ ومن بخل بإنفاقه المال في طاعة الله ، ابتلى بإنفاقه في المعاصي وفيما لا ينفعه ، ومن لم يمش في طاعة الله خطوات ، مشى في معصية الشيطان أميالاً[1] وأشباه ذلك.

والدليل من القصة أبلغ من هذا بكثير ، فإن اللعين أبى أن يسجد لزعمه أن ذلك نقص في حقه ، ثم صار بعد ذلك يكدح جهده في القيادة والدياثة وأنواع الرذائل ؛ ومنها : أن في القصة معنى قوله ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » إلى آخره.

ومن ذلك قوله حكاية عن إبليس : (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) [النساء : ١١٩] فإنهم ذكروا في معناه ، أي: آمرهم بتغيير خلق الله ، وهي فطرته التي فطر عباده عليها ، وهي الإسلام لله وحده لا شريك له.

---

(١) كالحسد والكبر والإباء.

ومنها : أن فيها معنى القاعدة الكبرى في الشريعة ، المذكورة في مواضع ؛ منها : قول النبي ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » وهي من قوله : (ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام) فإنهم ذكروا أن معناه : قطع آذان البحيرة تقرباً إلى الله ، على عادات الجاهلية .

ومنها : أنها تفيد المعنى العظيم المذكور في قوله تعالى : (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) [الأنفال : ٢٤] وما في معناه من النصوص ، وذلك مستفاد من صنع اللعين ؛ فإنه مع علمه بجبروت الله وأليم عذابه ، وأنه لا محيص له عنه ؛ ويعرف من الأمور ما لا يعرفه كثير من أهل العلم ، ومع ذلك لم يتب ولم يرجع ، بل أصر وعاند ، وطلب النظرة لأجل المعصية مع علمه بعقابه وعدم مصلحته من فعله ، وهذا باب عظيم من معرفة الرب وقدرته ، وتقليبه القلوب كيف يشاء ، وتيسيره كل عبد لما خلق له فيفعله باختياره .

ومنها : أن الله سبحانه قد يعاقب العبد إذا غضب عليه ، بعقوبات باطنة في دينه وقلبه ، لا يعرفها الناس ، مع إمداده إياه في الدنيا ، كما قال تعالى : (فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه) [التوبة : ٧٧] كما فعل إبليس ؛ ومنها : أن فيها شهادة لما ذكر عن بعض السلف ، أن من عقوبة السيئة السيئة بعدها .

ومنها : أنها تفيد القاعدة المعروفة ، أن الجزاء من

جنس العمل ، وذلك أنه قصد الترفع ، فقيل له : (اخرج إنك من الصاغرين) [الأعراف : ١٣] فقصد العز فأذله الله بأنواع من الذل ؛ ومنها : الشهادة لصحة الكلام المذكور عن بعض السلف ، في قوله : والله إن معالجة التقي التقوى : أهون من معالجة غير التقي الناس ، وقول من قال : مصانعة وجه واحد ، أهون من مصانعه ألف وجه.

وبيان ذلك : أن اللعين لما تخيل أن عليه من أمر الله شيئاً من النقص ، فلو قدم طاعة الله وآثرها على هواه وسجد لآدم ، فلو قدر أن ما تخيله صحيح ، وأن ذلك غضاضة عليه ، لكان في جنب ما آتاه من الشر والهوان والصغار جزءاً يسيراً ، فالله المستعان ، فكيف ولو فعل ذلك لكان فيه شرفه وسعادته ، كما هو عادة الله في خلقه : أن من تواضع لله رفعه.

ومنها : أن الفاجر قد يعطيه الله سبحانه كثيراً من القوى والإدراكات في العلوم والأعمال ، حتى في صحة الفراسة ، كما ذكر عن اللعين حين تفرس فيهم أنه يغويهم إلا المخلصين ، فصدق الله فراسته في قوله : (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين) [سبأ : ٢٠].

فإن قيل في الحديث : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » فلا يناقض ما ذكرناه ، بل يدل على أن المؤمن أتم في هذه الخصلة من غيره وأصدق ، كما كان في العلم والإيمان والأعمال والحلم والصبر وغير ذلك ، ولو كان

للفجار شيء من ذلك ؛ ومنها : الشهادة للقاعدة المعروفة في الشريعة ، أن كل عمل لا يقصد به وجه الله فهو باطل ، لاستثنائه المخلصين.

ومنها : الشهادة للقاعدة الثانية ، وهي : أن كل عمل على غير اتباع الرسول غير مقبول ، لقوله في القصة : (اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم مني هدى) الآية [البقرة : ٣٨] فقسم الناس إلى قسمين ، إلى أهل الجنة ، وهم الذين اتبعوا الهدى المنزل من الله ، وأهل الشقاق والضلال ، وهم من أعرض عنه ، فانتظمت هذه القصة لهاتين الآيتين العظيمتين ، اللتين هما أكبر قواعد الشريعة على الإطلاق ؛ القاعدة الأولى فيها حديث عائشة « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ».

وقال أيضاً : المسائل التي ذكر في قصة إبليس وآدم ؛ الأولى ، أن هذين : واحد من خيار الملائكة ، وآدم نبي ، وكل منهما ما عصى غير مرة ، فآدم أكل الحرام ، وإبليس امتنع عن السجود وتكبر ؛ والإنسان كم يقع منه في اليوم من مرة ؟ فإن وقعت من غيرك ما استنكرتها ، ولا تجسر تصلى وراء رجل أكل الحرام ، إلا مال اليتيم ، فهو عندك خفيف والسبب العادة ؛ وأما ذنب إبليس فلا يستنكر ، وأكثر ما يقع الكبر من الرؤساء بعلم أو غيره.

الثانية : كون الإنسان يفتخر بنسبه وهو علة إبليس ، الثالثة : كون الإنسان يدعو بطول العمر ؛ ولو كان فيه زيادة

ما أعطيه إبليس ، وآدم لم يعطه ، وذكر في قوله : (إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله) الآية [الأعراف : ٣٠] لو تصورها في حالة الدنيا ، لو يجيء رجل من الأحساء من أهل الدرعية ومعه مال ، وإذا أقبل على البلاد ، وإذا جمع ابن دواس وجمع أهل الدرعية ، وكونه يذهب إلى ابن دواس[1] .

وقال رحمه الله تعالى : الخامسة والعشرون ، فيها : تذكيره ما يواري السوءات ؛ الثانية : تذكيره بإنزال الريش ؛ الثالثة : تذكيره بإنزال لباس التقوى ؛ الرابعة : إخباره بخير اللباسين ؛ الخامسة : ذكره أن ذلك من آياته ؛ السادسة : ذكره الحكمة في ذلك.

السادسة والعشرون : إخباره وإنذاره عن فتنة الشيطان ؛ الثانية تمثيله بما لا يستطيع أحد دفعه ؛ الثالثة : ما جرى في طاعته من التعب العاجل ؛ الرابعة : نزعه عنهما لباسهما ؛ الخامسة : مراده في ذلك ؛ السادسة : تنبيهنا على هذا المهم ؛ وهو كونهم يروننا ولا نراهم ؛ السابعة : القاعدة الكلية ، وهي من مسائل الصفات.

السابعة والعشرون : فيها إنكاره عليهم هذه الفاحشة ؛ الثانية : الرد على من أنكر التحسين والتقبيح العقلي ؛ الثالثة : إنكار حجتهم الأولى والثانية ؛ الرابعة أمره بالقول الذي فيه تنزيه الله عن ذلك ؛ الخامسة اشتمال هذا الكلام على ما لا

---

(١) أي : وهو عدوه.

يحصى من المسائل ؛ السادسة : أن من معرفة الله نفي ما لا يجوز عليه ؛ السابعة : إنكاره عليهم القول عليه بلا علم.

الثامنة والعشرون والتاسعة والعشرون : الأولى أمره أن نقول هذا الإثبات ؛ الثانية : الاستدلال بالصفات على الأفعال ؛ الثالثة : الاستدلال بالعموم ؛ الرابعة : ذكر أمره بالعدل ؛ الخامسة : إقامة الوجه عند كل مسجد ؛ السادسة : دعوته بالإخلاص ؛ السابعة: ذكر المعاد ؛ الثامنة : الاستدلال عليه بالمبدأ.

التاسعة : ذكر الإيمان بالقدر بذكر الهداية والإضلال العاشرة : الإشارة إلى سبب الأمرين ؛ الحادية عشر : ذكر الأمر العظيم ، وهي : اتخاذهم الشياطين أولياء ؛ الثانية عشر : ذكر حسبانهم أنهم مهتدون ؛ الثالثة عشر : أن ذلك ليس عذراً.

الثلاثون : ذكر الأمر بأخذ الزينة عند كل مسجد ؛ الثانية : ذكر الأكل والشرب ؛ الثالثة : ذكر النهي عن السرف ؛ الرابعة : ذكره أنه (لا يحب المسرفين).

وقال أيضاً : وقوله عز وجل : (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون) إلى قوله : (ويحسبون أنهم مهتدون) [الأعراف : ٢٨ ــ ٣٠].

هذه الآية ذكرها الله سبحانه بعدما رد على الكفار عبادات يتقربون بها إليه ولم يشرعها ؛ منها : أنهم إذا حجوا طافوا

بالبيت عراة ، يقولون : الثياب التي عصينا الله فيها لا نطوف فيها ؛ فقال الله ردّاً عليهم : (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون).

والفاحشة في هذا الموضع إخراج العورة للعبادة ، مثل ما يفعل كثير من الناس ، يكشف عورته للاستنجاء وغيره ينظره ، يريد بالاستنجاء في هذه الحالة التقرب إلى الله ؛ فلما رد عليهم الباطل أخبرهم بالحق الذي شرعه ، فقال : (قل أمر ربي بالقسط) وهو العدل (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) وهو إقامة الصلاة بحقوقها.

(وادعوه مخلصين له الدين) يقول : ادعوه بهذا الشرط (لا تدعوا مع الله أحداً) يقول الأمور التي تعبدوني بها لم آمركم بها ، والأمور التي لم آمركم بها لا تفعلونها ؛ فالظلم والبغي ضد القسط ، وهو جاهكم وسمتكم الذي تبذلون فيه الأعمار والأموال ، وإقامة الوجه عند كل مسجد لا تفعلونها ؛ بل إن فعلتم صليتم صلاة لا تجزىء ، والإخلاص منكر عندكم ، ودينكم الذي ترجون به الثواب هو الشرك.

إذا فهمت هذا فتأمل أحوال من تعرف ونزل هذه الآية على أحوالهم ترى العجب.

ثم قال : (كما بدأكم تعودون) أي : لا بد أن يخلقكم للبعث كما بدأ خلقكم من نطفة ؛ ثم قال : (فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة) فهذا القدر يهدي من يشاء ويضل

من يشاء ، فجمع في هذه الآية : الإيمان بالله ، والإيمان باليوم الآخر ، والإيمان بالشرع والإيمان بالقدر ؛ وذكر فيها تفصيل الشرع الذي أمر به ، وذكر حال من عكس الأمر فجعل المنكر معروفاً والمعروف منكراً.

ثم ختم الآية بهذه المسألة العظيمة ، وهي (أنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون) ، فلا أجهل ممن هرب عن طاعة الله ، واختار طاعة الشيطان ، ومع هذا يحسب أنه مهتد مع هذا الضلال الذي لا ضلال فوقه ، والله أعلم.

وقال أيضاً رحمه الله : الحادية والثلاثون : الإنكار على من حرم الزينة ؛ الثانية : إضافتها إلى الله ، الثالثة تنبيهه على العمل ، بقوله : (من الرزق) ؛ الرابعة : أمره أن نقول هذا القول ؛ الخامسة : ذكر تفصيل الآيات ؛ السادسة ، ذكر أهل هذا التفصيل.

الثانية والثلاثون : أمره أن نقول هذا القول ؛ الثانية ، حصر المحرمات فيما ذكر ؛ الثالثة تحريم الفواحش ؛ الرابعة : تحريم الإثم والبغي بغير الحق ؛ الخامسة : تحريم الشرك ؛ السادسة : ذكر هذا القيد العظيم ؛ السابعة : تحريم القول على الله بلا علم.

سئل الشيخ : عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين ، رحمه الله ، عن قوله تعالى : (ألا له الخلق والأمر) [الأعراف : ٥٤] قال سفيان : فرق الله بين الخلق والأمر

فمن جمع بينهما فقد كفر ؛ ما صفة الجمع ؟.

فأجاب : وأما قول سفيان في قوله : (ألا له الخلق والأمر) فمراده بذلك الرد على من يقول إن كلام الله مخلوق ؛ يقول : إن الله سبحانه وتعالى عطف الأمر على الخلق ، وأمره هو كلامه.

فمن قال : إن كلام الله مخلوق فقد جعل أمره مخلوقاً ، فجمع بين الخلق والأمر ؛ والله سبحانه قد فرق بينهما بعطف الأمر على الخلق ، فالمعطوف غير المعطوف عليه ؛ والمراد بسفيان ، هو : سفيان بن عيينة الإمام المعروف ، رحمه الله تعالى.

هذا كلام الشيخ ابن القيم[1] اختصره الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله تعالى ، على قوله عز وجل : (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين ، ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمة الله قريب من المحسنين) [الأعراف : ٥٥ ، ٥٦] جمعت هذه الآية آداب نوعي الدعاء ، دعاء العبادة ، ودعاء المسألة.

فإن الدعاء في القرآن : يراد به هذا تارة ، وهذا تارة ، ويراد به مجموعهما ؛ وهما متلازمان ؛ فإن دعاء المسألة طلب ما ينفع وطلب كشف ما يضر ، ومن يملك الضر والنفع فهو المعبود ؛ ولهذا أنكر تعالى على من عبد من لا يملك ضراً

---

(١) انظر صفحة ٢ ــ ١٨/ج/٣ من بدائع الفوائد.

ولا نفعاً ؛ فهو سبحانه يدعى للضر والنفع ، دعاء المسألة ؛ ويدعى خوفاً ورجاء دعاء العبادة ؛ فاعلم أن النوعين متلازمان.

وعلى هذا فقوله تعالى : (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب) الآية [البقرة : ١٨٦] وكذلك قوله : (ادعوني أستجب لكم) [غافر : ٦٠] وقوله : (قل ما يعبؤا بكم ربي) الآية [الفرقان : ٧٧] وقوله : (فادعوا الله مخلصين له الدين) [غافر : ١٤] هو دعاء العبادة.

وقول الخليل عليه السلام : (إن ربي لسميع الدعاء) [إبراهيم : ٣٩] فالمراد : سمع الإجابة لا سمع العام ، وهو يتناول النوعين ؛ وسمع الرب إجابته للطلب وإثابته على العبادة ؛ وأما قول زكريا : (ولم أكن بدعائك رب شقياً) [مريم : ٤] فقد قيل : إنه دعاء المسألة ، والمعنى : أنك عودتني الإجابة ولم تشقني بالحرمان ، فهو توسل إليه بإحسانه الماضي.

وقوله : (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى) [الإسراء : ١١٠] فالمشهور : أنه دعاء المسألة ؛ وهو سبب النزول ؛ قال ابن عباس : سمع المشركون النبي ﷺ يقول : يا رحمن يا رحيم ؛ فقالوا : هذا يزعم أنه يدعو إلهاً وهو يدعو إلهين ؛ فأنزل الله هذه الآية.

وأما قوله (إنا كنا من قبل ندعوه) الآية [الطور : ٢٨] فهو دعاء العبادة ؛ والمعنى : إنا كنا نخلص له العبادة ؛ ولهذا

وقاهم عذاب السموم ، لا بمجرد السؤال ، فإنه سبحانه يسأله من في السماوات والأرض ؛ وأما قوله : (ادعوا شركاءكم فدعوهم) الآية [القصص : ٦٤] فهذا دعاء المسألة ، يبكتهم ، ويخبرهم يوم القيامة.

فقوله : (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية) يتناول نوعي الدعاء ، لكنه ظاهر في دعاء المسألة ، متضمن دعاء العبادة ، ولهذا أمر بإخفائه ؛ قال الحسن : بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفاً ، وإن الله تعالى ذكر عبداً صالحاً ورضي بفعله ، فقال : (إذ نادى ربه نداء خفياً) [مريم : ٣] وقال تعالى : (واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة) الآية [الأعراف : ٢٠٥] ، فأمر الله نبيه ﷺ أن يذكره في نفسه.

فذكر التضرع في الآيتين ، وهو التذلل والتمسكن والانكسار ، وهو روح الدعاء والذكر ، وخص الدعاء بالخفية لحكم كثيرة ، وخص الذكر بالخيفة لحاجة الذكر إلى الخوف ، فإن الذكر يثمر المحبة ، والمحبة إن لم يقترن بها الخوف ضرت صاحبها.

ولهذا قال بعض السلف : من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري ، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجىء ، ومن عبده بالجميع فهو مؤمن ؛ وفي آية الذكر قال : (في نفسك) فلم يحتج أن يقول : خفية ، وقال في آية الدعاء : (وادعوه خوفاً وطمعاً) فلم يحتج أن يقول خيفة ؛ وذكر الطمع في آية الدعاء ، الذي هو

الرجاء ، لأن الدعاء مبني عليه.

وقوله تعالى : (إنه لا يحب المعتدين) والاعتداء في الدعاء أنواع ، منها : أن يسأل غير الله أو يدعوا معه غيره ؛ ومنها : أن يسأله ما لا يجوز ، أو ما لا يليق به ، مثل العصمة ؛ ومنها : رفع الصوت بالدعاء ، والآية أعم من هذا ، وإن كان الاعتداء في الدعاء من جملة الاعتداء.

ومن العدوان : أن يسأل غيره متضرعاً ، كالمدل على ربه ؛ ومنها : أن يعبده بما لا يشرعه ؛ وذكر هذا بعد قوله : (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية) دليل على أن من لم يدعه تضرعاً وخفية ، فهو من المعتدين.

وقوله : (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها) قال بعض السلف : بعث الله محمداً ﷺ والفساد قد ملأ الأرض ، فأصلح الله فسادها ، فمن دعا إلى غير ما جاء به محمد ﷺ فقد أفسد في الأرض بعد إصلاحها ؛ وقوله : (وادعوه خوفاً وطمعاً) ذكر الدعاء ثانياً لما ذكر معه من الخوف والطمع.

وقوله : (إن رحمة الله قريب من المحسنين) فيه تنبيه على أن فعل هذا المأمور به هو الإحسان المطلوب منكم ؛ ومطلوبكم أنتم من الله رحمته ، وهي قريب من المحسنين الذين دعوه تضرعاً وخفية وخوفاً وطمعاً ؛ ومفهومه أن رحمة الله بعيد من غير المحسنين.

والإحسان هاهنا هو فعل المأمور به ، سواء كان إلى الناس أو إلى نفسه ، فأعظم الإحسان الإيمان والتوحيد

والتوكل على الله ، وأن يعبده كأنه يراه إجلالاً ومهابة ، وقد قال تعالى : (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) [الرحمن : ٦٠] وقال ابن عباس : هل جزاء من قال لا إله إلا الله ، وعمل بما جاء به محمد ﷺ إلا الجنة.

وقال أيضاً الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، قدس الله روحه ونور ضريحه ، قوله تعالى : (لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه) الآيات [الأعراف : ٥٩ ــ ٦٤] فيه مسائل ؛ الأولى : شيء من تفصيل قوله : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً) [النحل : ٣٦] الثانية معنى قوله : « وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة ».

الثالثة : الملاطفة في الدعوة إلى الله ، لقوله : (يا قوم) أضافهم إلى نفسه ؛ الرابعة : التي أرسلت الرسل وخلقت الخلق لأجلها ؛ الخامسة : تفسير الآية ؛ السادسة : دعاؤهم بالرغبة ؛ السابعة : دعاؤهم بالتخويف.

الثامنة : جواب الملأ لهذا الكلام بهذه الجهالة ؛ التاسعة : كون أهل الباطل ينسبون أهل الحق إلى الجهالة ؛ بل إلى السفاهة ؛ بل إلى السحر ، بل إلى الجنون ؛ العاشرة : حسن جوابه لهم ، ومقابلة الإساءة بالتي هي أحسن ؛ الحادية عشر : تعريفهم بأنهم إنما ردوا وعصوا رب العالمين.

الثانية عشر : تعريفهم بما فيه من الخصال التي لا غناء لهم عنها ؛ الثالثة عشر : تعريفهم أن تلك الخصال لا تقتضي

الحسد ، بل تقتضي المحبة والانقياد ؛ الرابعة عشر : لما عرفهم أن الرسالة التي أتتهم منه ، وعظهم بأنه رب العالمين.

الخامسة عشر : تعريفهم أن هذا الذي استغربوا ، ونسبوا من قاله إلى الجهالة والجنون ، هو : الواجب في العقل ، وهو أيضاً حظهم ونصيبهم من الله ؛ لأنه سبب الرحمة ، ففي هذا الكلام من أوله إلى آخره من تحقيق الحق ، وذكر أدلته العقلية على تحقيقه ، وإبطال الباطل ، وذكر الأدلة العقلية على بطلانه ، ما لا يخفى على من له بصيرة.

السادسة عشر : ذكر أنهم كذبوه مع هذا البيان ، ففصل الله الخصومة بما ذكر أنه فعل بالفريقين ؛ السابعة عشر : ذكر أن ذلك السبب التكذيب بآياته ، فدل على أنه أتاهم بآيات الله ؛ الثامنة عشر : أن السبب في ذلك التكذيب هو العمى والجهالة ، فهي وصفهم لا وصف خصومهم.

وأما قصة عاد[1] : فنذكر ما فيها من الزوائد خاصة ؛ الأولى : تبيين أن أعظم التقوى اتقاء الشرك ؛ الثانية : وصفه الملأ منهم بالكفر ؛ الثالثة : وصفهم نبيهم بالسفاهة التي هي أبلغ من الجهل؛ الرابعة : وصفهم إياه بالكذب ؛ الخامسة : استعطافه إياهم بأمانته.

السادسة : وعظه إياهم بتلك الآية الواضحة العظيمة ؛ السابعة : فيه ما يدل على أنهم يعلمون ذلك ، لقوله :

---

(١) أي : في الأعراف من آية ٦٥ ــ ٧٢.

(واذكروا). الثامنة : وعظه إياهم بتذكيرهم نعمة الله باستخلافهم في الأرض بعد قوم نوح ؛ التاسعة : وعظه بزيادة النعمة على أهل زمانهم بزيادتهم في الخلق بسطة.

العاشرة : ذكر أن ذلك لا يدل على الكرامة ، بل قد يكون السبب للإهانة ؛ الحادية عشر : ذكر أن هذا الذي كرهوه هذه الكراهة هو سبب فلاحهم ؛ الثانية عشر : ذكر ما أجابوه به عن هذا الكلام الذي هو في غاية الحسن ؛ الثالثة عشر : ذكر أن هذا الخلاف بينه وبينهم في توحيد العبادة ، لا في أصل العبادة.

الرابعة عشر : ذكر أن عمدتهم اتباع السواد الأعظم ؛ الخامسة عشر : زيادة العتو بقوله : (فأتنا بما تعدنا) ؛ السادسة عشر : ذكر أن الصدق ممدوح عندهم ، وكذلك الكذب مذموم عندهم ؛ السابعة عشر : ذكر المسألة المهمة ، وهي إنكاره عليهم الاعتماد على ذلك الدليل ، مع كونه لم ينزل فيه نص من الله.

الثامنة عشر : كونه بين لهم كبر جهالتهم كيف تجاسروا على الجدال بذلك ؛ التاسعة عشر : معرفة الأشياء التي لا حقيقة لها من الحقائق ؛ العشرون : كون الشيء معمولاً به قرناً بعد قرن من غير نكير ، لا يدل على صحته ؛ الحادية والعشرون : أمره إياهم بانتظار الوعيد ، الثانية والعشرون : إخباره بانتظارهم الوعد.

وأما قصة ثمود[1] فنذكر ما فيها من الزوائد على القصتين أيضاً ؛ الأولى : وعظه إياهم بالآية العظيمة ؛ الثانية : استعطافهم بذكر ربوبية من جاءت منه لهم ؛ الثالثة : ذكر إضافة الناقة إلى الله ؛ الرابعة : تفسير البينة بهذا ؛ الخامسة : تخصيص الله إياهم بناقته ؛ السادسة : العجب العجاب من كراهتهم الأمر المطلوب منهم ، وهو كف الأذى عن ناقة الله التي فيها من نعم الدين والدنيا لمن قبلها ما لا يظنه الظانون.

السابعة : أنه مع هذا توعدهم بالوعيد الشديد إن لم يكفوا عنها الأذى ؛ الثامنة : تذكيرهم بنعمة الله عليهم بالقصور في السهل ؛ التاسعة : نعمة الله عليهم في هذه القوة العظيمة ، وهي قدرتهم على نحت الجبال بيوتاً ؛ العاشرة : تذكيرهم بنعم الله فدل على أنهم يعرفون ذلك.

الحادية عشر : وعظه إياهم أن الذي ينهاهم عنه هو الفساد في الأرض ، وهو قبيح بإجماع العقلاء ؛ الثانية عشر : ذكر قبح جوابهم لهذه الموعظة البليغة ، التي جمعت لهم خير الدنيا والآخرة ، وحذرتهم من عقوبة الدنيا والآخرة ؛ الثالثة عشر : نعته الملأ منهم بالكبر ؛ الرابعة عشر : أن الذين استجابوا للحق هم الضعفاء ؛ وأما الملأ المستكبرون فهذا جوابهم وفعلهم.

الخامسة عشر : جمعهم بين هذه الثلاث ، عقر الناقة ،

---

(١) أي : في الأعراف من آية ٧٣ ــ ٧٩.

والعتو عن أمر ربهم ، وقولهم لرسولهم هذا ؛ السادسة عشر : ذكر قولهم (إن كنت من المرسلين) فلم يذكر إنكارهم الرسل من حيث الجملة ؛ السابعة عشر : ذكر توليه عنهم لما وقع عليهم ما استعجلوا به ؛ الثامنة عشر : ذكره أنه لم يبق من الحرص على دنياهم وعلى آخرتهم ممكناً ؛ التاسعة عشر : ذكر أن العلة في عدم القبول عدم المحبة للناصح ، لا عدم البيان.

وأما قصة لوط[1] : فنذكر أيضاً ما فيها من الزيادة على القصص الثلاث ؛ الأولى : التصريح أن هذا الفعل لم يفعل قبلهم ؛ الثانية : موعظة نبيهم بذلك ؛ فدل على أنه متقرر عندهم أن أول من ابتدع القبيح ليس كغيره ؛ الثالثة : تعظيم هذه الفاحشة بمخاطبتهم بالاستفهام.

الرابعة : تغليظها بالألف واللام ؛ فدل على الفرق بينها وبين الزنا لقوله : (إنه كان فاحشة) [الإسراء : ٣٢] الخامسة تنبيههم على مخالفة العقول والشهوات ، لقوله : (لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) [الأعراف : ٨١] فتتركون موضع الشهوة مع حسنه عقلاً ونقلاً ، وتستبدلون به غير المشتهى مع قبحه عقلاً ونقلاً.

السادسة : تنبيههم على العلة أنها ليست للشهوة بل للسرف ؛ السابعة : هذا الجواب العجاب تلك النصيحة ،

---

(١) أي : في الأعراف من آية ٨٠ ــ ٨٤.

والبيان بأدلة العقل والنقل ؛ الثامنة : إقرارهم أن آل لوط الطيبون ، وأنهم الأخابث ؛ التاسعة : تصريحهم أن هذا هو الذي نقموا عليهم ، وجعلوه سبباً لإخراجهم من البلد ؛ العاشرة : ما في إهلاك امرأته من الدلالة على التوحيد ؛ والدلالة على أن من أحب قوماً حشر معهم ، وإن لم يعمل عملهم ؛ الحادية عشر : ذكر الأمر بالنظر في عاقبة المجرمين.

وقال أيضاً الشيخ : محمد بن عبد الوهاب ، قال شيخ الإسلام في تفسير آيات أشكلت : ومنها (لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك) الآية [الأعراف : ٨٨] وما في معناها ؛ التحقيق : أن الله سبحانه إنما يصطفي لرسالته من كان خيار قومه حتى في النسب ، كما في حديث هرقل ، ومن نشأ بين قوم مشركين جهال ، لم يكن عليه نقص إذا كان على مثل دينهم ، إذا كان معروفاً بالصدق والأمانة ، وفعل ما يعرفون وجوبه ، وترك ما يعرفون قبحه.

قال تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً) [الإسراء : ١٥] فلم يكن هؤلاء مستوجبين العذاب ، وليس في هذا ما ينفر عن القبول منهم ، ولهذا لم يذكره أحد من المشركين قادحاً ، وقد اتفقوا على جواز بعثة رسول لا يعرف ما جاءت به الرسل قبله من النبوة والشرائع ؛ وأن من لم يقر بذلك بعد الرسالة فهو كافر.

والرسل قبل الوحي لا تعلمه فضلاً عن أن تقر به ، قال تعالى : (ينزل الملائكة بالروح من أمره) الآية [النحل : ٢]

وقال : (يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق) [غافر : ١٥] فجعل إنذارهم بالتوحيد كالإنذار بيوم التلاق ، كلاهما عرفوه بالوحي ؛ وما ذكر أنه ﷺ بغضت إليه الأوثان لا يجب أن يكون لكل نبي ، فإنه سيد ولد آدم.

والرسول الذي نشأ بين أهل الكفر الذين لا نبوة لهم ، يكون أكمل من غيره ؛ من جهة تأييد الله له بالعلم والهدى ؛ وبالنصر والقهر ، كما كان نوح وإبراهيم ، ولهذا يضيف الله الأمر إليهما في مثل قوله : (ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم) الآية [الحديد : ٢٦] (إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم) الآية [آل عمران : ٣٣].

وذلك : أن نوحاً أول رسول بعث إلى المشركين ؛ وكان مبدأ شركهم من تعظيم الموتى الصالحين ، وقوم إبراهيم مبدؤه من عبادة الكواكب ، ذاك الشرك الأرضي ؛ وهذا السماوي ، ولهذا سد ﷺ ذريعة هذا وهذا.

سئل الشيخ : **عبد اللطيف** بن عبد الرحمن عن قوله تعالى : (قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا) [الأعراف : ٨٨] وهم لم يدخلوا فيها ؟!

فأجاب : اعلم أن هذه المسألة شاعت وذاعت ، واشتهرت وانتشرت ، والخلاف فيها قديم بين أهل السنة والمعتزلة ، وبين أهل السنة بعضهم لبعض ، والذي روى ابن أبي حاتم عن عطية عن ابن عباس : كانت الرسل والمؤمنون

يستضعفهم قومهم ويقهرونهم ؛ ويدعونهم إلى العودة في ملتهم ، فأبى الله لرسله والمؤمنين أن يعودوا في ملتهم ملة الكفر ، وأمرهم أن يتوكلوا عليه.

وقد رواه السدي عن أشياخه ، وتأوله عطية على أنه العود إلى السكوت ، كما كانت الرسل قبل الرسالة ، وأنهم كانوا أغفالاً قبل النبوة ، أي : لا علم لهم بما جاءهم من عند الله ؛ قال : وذلك عند الكفار عود في ملتهم ، وهذا الذي رأيته منصوصاً عن مفسري السلف.

وأما من بعدهم كابن الأنباري والزجاج ، وابن الجوزي والثعلبي والبغوي ، فهؤلاء يؤولون ذلك على معنى : لتصبرن ولتدخلن ، وجعلوه بمعنى الابتداء لا بمعنى الرجوع إلى شيء قد كان ، وأنشدوا على ذلك ما اشتهر عنهم في تفاسيرهم ، كقول الشاعر:

فإن تكن الأيام أحسن مرة   إلي لقد عادت لهن ذنوب

وكقوله:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه   يحور رمادا بعد ما كان ساطعا

وقول أمية:

تلك المكارم لاقعبان من لبن   شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

وأمثال ذلك مما يدل على الابتداء ؛ وبعضهم أبقاه على معناه ؛ وقال : هو للتغليب ، لأن قومهم كانوا في ملة الكفر ، فغلب الجمع على الواحد ، لكن تعقب ذلك شيخ

الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، فقال : وأما التغليب فلا يتأتى في سورة إبراهيم.

وأما جعلها بمعنى الابتداء والصيرورة ، فالذي في الآيات الكريمة ، عود مقيد بالعود في ملتهم ، فهو كقول النبي ﷺ : « العائد في هبته ، كالعائد في قيئه » وقوله : « وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه » وقوله تعالى : (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه) [المجادلة : ٨] فالعود في مثل هذا الموضع عود مقيد صريح بالعود إلى أمر كان عليه الرسل وأتباعهم لا يحتمل غير ذلك.

ولا يقال : إن العود في مثل هذا يكون عوداً مبتدأ ، وما ذكر من الشواهد أفعال مطلقة ، ليس فيها أنه عاد لكذا ، ولا عاد فيه ؛ قال : ولهذا يسمى المرتد عن الإسلام مرتداً ، وإن كان ولد على الإسلام ، ولم يكن كافراً عند عامة العلماء.

قال : وأما قولهم : إن شعيباً والرسل ما كانوا في ملتهم قط وهي ملة الكفر ، فهذا فيه نزاع مشهور ، وبكل حال : فهو خبر يحتاج إلى دليل عقلي ، وليس في أدلة الكتاب والسنة والإجماع ما يخبر بذلك ، وأما العقل ففيه نزاع ، والذي تظاهرت عليه السنة أنه ليس في العقل ما يمنع ذلك.

قال : وقال أبو بكر الخطيب البغدادي ، وقال كثير منهم ومن أصحابنا وأهل الحق : إنه لا يمتنع بعثة من كان كافراً ،

أو مصيباً الكبائر قبل بعثته ، قال : ولا شيء عندنا يمنع من ذلك ، على ما نبين القول فيه ، ثم ذكر الخطيب الخلاف في إصابته الذنوب بعد البعثة ، وأطال الكلام ، ثم قال :

فصـــل

في جواز بعثة من كان مصيباً للكفر والكبائر قبل الرسالة ، قال : والذي يدل على ذلك أمور ؛ أحدها : أن إرسال الرسول ، وظهور الأعلام عليه ، اقتضى ودل لا محالة على إيمانه وصدقه ، وطهارة سريرته وكمال علمه ، ومعرفته بالله ، وأنه مؤد عنه دون غيره ، لأنه إنما يظهر الأعلام ليستدل بها على صدقه فيما يدعيه من الرسالة ، فإذا كان بدلالة ظهورها عليه إلى هذه الحال ، من الطهارة والنزاهة والإقلاع عما كان عليه لا يمنع بعثته ، والتزام توقيره وتعظيمه ، وإن وجد منه ضد ذلك قبل الرسالة ، وأطال الكلام.

ثم قال شيخ الإسلام : تحقيق القول في ذلك ، أن الله سبحانه إنما يصطفى لرسالته من كان خيار قومه ، كما قال تعالى : (الله أعلم حيث يجعل رسالته) [الأنعام : ١٢٤] وقال الله تعالى : (الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس) [الحج : ٧٥] وقال : ومن نشأ بين قوم مشركين جهالاً ، لم يكن عليه نقص ولا غضاضة إذا كان على مثل دينهم ، إذا كان عندهم معروفاً بالصدق والأمانة ، وفعل ما يعرفون وجوبه واجتناب ما يعرفون قبحه.

وقد قال تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً) [الإسراء : ١٥] ولم يكن هؤلاء مستوجبين العذاب قبل الرسالة ، إذا كان لا هو ولا هم يعلمون ما أرسل به ، وفرق بين من يرتكب ما لم يعلم قبحه ، وبين من يفعل ما لا يعرف ، فإن هذا الثاني لا يذمونه ولا يعيبونه عليه ، ولا يكون ما فعله مما هم عليه منفراً عنه ، بخلاف الأول ، ولهذا لم يكن في أنبياء بني إسرائيل من كان معروفاً بشرك ، فإنهم نشؤوا على شريعة التوراة ، وإنما ذكر هذا فيمن كان قبلهم.

وأما ما ذكره سبحانه في قصة شعيب والأنبياء ، فليس في هذا ما ينفر أحداً عن القبول منهم ، وكذلك الصحابة الذين آمنوا بالرسول ﷺ بعد جاهليتهم ، وكان فيهم من كان محمود الطريقة قبل الإسلام ، كأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فإنه لم يزل معروفاً بالصدق والأمانة ، ومكارم الأخلاق ، لم يكن فيه قبل الإسلام ما يعيبونه به ، والجاهلية كانت مشتركة فيهم كلهم.

وقد تبين أن ما أخبر عنه قبل النبوة في القرآن من أمر الأنبياء ، ليس فيه ما ينفر أحداً عن تصديقهم ؛ ولا يوجب طعن قومهم ؛ ولهذا لم يكن يذكر عن أحد من المشركين عدّ هذا قادحاً في نبوته ، ولو كانوا يرونه عيباً لعابوه ، ولقالوا : كنتم أنتم أيضاً على الحالة المذمومة ، ولو ذكروا للرسل هذا ، لقالوا : كنا كغيرنا لم نعرف إلا ما أوحى به إلينا ؛

ولكنهم قالوا : (إن أنتم إلا بشر مثلنا) فقالت الرسل : (إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) [إبراهيم : ١٠، ١١].

قال : وقد اتفقوا كلهم على جواز بعثة رسول ، لم يعرف ما جاءت به الرسل قبله ، من أمور النبوة والشرائع ، ومن لم يقر بهذا الرسول بعد الرسالة فهو كافر ، والرسل قبل الوحي قد كانت لا تعلم هذا فضلاً عن أن تقر به ؛ فعلم أن عدم هذا العلم والإيمان لا يقدح في نبوتهم ؛ بل الله إذا نبأهم علمهم ما لم يكونوا يعلمون.

قلت : **وقوله** : وقد اتفقوا كلهم يعني أهل السنة والمعتزلة ، ثم قال ، قال تعالى : (يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده) [غافر : ١٥] وقال تعالى : (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون) [النحل : ٢] فجعل إنذارهم بعبادته وحده كإنذار يوم التلاق ، كلاهما عرفوه بالوحي ، واستدل على هذا بآيات إلى أن قال:

وقد تنازع الناس في نبينا محمد ﷺ قبل النبوة ، وفي معاني بعض هذه الآيات في قوله تعالى : (وإن كنت من قبله لمن الغافلين) [يوسف : ٣] وفي قوله : (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان) [الشورى : ٥٢] وقوله : (ووجدك ضالاً فهدى) [الضحى : ٧].

وما تنازعوا في معنى آية الأعراف ، وآية إبراهيم فقال

قوم : لم يكن النبي ﷺ على دين قومه ، ولا كان يأكل ذبائحهم ، وهذا هو المنقول عن أحمد ؛ قال : من زعم أنه على دين قومه فهو قول سوء ، أليس كان لا يأكل ما ذبح على النصب ؟.

ثم قال الشيخ : ولعل أحمد قال أليس كان لا يعبد الأصنام ؟ فغلط الناقل عنه ، فإن هذا قد جاء في الآثار أنه كان لا يعبد الأصنام.

وأما كونه لا يأكل ذبائحهم ، فهذا لا يعلم أنه جاء به أثر ؛ وأحمد من أعلم الناس بالآثار ، قال : والشرك حرم من حين أرسل الرسل ؛ وأما تحريم ما ذبح على النصب ، فإنه ما ذكر إلا في سورة المائدة ؛ وقد ذكر في السور المكية كالأنعام والنحل تحريم ما أهل به لغير الله ، وتحريم هذا إنما عرف من القرآن.

وقبل القرآن لم يكن يعرف تحريم هذا بخلاف الشرك ، ثم ذكر الفرق بين ما ذبحوه للحم ، وبين ما ذبحوه للنصب على جهة القربة للأوثان ، قال : فهذا من جنس الشرك ، لا يقال قط في شريعة بحلها ، كما كانوا يتزوجون المشركات أولاً.

قال ، والقول الثاني : إطلاق القول بأنه ﷺ كان على دين قومه ، وفسر ذلك بما كان عليه من بقايا دين إبراهيم ، لا بالموافقة لهم على شركهم ، وذكروا أشياء مما كانوا عليه من بقايا الحنيفية ، كالحج والختان وتحريم الأمهات والبنات ،

والأخوات والعمات والخالات.

قال الشيخ : وهؤلاء إن أرادوا أن هذا الجنس مختص بالحنفاء ، لا يحج يهودي ولا نصراني ، لا في الجاهلية ولا في الإسلام ، فهو من لوازم الحنيفية ، كما أنه لم يكن مسلماً إلا من آمن بمحمد ﷺ ، وأما قبل محمد ﷺ فكان بنو إسرائيل على ملة إبراهيم ، وكان الحج مستحباً قبل محمد ﷺ لم يكن مفروضاً ، ولهذا حج موسى ويونس وغيرهما من الأنبياء.

ثم قال : ولكن تحريم المحرمات لا يشاركهم فيه أهل الكتاب ، والختان يشاركهم فيه اليهود ، وأطال في الرد والنقل عن ابن قتيبة ، وذكر كلام ابن عطية في قوله : (ووجدك ضالاً فهدى) أنه أعانه وأقامه على غير الطريق التي كان عليها ، هذا قول الحسن والضحاك.

قال : والضلال يختلف ، فمنه القريب ومنه البعيد ، وكون الإنسان واقفاً لا يميز ، بين المهيع ، ضلال قريب ، لأنه لم يتمسك بطريقة ضالة ، بل كان يرتاد وينظر.

قال ، والمنقول : أنه كان عليه السلام قبل النبوة ، يبغض عبادة الأصنام ، ولكن لم يكن ينهى عنها نهياً عاماً ، وإنما كان ينهى خواصه ، وساق ما رواه أبو يعلى الموصلي ، وفيه : فأتى النبي ﷺ فطاف بالبيت ، وبين الصفا والمروة ، وكان عند الصفا والمروة صنمان من نحاس ، أحدهما إساف والآخر نائلة.

وكان المشركون إذا طافوا تمسحوا بهما ، فقال النبي ﷺ

لزيد : « لا تمسحهما فإنهما رجس » فقلت في نفسي لأمسنهما حتى أنظر ما يقول ، فمسستهما ، فقال : « يا زيد ألم تنه ؟ » وقال أبو عبد الله المقدسي : هذا حديث حسن له شاهد في الصحيح ، والحديث معروف قد اختصره البيهقي وزاد فيه.

قال زيد بن حارثة : والذي أكره وأنزل عليه الكتاب ، ما استلم صنماً قط ، حتى أكرمه الله بالذي أكرمه ، وفي قصة بحيرا الراهب حين حلف باللات والعزى ، فقال النبي ﷺ : « لا تسألن باللات والعزى ، فوالله ما أبغضت بغضهما شيئاً قط » وكان الله قد نزهه عن أعمال الجاهلية ، فلم يكن يشهد مجامع لهوهم ، وكان إذا هموا بشيء من ذلك ، ضرب الله على أذنه فأنامه.

وقد روى البيهقي وغيره في ذلك آثاراً ، وقد كانت قريش يكشفون عوراتهم لحمل حجر ونحوه ، فنزهه الله عن ذلك ، كما في الصحيحين من قول جابر ، وفي مسند أحمد زيادة : فنودي لا تكشفن عورتك ، فألقى الحجر ولبس ثوبه ؛ وكانوا يسمونه الصادق الأمين ، وكان الله عز وجل قد صانه عن قبائحهم ، ولم يعرف منه قط كذبة ولا خيانة ، ولا فاحشة ولا ظلم قبل النبوة ، بل شهد مع عمومته حلف المطيبين على نصرة المظلومين.

وأما الإقرار بالصانع وعبادته ، والإقرار بأن السماوات والأرض مخلوقة له محدثة بعد أن لم تكن ، وأنه لا خالق غيره ، فهذا كان عامتهم يعرفونه ويقرون به ، فكيف لا يعرفه

هو ويقر به؟ وذكر الشيخ بعض علامات النبوة وتغير العالم بمولده.

ثم قال: لكن هذا لا يجب أن يكون مثله لكل نبي، فإنه أفضل الأنبياء، وهو سيد ولد آدم؛ والله سبحانه إذا أهل عبداً لأعلى المنازل والمراتب، رباه على قدر تلك المرتبة؛ فلا يلزم إذا عصم نبياً: أن يكون معصوماً قبل النبوة من كبائر الإثم والفواحش، صغيرها وكبيرها؛ ولا يكون كل نبي كذلك.

ولا يلزم إذا كان الله بغّض إليه شرك قومه قبل النبوة، أن يكون كل نبي كذلك، كما عرف من حال نبينا ﷺ؛ وفضائله لا تناقض ما روي من أخبار غيره إذا كان كذلك؛ ولا يمنع كونه نبياً، لأن الله فضل بعض النبيين على بعض، كما فضلهم بالشرائع والكتب والأمم، وهذا أصل يجب اعتباره.

وقد أخبر الله أن لوطاً كان من أمة إبراهيم، وممن آمن له: أن الله أرسله؛ والرسول الذي نشأ بين أهل الكفر، الذين لا نبوة لهم، ثم يبعثه الله فيهم، يكون أكمل وأعظم ممن كان من قوم لا يعرفونه؛ فإنه يكون بتأييد الله له أعظم من جهة تأييده بالعلم والهدى، ومن جهة تأييده بالنصر والقهر.

قلت: وبهذا يظهر اختلاف درجات الأنبياء والرسل، وعدم الاحتجاج إلى التكلف في الجواب عن مثل آية إبراهيم

ونحوها ، وأن قصارى ما يقال في مثل قوله لنبينا : (ووجدك ضالاً فهدى) [الضحى : ٧] وقوله : (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان) [الشورى : ٥٢] هو عدم العلم بما جاء من النبوة والرسالة ؛ وتفاصيل ما تضمن من الأحكام الشرعية ؛ والأصول الإيمانية.

وهذا غاية ما تيسر لنا في هذا المقام الضنك الذي أحجم عنه فحول الرجال ، وأهل الفضائل والكمال ، ونستغفر الله من التجاسر والوثوب على الكلام في مثل هذا المبحث الذي زلت فيه أقدام ، وضلت فيه أفهام واضطربت فيه أقوال الأئمة الأعلام.

قال الشيخ سليمان بن سحمان : قال ابن القيم رحمه الله ــ بعد كلام طويل ــ على قوله : (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم) [الأعراف : ١٧٢] ذكر في الوجه العاشر ، قال : ومن أبينها ما أشهد به كل واحد على نفسه ، من أنه ربه وخالقه ومبدعه ، وأنه مربوب مصنوع مخلوق ، حادث بعد أن لم يكن ، إلى أن قال:

وهذا الإقرار والشهادة فطرة فطروا عليها ؛ ليست بمكتسبة ؛ وهذه الآية وهي قوله : (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) مطابقة لقول النبي ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة » ولقوله تعالى : (فأقم وجهك للدين حنيفاً

فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) [الروم : ٣٠].

والمقصود : أن الحديث وهو « كل مولود يولد على الفطرة » مطابق للآية التي قبله ، والآية التي بعده ، فالفطرة التي في الحديث هي التي في الآية ، كما ذكر ابن القيم ، فصح أن تفسير السلف للفطرة هو المطابق للحديث.

وأما كون المولود لا يصح منه إسلام إلا بشعور ، فقال في الرد على ابن حزم ، وذكر كلاماً طويلاً ، قال في آخره ، وأيضاً : فإنها لو كانت موجودة قبل البدن لكانت حية عالمة ناطقة عاقلة ، فلما تعلقت بالبدن سلبت ذلك كله ، ثم حدث لها الشعور والعلم والعقل شيئاً فشيئاً.

وهذا لو كان ، لكان من أعجب الأمور : أن تكون الروح كاملة عاقلة ، ثم تعود ناقصة ضعيفة جاهلة ، ثم تعود بعد ذلك إلى عقلها وقوتها ، فأين في العقل والنقل والفطرة ما يدل على هذا ، وقد قال تعالى : (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) [النحل : ٧٨].

فهذا الحال الذي أخرجنا عليها ، حالنا الأصلية ، والعلم والعقل والمعرفة والقوة ، طارىء علينا ، حادث فينا بعد أن لم نكن ، ولم نعلم قبل ذلك شيئاً البتة ، إذ لم يكن لنا وجود نعلم ونعقل به.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ، وقوله عز وجل : (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها) [الأعراف : ١٧٥ ــ ١٧٧] فيه مسائل ؛ الأولى : معرفة أن لا إله إلا الله ، كما في قصة آدم وإبليس ، ويعرف ذلك من عرف أسباب الشرك ، وهو الغلو في الصالحين ، والجهل بعظمة الله .

الثانية : معرفة أن محمداً رسول الله ، يعرفه من عرف عداوة علماء أهل الكتاب له ؛ الثالثة : معرفة الدين الصحيح ، والدين الباطل ، لأنها نزلت في إبطال دينهم الذي نصروا ، وتأييد دينه الذي أنكروا ؛ الرابعة : معرفة عداوة الشيطان ومعرفة حيله .

الخامسة : أن من انسلخ من الآيات أدركه الشيطان ، ومن لم ينسلخ منها حمته منه ، ثم صار أكثر من ينتسب إلى العلم يظن العكس ؛ السادسة : خوف الخاتمة كما في حديث ابن مسعود ؛ السابعة : عدم الاغترار بغزارة العلم ؛ الثامنة : عدم الاغترار بصلاح العمل .

التاسعة : عدم الاغترار بالكرامات وإجابة الدعاء ؛ العاشرة : أن الانسلاخ لا يشترط فيه الجهل بالحق أو بغضه ؛ الحادية عشر : أن من أخلد إلى الأرض واتبع هواه ، فلو عرف الحق وأحبه[١] وعرف الباطل وأبغضه .

---

(١) لعله فقد انسلخ ، ولو عرف إلخ . . .

الثانية عشر : معرفة الفتنة وأنه لا بد منها ؛ فليتأهب وليسأل الله العافية ، لقوله : (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) الآيتين [العنكبوت : ٢ ، ٣] ؛ الثالثة عشر : عدم أمن مكر الله ؛ الرابعة عشر : عقوبة العاصي في دينه ودنياه ؛ الخامسة عشر : ذكر مشيئة الله وذكر السبب من العبد ؛ السادسة عشر : أن محبة الدنيا تكون سبباً لردة العالم عن الإسلام.

السابعة عشر : تمثيل هذا العالم بالكلب في اللهث على كل حال ؛ الثامنة عشر : أن هذا مثل لكل من كذب بآيات الله فليس مختصاً ؛ التاسعة عشر : ذكر كونه سبحانه أمر بقص القصص على عباده ؛ العشرون : ذكر الحكمة في الأمر به ؛ الحادية والعشرون : قوله : (ساء مثلا) كقوله : (بئس مثل القوم) [الجمعة : ٥].

سئل الشيخ سليمان بن الشيخ عبد الله بن محمد رحمهم الله عن قوله : (فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما) [الأعراف : ١٩٠] قال قتادة : شركاء في طاعته ولم تكن في عبادته ؛ وفي تفسير معنى آيات العبادة يفسرونها بالطاعة ، وهنا فرق بينهما.

فأجاب : اعلم أن الكلام يختلف باختلاف الأحوال والمقامات ، والاجتماع والافتراق ، والإجمال والتفصيل ، فتفسير قتادة في هذه الآية : أن المراد بهما على كثير من كلام المفسرين آدم وحوى ، فناسب تفسيرها بالطاعة ، لأنها طاعة

للشيطان في تسمية الولد بعبد الحارث ، وهو معصية من المعاصي .

والصحيح من أقوال العلماء أن المعاصي الصغار تقع من الأنبياء ، لكنهم يتوبون منها ولا يصرون عليها ؛ وأما تفسيرهم الآيات التي فيها العبادة بالطاعة ، فمعلوم أن العبادة إذا أطلقت دخلت فيها الطاعة وترك المعصية ، ولأن العبادة : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من القول والعمل ، وترك المعاصي من الكبائر والصغائر .

لكن المعاصي تنقسم إلى كفر وشرك ؛ وإلى كبائر دون الكفر والشرك ، وإلى صغائر دون الكبائر ؛ فإذا أطلقت العبادة دخل فيها جميع طاعة الله ورسوله ، وإذا فرق بينهما فسرت العبادة بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ، وترك عبادة ما سواه ، وفسرت الطاعة بجميع الدين كله ، والله أعلم .

سورة الأنفال

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ : وقد جاءت المذاكرة ، في قوله الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً) الآية [الأنفال : ٢٩] وأصل التقوى ما يقر في القلب من خشية الله ، وخوفه وهيبته وإجلاله وتعظيمه ، وأساس التقوى ورأسها وأساس العلم ورأسه ، وبه يحصل معرفة الصواب من الخطأ ، فيقبل الحق تاماً علماً وعملاً ، ويدفع الباطل دفعاً قوياً ممتنعاً عن المداهنة أبياً .

والقلب الذي ليس كذلك ينقلب عن الحق انقلاباً ظاهراً ، يدركه أهل البصائر ؛ وهذه الفائدة من بعض فوائد

هذه الآية ، وقد تفاوتت مراتب الناس في هذا المعنى تفاوتاً بيناً ؛ وهم في ذلك على طبقات في القوة والضعف وما بين ذلك ، فتأمل هذه العبارة والذكي تكفيه الإشارة ، والله أعلم.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، رحمه الله تعالى.

وأما قصة بدر ، ففي الدرس الأول من الفقه ما ابتلى الله به أهل الحق من قوة عدوهم وضعفهم ، وفيه تفسير قوله : (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) [آل عمران : ١٢٣] وفيه : أن النصر ليس بالقوة والكثرة.

وفيه : وجوب الجهاد مع الضعف ولو تعاقب العدد على البعير الواحد ؛ وفيه : استخلاف صاحب العمل على عمله إذا سافر ؛ وفيه : أن النبي ﷺ كان يصنع الألوية والرايات ؛ وفيه : تقديم الطلائع ؛ وفيه ما كان عليه أعداء الدين من قوة الرأي والحزم ؛ وفيه : الأمر الجليل وهو النهي عن مشابهتهم في خروجهم بطراً ورئاء الناس ؛ وفيه : تفسير قوله : (ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً) [الأنفال : ٤٢].

وفيه : ما كان عليه ﷺ من قوة القلب والشجاعة ، حيث اختار المسير إليهم على هذه الحال ، وكره الرجوع ؛ وفيه : ما كان عليه الصحابة ــ من قوة الإيمان والانقياد للرسول ــ المهاجرون والأنصار ؛ وفيه : إزالة الشبهة في بيعة العقبة ، وهي من أكبر المسائل ؛ وفيه : من آياته ﷺ أنه بشرهم أن الله وعده إحدى الطائفتين ، وكان كما قال.

وفي **الدرس الثاني** : أن الرجل الجليل في العلم والعمل ، قد يغلط في مسائل لا يعذر فيها ؛ وفيه : كراهة الكفار من بني هاشم لقريش ، ومحبتهم للنبي ﷺ ؛ وفيه : أن النبي ﷺ يشاور أصحابه ، وفيه : أنه يرجع إلى رأي بعضهم بعدما يفعل العمل ؛ وفيه : تفسير قوله : (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به) الآية [الأنفال : ١١].

وفيه : آية عظيمة له ﷺ حيث أراهم مصارع القوم ؛ وفيه : قتال الملائكة معه ؛ وفيه : دعاؤه ﷺ الذي فيه عبرة لصاحب الحرب والكرب ؛ وفيه : تفسير قوله : (مردفين) وفيه : كونه ﷺ إذا كربه أمر صلى.

وفيه معنى قوله : (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) كون تلك الوقعة عرف المسلم والكافر بها الحق ، كون المسلمين ثلاثمائة وأربعة عشر ، والكفار جموع ، وعدا عليهم المسلمون مثل ما يعدى الغزو الكثير على أهل الثنتين[1].

وفيه : الآية العظيمة ، وهو ما وقع بين علي وحمزة وعبيدة ؛ وبين عتبة وابنه وشيبة ، وكلهم بنو عبد مناف ، وأنزل الله فيهم : (هذان خصمان اختصموا في ربهم) [الحج : ١٩].

---

(١) يعني أهل المطيتين.

سورة يونس

سئل الشيخ : عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن رحمهم الله عن قوله تعالى : (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض) [يونس : ١٨] وقال السائل : والرب تبارك وتعالى لا يخفى عليه شيء ، وقد قال : (إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء) [العنكبوت : ٤٢].

فأجاب : كلا الآيتين الكريمتين على عمومهما وإطلاقهما يصدق بعضها بعضاً ، فأما آية يونس ففيها الإخبار بنفي ما ادعاه المشركون ، وزعموه من وجود شفيع يشفع بدون إذنه تبارك وتعالى ، وأن هذا لا يعلم الله وجوده لا في السماوات ولا في الأرض ، بل مجرد زعم وافتراء ، وما لا يعلم وجوده مستحيل الوجود منفي غاية النفي ؛ فالآية رد على المشركين الذين تعلقوا على الشركاء والأنداد ، بقصد الشفاعة عند الله والتقرب إليه.

وأما آية العنكبوت ففيها إثبات علمه سبحانه لكل مدعو ومعبود ، من أي شيء كان ، ولا يخفى عليه خافية ؛ ولا يعزب عنه مثقال ذرة ؛ ففي الأولى نفي العلم بوجود ما لا وجود له بحال ؛ والآية الثانية فيها إثبات العلم بوجود ما عبدوه ودعوه مع الله ، من الآلهة التي لا تضر ولا تنفع.

قال ابن جرير رحمه الله ، في الكلام على آية يونس :

يقول تعالى ذكره : ويعبد هؤلاء المشركون ، الذين وصفت صفتهم ، الذي لا يضرهم شيئاً ، ولا ينفعهم في الدنيا ولا في الآخرة ، وذلك هؤلاء الآلهة والأصنام ، التي كانوا يعبدونها ، رجاء شفاعتهم عند الله.

قال تعالى لنبيه محمد ﷺ : (قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض) يقول : أتخبرون الله بما لا يشفع في السماوات ولا في الأرض ، وذلك أن الآلهة لا تشفع لهم عند الله في السماوات ولا في الأرض.

وكان المشركون يزعمون أنها تشفع لهم عند الله ، فقال الله لنبيه محمد ﷺ قل لهم : أتخبرون الله بما لا يشفع في السماوات ولا في الأرض يشفع لكم فيها ، وذلك باطل لا يعلم حقيقته وصحته ، بل يعلم أن ذلك خلاف ما تقولون ، وأنها لا تشفع لأحد ولا تنفع ولا تضر ، انتهى.

وحاصله : أن النفي واقع على ما اعتقدوه وظنوه ، من وجود شفيع يشفع وينفع ، ويقرب إلى الله ، وذلك الظن والاعتقاد وَهْمٌ وخيال باطل لا وجود له ؛ وبنحو ذلك قال ابن كثير ، حيث يقول : ينكر تعالى على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره ، ظانين أن تلك الآلهة تنفعهم شفاعتها عند الله ، وأخبر أنها لا تنفع ولا تضر ، ولا تملك شيئاً ، ولا يقع شيء مما يزعمون فيها ، ولا يكون هذا أبداً.

ولهذا قال تعالى : (قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض) أي : أتخبرونه بما لا وجود له

أصلاً ، وهو كون الأصنام شفعاءهم عند الله ، إذ لو كان ذلك لعلمه علام الغيوب.

وفيه : تقريع لهم وتهكم بهم ، وبما يدعون من المحال ، الذي لا يكاد يدخل تحت الصحة والإمكان ؛ وقوله : (في السموات ولا في الأرض) حال من العائد المحذوف في يعلم مؤكدة للنفي ، لأن ما لا يوجد فيها فهو منتف عادة ، انتهى.

وقال العلامة ابن القيم ، رحمه الله ، في الكلام على هذه الآية : هذا نفي لما ادعاه المشركون من الشفعاء ، كنفي علم الرب تعالى بهم المستلزم لنفي المعلوم ؛ ولا يمكن أعداء الله المكابرة ، وأن يقولوا قد علم الله وجود ذلك.

لأنه تعالى : إنما يعلم وجود ما أوجده وكونه ، ويعلم أن سيوجد ما يريد إيجاده ، فهو يعلم نفسه وصفاته ومخلوقاته ، التي دخلت في الوجود وانقطعت ، والتي دخلت في الوجود وبقيت ، والتي لم توجد بعد.

وأما وجود شيء آخر غير مخلوق له ولا مربوب ، فالرب تعالى لا يعلمه ، لأنه مستحيل في نفسه ، فهو سبحانه يعلمه مستحيلاً لا يعلمه واقعاً ، ولو علمه واقعاً لكان العلم به عين الجهل ، وذلك من أعظم المحال ، فكذلك حجج الرب تبارك وتعالى ، على بطلان ما نسبه إليه أعداؤه المفترون ، التي هي كالضريع الذي لا يسمن ولا يغني من جوع ، فإذا وازنت بينهما ظهرت لك المفاضلة إن كنت بصيراً ، ومن كان

في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً ، انتهى.

وقال الشيخ : محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، قال شيخ الإسلام رحمه الله ، قوله تعالى : (أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمّن لا يهدّي إلا أن يهدى) الذي يهدي إلى الحق مطلقاً هو الله سبحانه وتعالى ، والذي لا يهدي إلا أن يهدى صفة كل مخلوق ، وهذا هو المقصود بالآية ، فإنه افتتح الآيات بقوله : (قل من يرزقكم) الآية [يونس : ٣١ ــ ٣٥].

وسئل أيضاً الشيخ : عبد اللطيف بن عبد الرحمن ، عن قوله تعالى : (وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء)الآية [يونس : ٦٦].

فأجاب : قد أشكل معناها على كثير من المفسرين ، فزعموا أن المعنى نفى اتباعهم شركاء ، فجعلوا (ما) نافية وشركاء مفعول يتبع ، أي : لم يتبعوا في الحقيقة شركاء ، بل هم عباد مخلوقون مربوبون ، والله هو الإله الحق لا شريك له.

وأما ابن جرير رحمه الله ، فقرر : أن (ما) في هذا المحل استفهامية لا نافية ، قال رحمه الله ، ومعنى الكلام : أي شيء يتبع من يقول لله شركاء في سلطانه وملكه كاذباً ؟ والله المتفرد بملك كل شيء في سماء كان أو أرض (إن يتبعون إلا الظن) يقول : ما يتبعون في قيلهم ذلك إلا الظن ، يقول : إلا الشك لا اليقين (وإنْ هم إلا يخرصون) انتهى.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ظن طائفة أن (ما) هاهنا نافية ، وقالوا : ما يدعون من دون الله شركاء في الحقيقة ، بل هم غير شركاء ، وهذا خطأ ، ولكن (ما) هاهنا حرف استفهام ، والمعنى وأي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء (ما يتبعون إلا الظن وإنْ هم إلا يخرصون).

فشركاء مفعول يدعون لا مفعول يتبع ، فإن المشركين يدعون من دون الله شركاء ، كما أخبر عنهم بذلك في غير موضع ، فالشركاء موصوفون في القرآن بأنهم يدعون من دون الله ، ولم يوصفوا بأنهم يتبعون ، فإنما يتبع الأئمة الذين كانوا يدعون هذه الآية.

ولهذا قال بعدها : (إن يتبعون إلا الظن) ولو أراد أنهم ما يتبعون في الحقيقة شركاء لقال : إن يتبعون إلا من ليسوا بشركاء ، بل هو استفهام يبين : أن المشركين الذين دعوا من دون الله شركاء ، ما اتبعوا إلا الظن ، ما اتبعوا علماً ، فإن المشرك لا يكون معه علم مطابق ، وهو فيه ما يتبع إلا الظن ، وهو الخرص والحزر ، وهو كذب وافتراء كقوله : (قتل الخراصون) [الذاريات : ١٠].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، رحمه الله تعالى:

قوله تعالى : (قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين ، وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين ، ولا تدع من دون الله ما

لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين) [يونس : ١٠٤ ــ ١٠٦].

فيه ثمان حالات ، الأولى : ترك عبادة غير الله مطلقاً ، ولو حاوله أبوه وأمه بالطمع الجليل والإخافة الثقيلة ، كما جرى لسعد مع أمه ؛ الحال الثانية : أن كثيراً من الناس إذا عرف الشرك وأبغضه وتركه ، لا يفطن لما يريد الله من قلبه من إجلاله وإعظامه وهيبته ؛ فذكر هذه الحال بقوله : (ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم).

الحال الثالثة : إن قدرنا أنه ظن وجود الشرك والفعل منه ، فلا بد من تصريحه منه ، بأنه من هذه الطائفة ؛ ولو لم يقض هذا الغرض إلا بالهرب ، عن بلاد كثير من الطواغيت ، الذين لا يبلغون الغاية في العداوة ، حتى يصرح بأنه من هذه الطائفة المحاربة لهم ؛ الحال الرابعة : إن قدرنا أنه ظن وجود هذه الثلاث ، فقد لا يبلغ الجد في العمل بالدين ؛ والجد والصدق هو إقامة الوجه للدين.

الحال الخامسة : إن قدرنا أنه ظن وجود الحالات الأربع ، فلا بد له من مذهب ينتسب إليه ، فأمر أن يكون مذهبه الحنيفية ، وترك كل مذهب سواها ولو كان صحيحاً ، ففي الحنيفية عنه غنية.

الحال السادسة : أنا إن قدرنا أنه ظن وجود الحالات الخمس فلا بد أن يتبرأ من المشركين ، فلا يكثر سوادهم ؛ الحال السابعة أنا إن قدرنا أنه ظن وجود الحالات الست ،

فقد يدعو من قلبه نبياً أو غيره ، لشيء من مقاصده ، ولو كان ديناً يظن أنه إن نطق بذلك من غير قلبه ، لأجل كذا وكذا ، خصوصاً عند الخوف ، أنه لا يدخل في هذا الحال.

الحال الثامنة : إن ظن سلامته من ذلك كله ، ولكن غيره من إخوانه فعله خوفاً ، أو لغرض من الأغراض ، هل يصدق الله أن هذا ــ ولو كان أصلح الناس ــ قد صار من الظالمين ؟ أو يقول : كيف أكفره وهو يحب الدين ويبغض الشرك ؟ ! وما أعز من يتخلص من هذا ؛ بل ما أعز من يفهمه وإن لم يعمل به ؛ بل ما أعز من لا يظنه جنوناً ، والله أعلم.

سئل الشيخ : **حسن بن حسين** ، عن قول جده في ثمان الحالات ، كما جرى لسعد مع أمه ، ما الذي جرى لسعد مع أمه ؟.

فأجاب : هو سعد بن أبي وقاص ، أحد العشرة المبشرين رضي الله عنهم ، وأمه حمنة بنت أبي سفيان بن أبي أمية ، وقصته معروفة ، قال الحافظ الطبراني : حدثنا أحمد بن أيوب بن راشد ، حدثنا مسلمة بن علقمة عن داود بن أبي هند ، عن سعد رضي الله عنه ، قال : كنت باراً بوالدتي ، فقالت لي أمي : ما هذا الذي أراك قد أحدثت ؟ لتدعنّ دينك هذا ، أو لا آكل ولا أشرب ، ولا أستظل ، حتى أموت يا سعد ، فتعير بي ، ويقال : قاتل أمه.

فقلت : لا تفعلي يا أمه ، فإني لا أدع ديني هذا لشيء ، فمكثت يوماً وليلة لم تأكل ولم تشرب ولم تستظل ، فأصبحت

وقد اشتد جهدها ، فمكثت يوماً آخر وليلة لا تأكل ، فأصبحت وقد اشتد جهدها ؛ فقلت : يا أمه ، والله لو كان لك مائة نفس ، فخرجت نفساً نفساً ، ما تركت ديني هذا لشيء ؛ فإن شئت فكلي ، وإن شئت فلا تأكلي فأكلت.

ورواه مسلم في صحيحه ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب ، حدثنا الحسن بن موسى ، حدثنا زهير ، حدثنا سماك بن حرب ، حدثني مصعب بن سعيد عن أبيه ، فذكره بنحو هذا السياق ؛ وفيه : فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاها بعصى ، ثم أوجروها ؛ فنزلت (ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا) الآية [الأحقاف : ١٥].

سورة هود

قال الشيخ : محمد بن عبد الوهاب ، أجزل الله له الأجر والثواب :

ذكر : ما في سورة هود من العلوم ؛ الأولى : علم معرفة الله ، ذكر أنه حكيم ؛ الثانية : أنه خبير ؛ الثالثة : أنه قدير ؛ الرابعة : أنه ذكر شيئاً من تفصيل العلم ، في قوله : (ألا إنهم يثنون صدورهم) الآية [هود : ٥] ؛ الخامسة : ذكر شيء من تفاصيل القدر ، في قوله : (وما من دابة) الآية [هود : ٦] ؛ السادسة : خلق السماوات والأرض في ستة أيام ؛ السابعة : كون عرشه على الماء ؛ الثامنة : ذكر شيء من تفصيل الحكمة في قوله : (ليبلوكم أيكم أحسن عملا)

[الملك : ٢] ؛ التاسعة : كونه وكيلاً على كل شيء.

الثاني : الإيمان باليوم الآخر ؛ وذكر أنه إليه المرجع ؛ الثانية : (ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت) [هود : ٧] ؛ الثالثة : ذكر الجنة والنار ؛ الرابعة : ذكر العرض عليه ؛ الخامسة : كلام الأشهاد ؛ السادسة : ضل عنهم افتراؤهم ؛ السابعة : كونهم الأخسرون في الآخرة.

الثالث : تقرير الرسالة ؛ ذكر أولاً المسألة الكبرى ؛ الثانية : أنه نذير من الله وبشير لنا ؛ الثالثة : تقرير صحة رسالته ، باعتراضهم بقولهم : إنها (سحر مبين) مع موافقتها للعقل ؛ الرابعة : تقريرها بقولهم : (لولا أنزل عليه كنز) [هود : ١٢] الخامسة : تقريرها بمعرفة العلماء بها ؛ السادسة : تقريرها بالتحدي ؛ السابعة : تقريرها بأنها الحق من الله.

الرابع : ذكر الوعد والوعيد ، وذكر المتاع الحسن لمن قبله ؛ الثانية : ذكر عذاب اليوم الكبير لمن أبى ؛ الثالثة : (يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم) [هود : ٨] الرابعة : وعيد من أراد الدنيا ؛ الخامسة : وعيد من افترى عليه ؛ السادسة : وعد المؤمنين المخبتين ؛ السابعة : وعيد من استهزأ بالقرآن.

الخامس : ذكر الأمر والنهي ، فذكر النهي عن الشرك ، والأمر بالإخلاص ؛ الثانية : الأمر بالاستغفار والتوبة ؛ الثالثة : الأمر بالمضي على أمر الله ؛ وإن اعترضوا بالشبهة

الفاسدة ؛ الرابعة : أمره بالتحدي ؛ الخامسة : نهيه عن المرية فيه.

السادس : أمور مدحها لنفعلها ، منها الصبر ؛ الثانية : عمل الصالحات ؛ الثالثة : مدح العلم الصادر عن اليقين ، الرابعة : مدح معرفة القرآن ؛ الخامسة : ذكر نتيجة الأمرين ؛ السادسة : الإيمان الإخبات إلى الله.

السابع : أمور كرهها ، ذكرها لتترك ؛ منها التولي ؛ الثانية : ثني الصدر ؛ الثالثة : الاعتراض على الحق الصريح ، بالجهل الصريح ؛ الرابعة : استبطاء وعيد الله ؛ الخامسة : كون الإنسان يؤوساً عند الضراء ؛ السادسة : كونه كفوراً عندها ؛ السابعة : كونه فرحاً عند النعماء ؛ الثامنة : فخوراً عندها ولو كانت بعد ضراء ، والتي قبلها ولو كانت بعد سراء.

التاسعة : نتيجة معرفة الآية ؛ العاشرة : فائدة النتيجة ؛ الحادية عشر : كونه يريد الدنيا ؛ الثانية عشر : كونه يفترى على الله الكذب ؛ الثالثة عشر : من المكروه الصد عن سبيل الله ؛ الرابعة عشر : بغى العوج لها.

الثامن : **المنثور**[1] ذكر : أن الأكثر لا يؤمنون ؛ الثانية : ذكر مثل المؤمنين ؛ الثالثة : ذكر مثل الكافرين ؛ الرابعة : التنبيه على التذكير بالحالين ؛ الخامسة : كونهم لا يستطيعون

---

(١) أي : من العلوم في مواضع من صدر هذه السورة.

السمع ؛ السادسة : الفرق بين العالم والجاهل ؛ السابعة : كون عرشه على الماء ؛ الثامنة : من الوعد (أولئك لهم مغفرة وأجر كبير) [هود : ١١].

وقال أيضاً الشيخ : محمد رحمه الله تعالى : (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) [هود : ١٥ ، ١٦] قد ذكر عن السلف من أهل العلم فيها أنواع ، مما يفعل الناس اليوم ، ولا يعرفون معناه.

الأول : من ذلك العمل الصالح الذي يفعل كثير من الناس ابتغاء وجه الله ، من صدقة وصلة وإحسان إلى الناس ، ونحو ذلك ؛ وكذلك ترك ظلم ، أو كلام في عرض ، ونحو ذلك مما يفعله الإنسان أو يتركه خالصاً لله.

لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة ، إنما يريد أن الله يجازيه بحفظ ماله وتنميته ، وحفظ أهله وعياله ، وإدامة النعمة عليهم ونحو ذلك ، ولا همة له في طلب الجنة ، ولا الهرب من النار ، فهذا يعطى ثواب عمله في الدنيا ، وليس له في الآخرة نصيب.

وهذا النوع ذكر عن ابن عباس في تفسير الآية ؛ وقد غلط بعض مشائخنا ، بسبب عبارة في شرح الإقناع ، في أول باب النية ، لما قسم الإخلاص مراتب ، وذكر هذا منها ، ظن أنه يسميه إخلاصاً مدحاً له ، وليس كذلك ؛ وإنما أراد أنه

لا يسمى رياء ، وإلا فهو عمل حابط في الآخرة.

والنوع الثاني : وهو أكبر من الأول وأخوف ، وهو الذي ذكر مجاهد ، أن الآية نزلت فيه ، وهو أن يعمل أعمالاً صالحة ونيته رئاء الناس ، لا طلب ثواب الآخرة ؛ وهو يظهر أنه أراد وجه الله ، وإنما صلى ، أو صام ، أو تصدق ، أو طلب العلم ، لأجل أن الناس يمدحونه ، ويجل في أعينهم ، فإن الجاه من أعظم أنواع الدنيا.

ولما ذكر لمعاوية حديث أبي هريرة ، في الثلاثة الذين هم أول من تسعر بهم النار ، وهم : الذي تعلم العلم ليقال عالم حتى قيل ، وتصدق ليقال جواد ، وجاهد ليقال شجاع ، بكى معاوية بكاء شديداً ، ثم قرأ هذه الآية.

النوع الثالث : أن يعمل الأعمال الصالحة ، ومقصده بها مالاً ، مثل أن يحج لمال يأخذه لا لله ، أو يهاجر لدنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها ، أو يجاهد لأجل المغنم ، فقد ذكر هذا النوع أيضاً ، في تفسير هذه الآية ، كما في الصحيح : أن النبي ﷺ قال : « تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة » إلخ.

وكما يتعلم العلم لأجل مدرسة أهله ، أو مكسبهم أو رياستهم ، أو يقرأ القرآن ويواظب على الصلاة ، لأجل وظيفة المسجد ، كما هو واقع كثيراً ؛ وهؤلاء أعقل من الذين قبلهم ، لأنهم عملوا لمصلحة يحصلونها ؛ والذين قبلهم

عملوا لأجل المدح ، والجلالة في أعين الناس ، ولا يحصل لهم طائل.

والنوع الأول : أعقل من هؤلاء كلهم ، لأنهم عملوا لله وحده لا شريك له ، لكن لم يطلبوا منه الخير العظيم ، وهو الجنة ، ولم يهربوا من الشر العظيم ، وهو العذاب في الآخرة.

النوع الرابع : أن يعمل الإنسان بطاعة الله ، مخلصاً في ذلك لله وحده لا شريك له ، لكنه على عمل يكفره كفراً يخرجه عن الإسلام ، مثل اليهود والنصارى إذا عبدوا الله ، وتصدقوا أو صاموا ابتغاء وجه الله والدار الآخرة.

ومثل كثير من هذه الأمة الذين فيهم شرك أكبر ، أو كفر أكبر ، يخرجهم عن الإسلام بالكلية ، إذا أطاعوا الله طاعة خالصة ، يريدون بها ثواب الله في الدار الآخرة ، لكنهم على أعمال تخرجهم من الإسلام ؛ وتمنع قبول أعمالهم ، فهذا النوع أيضاً قد ذكر في الآية ، عن أنس بن مالك وغيره ، وكان السلف يخافون منه.

قال بعضهم : لو أعلم أن الله تقبل مني سجدة واحدة لتمنيت الموت ، لأن الله يقول : (إنما يتقبل الله من المتقين) [المائدة : ٢٧] فهذا قصد وجه الله والدار الآخرة ، لكن فيه من حب الدنيا والرياسة والمال ، ما حمله على ترك كثير من أمر الله ورسوله ، أو أكثره ، فصارت الدنيا أكبر قصده.

فلذلك قيل قصد الدنيا ، وصار ذلك القليل كأنه لم

يكن ، كقوله ﷺ : « صل فإنك لم تصل » والأول أطاع الله ابتغاء وجهه ، لكن أراد من الله الثواب في الدنيا ؛ وخاف على الحظ والعيال ، مثل ما يقول الفسقة ، فصح أن يقال : قصد الدنيا ، والثاني والثالث واضح.

لكن بقي أن يقال : إذا عمل الرجل الصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ابتغاء وجه الله ، طالباً ثواب الآخرة ، ثم بعد ذلك عمل أعمالاً كثيرة أو قليلة ، قاصداً بها الدنيا ، مثل أن يحج فرضه لله ، ثم يحج بعده لأجل الدنيا ، كما هو الواقع كثيراً.

فالجواب : أن هذا عمل للدنيا والآخرة ، ولا ندري ما يفعل الله في خلقه ؛ والظاهر : أن الحسنات والسيئات تدافع ، وهو لما غلب عليه منهما ؛ وقد قال بعضهم : إن القرآن كثيراً ما يذكر أهل الجنة الخلّص ، وأهل النار الخلّص ، ويسكت عن صاحب الشائبتين ، وهو : هذا وأمثاله ؛ ولهذا خاف السلف من حبوط الأعمال ؛ وأما الفرق بين الحبوط والبطلان ، فلا أعلم بينهما فرقاً بيناً ، والله أعلم.

وقال الشيخ : محمد بن عبد الوهاب ، رحمه الله تعالى ، قوله عز وجل ، لما ذكر قصة نوح : (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين) [هود : ٤٩] إذا تأمل الإنسان حاله أو لا ، وما تعلم من العلوم من أهله ، ثم تفكر في هذه القصة ، هل علم منها زيادة على ما عنده أولا ؟ عرف مسائل.

الأولى : عظمة الشرك ، ولو قصد صاحبه التقرب إلى الله ، وذلك مما فعل الله بأهل الأرض لما عبدوا ودّاً ؛ وسواعاً ؛ ويغوث ؛ ويعوق ، ونسرا ؛ الثانية : شدة بطش الله وعقوبته ، حيث أرسل الطوفان ، فأهلك الطيور والدواب وغير ذلك ، الثالثة : معرفة آيات رسول الله ﷺ حيث وافق ما قصه مع كونه لم يعلم.

الرابعة : التحقيق يكون المخلوق ليس له من الأمر شيء ، ولو كان نبياً مرسلاً ، بسبب ما فيها من قصة ابن نوح ؛ الخامسة : تبيين الله الحجج الباطلة والتحذير منها ؛ مع أنها عندنا أوهام ، وعند أكثر الناس حجج صحيحة ؛ السادسة : تبرؤ الرسل من دعوى ، أن عندهم خزائن الله وعلم الغيب ، مع أن الطواغيت في زمننا ادّعوا ذلك ؛ وصدقوا وعبدوا لأجل ذلك.

السابعة : التحذير من استحقار الفقراء والضعفاء ، لقوله : (ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم إني إذاً لمن الظالمين) [هود : ٣١] مع أنه سائغ ممن يدعي العلم ، ويستحسنه الناس منهم ؛ الثامنة ـ وهي من أعظم الفوائد ـ التحذير من الشبهة التي أدخلت أكثر الناس النار ، وهي السواد الأعظم ، والنفرة من القليل ، لقوله : (وما آمن معه إلا قليل) [هود : ٤٠].

التاسعة : معرفة شيء من عظمة الله ، في تأديبه الرسل ، لما قال لنوح : (إني أعظك أن تكون من الجاهلين) [هود :

٤٦] العاشرة ــ وهي من أهمها ــ أن فيها شاهداً لقول الحسن : نضحك ولعل الله اطلع على بعض أعمالنا ، وقال : لا أغفر لكم ، وذلك من قوله : (إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن) [هود : ٣٦] مع سخريتهم منه.

الحادية عشر : التحذير من اتباع رؤساء الدنيا ، وقبول حججهم ، لقوله: (فقال الملأ) وهم الأشراف والرؤساء ؛ الثانية عشر : بيان الله تعالى لتلك الحجج ، فقولهم : (ما نراك إلا بشراً مثلنا) فيه القياس الفاسد ، وقولهم : (وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا) احتجاج بما ليس حجة.

وقولهم : (بادي الرأي) أي ليسوا بأهل دقة نظر في أمور الدنيا ، احتجاج بما ليس بحجة ؛ وقولهم : (وما نرى لكم علينا من فضل) احتجاج برأيهم ، وهو من أفسد الحجج ؛ وقولهم : (بل نظنكم كاذبين) [هود : ٢٧] احتجاج بالظن.

الثالثة عشر : أنهم لم يصرحوا بأن هذا الذي عليه نوح وأتباعه أمر الله ، ثم جاهروا بعصيانه ، قالوا : (بل نظنكم كاذبين) وقالوا : (لو شاء الله لأنزل ملائكة) [المؤمنون : ٢٤] وغير ذلك ؛ وأنت ترى الذين يكونون من أهل العلم والعبادة ، كيف يقرون ويجاهرون بالكفر (ويحسبون أنهم مهتدون) [الزخرف : ٣٧].

قال بعض تلامذة الشيخ : هذه صفة مذاكرة جرت عند الشيخ ، محمد رحمه الله تعالى ، سأله الإمام عبد العزيز بن

محمد بن سعود رحمه الله ، عن هذه الآيات من آخر هود ، من قوله : (ولقد آتينا موسى الكتاب) إلى آخرها [هود : ١١٠ ـ ١٢٣] وتكلم عليها كلاماً حسناً ، أحببت أن أنقله لكم.

ومحصل الكلام : أنه تكلم على صورة الاختلاف الذي ذمه الله في الكتاب ، أنه مثل كون الخوارج يستدلون بآيات على كفر العاصي ، كقوله : (ومن لم يحكم بما أنزل الله) الآية [المائدة : ٤٤] (إن الحكم إلا لله) [الأنعام : ٥٧] (وإن أطعتموهم إنكم لمشركون) [الأنعام : ١٢١] ويعرضون عن الآيات التي فيها عدم كفره ، أو يتأولونها.

وعكسهم المرجئة : يستدلون بالآيات التي فيها : أن من آمن دخل الجنة ، كقوله : (أعدت للذين آمنوا بالله ورسله) [الحديد : ٢١] والإيمان عندهم مجرد التصديق فقط ، ويعرضون عن الآيات المصرحة بأن الأعمال من الإيمان كقوله : (وما أولئك بالمؤمنين) [النور : ٤٧] وقوله : (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) [الأنفال : ٢] وما لا يحصى إلا بكلفة ، وأمثالهم من أهل البدع كالجهمية ، والأشعرية.

وذكر أن الله عظم هذا الأمر بقوله : (ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم) فلولا أن الله سبق منه كلام بتأخير العذاب ، لكان الحكمة تقتضي تعجيل العذاب ، بسبب كبر ذنبهم.

وقوله : (وإنهم لفي شك منه مريب) [هود : ١١٠] ذكر رحمه الله : أن هذه مشكلة عليّ ، ولا فهمت كلام أهل التفسير فيها ، لو كان الرجل يوهم عليها ، لأجل أن التوراة عند بني إسرائيل مثل القرآن عندنا ، يشهدون أنها كلام الله ، وليس عندهم في هذا شك ؛ ولا أدري ما هذا الشك.

وقوله : (وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم) الآية [هود : ١١١] ذكر سبحانه أنه سيجازى كلاً بعمله ، وأنه خبير بأعمالهم دقيقها وجليلها ، فلما كان الإنسان إذا عرف عيب غيره ، الغالب عليه أنه يذمه ويشتغل به وينسى عيب نفسه ، قال تعالى : (فاستقم كما أمرت ومن تاب معك) الآية [هود : ١١٢] ، وذكر أن هذه من آيات الخوف.

ثم قال تعالى : (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا) الآية [هود : ١١٣] بعض الكفار قد يكون فيه أخلاق ، مثل حاتم وعبد المطلب ، فإن كان كفره بالله وإشراكه ، لا يشينه عندك ويغطي محاسنه ، فهو من الركون إليهم ، كما قال أبو العالية في الآية : لا ترضوا بأعمالهم ، انتهى.

مثل كون المرأة إذا كانت زانية فسدت عند الناس ، ولو كان فيها أخلاق حسنة ؛ وفيها جمال وبنت رجال ، وهذا العيب يغطي محاسنها كلها عند الناس ؛ والإنسان قد يكون له قريب ، أو رجل ينفعه ، فتوعد على الركون إليهم بالنار مع أنه يقع عندنا ، ولا يستنكر ولا ينتقد على فاعله.

وقوله : (وأقم الصلاة طرفي النهار) الآية [هود :

١١٤] إذاعرفت سبب نزولها ، عرفت الجهل الكثير في أكثر الناس ، وعرفت أنها من عجائب القرآن ، إذا جمعت بينها وبين ما ذكر الله قبلها في الركون ، وتوعده عليه بالنار ؛ فعظم الله أمر الركون ، وأمره عندنا يسير هين ، ولا يعاب على فاعله.

وفعل هذا الرجل الذي ذكر أنها نزلت فيه ، لو يفعله عندنا رجل جيد عاب[1] عند الناس ولو تاب ، فينبغي للإنسان أن يعظم ما عظم الله ورسوله ، ولو كان عند الناس أمره هيناً ، وأيضاً يعرف المؤمن عظم شأن الصلوات الخمس عند الله.

وقوله : (واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) [هود : ١١٥] لما كان ما تقدم من الأمر والنهي خلاف طبع الإنسان ، ذكر أنه لا يقدر على ذلك إلا بالصبر ورجاء ما عند الله.

وقوله : (فلولا كان من القرون) الآية [هود : ١١٦] لولا بمعنى هلا ، وهذه الآية يستدل بها العلماء على أن الدين غريب ، لأن هذه الأمة تفعل ما فعلت الأمم قبلها ، وقوله : (واتبع الذين ظلموا) الآيتين [هود : ١١٦ ، ١١٧] لما كان الإنسان يتباعد هذا ، ويقول : كيف أن العلماء لا يأمرون بالمعروف ، ولا ينهون عن المنكر.

فذكر سبحانه : أن الآفة استحباب الدنيا على الآخرة ،

---

(١) كذا بالأصل.

واتباع ما أترفوا فيه ؛ فالعلماء لهم مدارس ومواكل ، ولو يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر قطعت مواكلهم ، فآفتهم ليست عدم العلم ، بل ما ذكر الله.

وذكر أن ملكاً من الملوك : أراد أن يأمر بشيء في رعيته على خلاف الشرع ، فجمع العلماء والفقهاء من أهل بلده يشاورهم ، فلم يقولوا شيئاً وسكتوا ، فتبين منهم رجل وأنكر عليه ، وقال : هذا لا يجوز ، فقال الملك : اقطعوا علائق هذا المتفقه ؛ فقالوا : إنه يأكل من غزل أمه ؛ قال : فلذلك اجترأ علينا.

وقوله : (ولا يزالون مختلفين) [هود : ١١٨] ذكر سبحانه : أن المعرضين عن كتاب الله ، هم أهل الاختلاف إلى يوم القيامة ؛ ولا يتصور أنهم يجتمعون على دين واحد ، ولو كانوا علماء أذكياء ، كأهل الكلام ، يتناقضون ويختلفون في دينهم ، أعظم تناقض واختلاف ؛ وقد سمعتم من ذلك شيئاً ؛ وأهل السنة هم أهل الجماعة ، ودينهم دين واحد من أولهم إلى آخرهم ؛ وهذا مما يبين لك شيئاً من قدرة الله عز وجل.

وقوله : (ولذلك خلقهم) [هود: ١١٩] فيها ثلاثة أقوال ، ومعناها واحد ؛ فمن قال : إنهم خلقوا للاختلاف ؛ ومن قال : خلقوا للرحمة ؛ ومن قال : خلقوا لهذا وهذا ؛ ومعناها واحد.

وقوله : (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل) الآية [هود : ١٢٠] في هذا دليل على عدم معرفة أكثر القراء

بالقرآن ، إذا كان في قصص الرسل ، ما يثبت به فؤاده ﷺ ، فكيف بغيره؟ .

وقوله : (وجاءك في هذه الحق) قيل في هذه السورة ؛ وهذه السورة لها شأن عند السلف ؛ (وقل للذين لا يؤمنون) الآيتين [هود : ١٢١ ، ١٢٢] فهم ينتظرون زواله ، وهو ينتظر زوالهم ، وهذه لها أشباه ؛ وقوله : (ولله غيب السموات والأرض) الآية [هود : ١٢٣] مثل قوله : (إن الله يعلم غيب السموات والأرض) [الحجرات : ١٨] (وإليه يرجع الأمر كله) الآية [هود : ١٢٣] تقتضي عبادة الله والتوكل عليه ؛ وهذا يجمع الدين كله ، كقوله : (إياك نعبد وإياك نستعين) والله أعلم ، وصلى الله على محمد.

سئل الشيخ عبد الرحمن بن حسن ، رحمه الله تعالى ، عن معنى قوله تعالى : (ولا يزالون مختلفين ، إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) [هود : ١١٨ ، ١١٩] قال أبو البقاء : الاستثناء من ضمير الفاعل ، في (ولا يزالون) وهو الواو ، وقوله : (ولذلك خلقهم) أي للرحمة فاسم الإشارة راجع إلى الرحمة ، لأنه أقرب مذكور ، قوله : (ولذلك) أي : للرحمة (خلقهم).

قلت : وهذا الذي عليه أكثر المفسرين ؛ قال ابن جرير ، ما معناه : اسم الاشارة راجع للاختلاف ، أي : مختلفين ، وهو ضعيف عند المحققين من المفسرين ، كشيخ الإسلام ابن تيمية ، وأبي البقاء وغيرهما.

وروي عن طاووس : أن رجلين اختصما إليه ، فأكثروا ، فقال طاووس : اختلفتما وأكثرتما ، فقال أحد الرجلين : لذلك خلقنا ، فقال طاووس : كذبت أليس يقول : (ولا يزالون مختلفين ، إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) قال لم يخلقهم ليختلفوا ، ولكن خلقهم للجماعة والرحمة ؛ وقال ابن عباس : للرحمة خلقهم ، ولم يخلقهم للعذاب ؛ وكذا قال مجاهد والضحاك وقتادة.

وعلى هذا الإشكال ، فيكون كقوله تعالى : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) [الذاريات : ٥٦] قال العماد ابن كثير ، رحمه الله : ويدل على ذلك قوله تعالى : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) [البقرة : ١٨٥] (والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً) [النساء : ٢٧].

وأما قوله : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) فاللام للتعليل بلا ريب ، وهو قول أهل السنة والجماعة قديماً وحديثاً ؛ فدلت الآية : على أن حكمة الرب في خلقه الثقلين ليعبدوه وحده.

فإنه ربهم وخالقهم ومليكهم ، وهم تحت قهره وقدرته ، وهو المنعم عليهم وحده ، فوجب لذلك وغيره من صفات الله وعظمته : أن يكون هو معبودهم وحده دون كل ما سواه ، كما قال تعالى : (أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون) [النحل : ١٧] وقال : (يا أيها الناس اعبدوا ربكم

الذي خلقكم) إلى آخر الآيات [البقرة : ٢١ ــ ٢٤].

والمراد بالحكمة في هذه الآية : الدينية الشرعية ؛ لكن من الناس من وافق هذه الحكمة بإرادته وعلمه وعمله ، ومنهم من خرج عنها لعدم قبوله لما أراده الله به ، وذلك بقضاء الرب وقدره ، لعلمه السابق في خلقه.

لأنه تعالى يعلم ما هم عاملون قبل خلقه لهم ، وهو الذي يهدي من يشاء بفضله وإحسانه ، ويضل من يشاء بعدله وقدرته ومشيئته ؛ فالأول : فضله ؛ والثاني : عدله ؛ قال الله تعالى : (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين) [الزخرف : ٧٦].

وقد مكن عباده بأسباب يقتدر بها العبد على طاعة ربه ، كما قال تعالى : (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً) [الإسراء : ٣٦] وأرسل الرسل مبشرين ومنذرين ، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور (فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة) [النحل : ٣٦] كما قال تعالى : (رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) ، [النساء : ١٦٥].

ونظير هذه الآية ، قوله تعالى : (وما أرسلنا من رسول لا ليطاع بإذن الله) [النساء : ٦٤] فمنهم من أطاع ومنهم من عصى ؛ فالفضل فضله تعالى ، والحجة له بالبيان والفطرة والعقول ، والعلم الذي أنزل في كتبه ، وعلى ألسن رسله ، وبالله التوفيق.

وعلى العبد : أن يتسبب بالإقبال على ذلك ، وطلب ما يحبه منه ويرضاه ، ويترك ما يسخطه ويأباه ؛ وأن يكون ذلك هو أهم الأشياء لديه (وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) [هود : ٨٨].

وأما قوله ﷺ : « اللهم إني أسألك الثبات في الأمر ، والعزيمة على الرشد » فالمراد بالأمر الأمر الديني الشرعي ، فيسأل الله تعالى الثبات عليه ، بتحصيل أسبابها ، فمنها معرفة الهدى بدليله ، وذلك عن يقين وحسن قبول ، وانقياد ومحبة ، وصبر وخشية الله وخوف منه ، ونحو ذلك ، فإن الطباع البشرية ، تصرف القلب عن الثبات في الأمر الشرعي الديني ، فيخالفه هواه.

واتباع الهوى له أسباب كثيرة ، لا يدفعها عن العبد إلا قوة داعي الإيمان بالله ورسله ، وتدبر كتابه ، وعدم الإعراض عنه إلى غيره ، قال الله تعالى : (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه) [الكهف : ٥٧] ونحو ذلك في عدة مواضع من القرآن ، يحذر تعالى عباده عن الإعراض ، لأنه يمنع العبد من الخير كله ، ويوقعه في الشر كله ، ويجمع على العبد شرور نفسه وسيئات أعماله.

نسأل الله العفو والعافية ، في الدنيا والآخرة ؛ فمن أعظم أسباب الثبات ، محبة الهدى والرغبة فيه ، وطلبه بجهده ، لما تقدم ، والضد بالضد.

وأما قوله : « والعزيمة على الرشد » فالعبد محتاج إلى

ذلك أيضاً بمعرفة ما يصلحه ، في معاشه ومعاده والعزيمة عليه ، ولكن الناس اختلفوا في هذا ، كما اختلفوا فيما قبله ، فقد يعرف رشده وقد لا يعرفه ، والذي يعرفه قد يعزم عليه وقد لا يعزم ، فحصل التفاوت ؛ فالخير لا يحصل إلا بطلب وعمل ، واستعانة بالله على ذلك ، وافتقار إليه وإنابة إليه وتوكل عليه ، ومن ضيع أسباب الثبات ضاع ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

سورة يوسف

ذكر ما ذكر الشيخ : محمد رحمه الله ، **على** سورة يوسف من المسائل:

(الر تلك آيات الكتاب المبين ، إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون ، نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين) [يوسف : ١ ــ ٣] روى ابن جرير عن سعد بن أبي وقاص ، قال أنزل على النبي ﷺ القرآن فتلاه زماناً، فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا ، فنزل : (الله نزل أحسن الحديث) الآية [الزمر : ٢٣].

وله عن عون بن عبد الله قال : ملّ الصحابة ملّة ، فقالوا يا رسول الله : حدثنا فنزل (الله نزل أحسن الحديث) ثم ملّوا ملّة ، فقالوا يا رسول : حدثنا ما فوق الحديث ، ودون القرآن ــ يعنون القصص ــ فأنزل الله أول هذه السورة ، إلى قوله : (لمن الغافلين).

ومما يدل على أن القرآن ، كاف عما سواه من الكتب :

أن عمر أتى النبي ﷺ بكتاب فقرأ عليه فغضب ، فقال : « أمتهوّكون فيها يا ابن الخطاب ؟ والذي نفسي بيده : لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبونه ، أو بباطل فتصدقونه ، والذي نفسي بيده : لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي » رواه أحمد.

وفي لفظ : أنه استكتب جوامع من التوراة ، وقال : ألا أعرضها عليك ، وفيه « لو أصبح فيكم موسى حياً ، ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم ، إنكم حظي من الأمم ، وأنا حظكم من النبيين » وقد انتفع عمر بهذا ، فقال للذي نسخ كتاب دانيال ، امحه بالحميم والصوف الأبيض ، وقرأ عليه أول هذه السورة ، وقال : « لئن ، بلغني أنك قرأته ، أو أقرأته أحداً من الناس ، لأنهكنك عقوبة ».

والمراد بأحسن القصص القرآن ، لا قصة يوسف وحدها ، وقوله : (تلك) أي هذه (آيات الكتاب المبين) الواضح الذي يوضح الأشياء المبهمة ؛ وقوله : (لعلكم تعقلون) أي : تفهمون معانيه ؛ والقصص : مصدر قص الحديث يقصه قصصاً ، أي : بإيحائنا إليك هذا القرآن.

وقوله : (لمن الغافلين) أي : الجاهلين به ، وهذا مما يبين جلالة القرآن ، لأن فيه دلالة على أن علمه ﷺ من القرآن ؛ وفيه دلالة على جلالة الله وقدرته ، ودلالة على عظيم نعمته على نبيه ﷺ ؛ وفيه دلالة على كذب من ادعى : أن غيره من الكتب أوضح منه.

قوله عز وجل : (إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ، قال يا بني لا تقصص رُءْيَاك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للإنسان عدو مبين) [يوسف : ٥] أبوه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام ؛ والكواكب عبارة عن إخوته ، والشمس والقمر عبارة عن أبيه وأمه.

ووقع تفسيرها بعد أربعين سنة ، وقيل ثمانين ، حين رفع أبويه على العرش ، وخروا له سجداً ، ولما كان تعبيرها خضوعهم له ، خشي إن حدثهم أن يحسدوه ، فيبغون له الغوائل ؛ وثبت : أن رسول الله ﷺ أمر من رأى ما يحب أن يحدث به ، ولا يحدث إلا من يحب ؛ وإذا رأى ما يكره فليتحول إلى جنبه الآخر ، ويتفل عن يساره ثلاثاً ، ويتعوذ بالله من شرها فإنها لا تضره.

وفيها عدم الوثوق بنفسك وبغيرك ؛ قيل للحسن أيحسد المؤمن ؟ قال : أنسيت إخوة يوسف ؟ وفيها التنبيه على السبب ، وهو عداوة الشيطان للإنسان ، وفيها كتمان النعمة ما لم يؤمر بإظهارها ، وفيها كتمان السر.

قوله : (وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحٰق إن ربك عليم حكيم) [يوسف : ٦] أي : كما اختارك لهذه الرؤيا ، كذلك يختارك

لنبوته (ويعلمك من تأويل الأحاديث) قال مجاهد وغيره : عبارة الرؤيا.

(ويتم نعمته عليك) بإرسالك (كما أتمها على أبويك من قبل) وقوله : (إن ربك عليم حكيم) أي : عليم بمن يصلح للاجتباء ، حكيم يضع الأشياء في مواضعها ؛ وهذا من أنفع العلوم ، يعني : معرفة الله تعالى ، ولا يعتني به إلا من عرف قدره.

وفيها البشارة بالخير ، وأنه ليس من مدح الإنسان المنهي عنه ، وفيها تولية النعمة مسديها سبحانه وتعالى ، وفيها سؤال الله تعالى تمام النعمة ، وأن علم التعبير علم صحيح يمن الله به على من يشاء من عباده.

وقوله عز وجل : (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين ، إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين ، اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين ، قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين) [يوسف : ٧ ــ ١٠].

يعني : أن في ذلك عبراً وفوائد لمن يسأل ؛ فإنه خبر يستحق السؤال (إذ قالوا ليوسف وأخوه) شقيقه (ونحن عصبة) أي : جماعة ؛ وقوله : (في ضلال مبين) أي : تقديمهما علينا ؛ وقوله : (أو اطرحوه أرضاً) أي ألقوه في أرض بعيدة (يخل لكم) وحدكم (وجه أبيكم وتكونوا من

بعده قوماً صالحين) أي : تتوبون.

وقوله : (في غيابة الجب) أي : أسفله (يلتقطه بعض السيارة) أي : المارة من المسافرين (إن كنتم فاعلين) أي : إن كنتم عازمين على ما تقولون ؛ قال ابن إسحاق : لقد اجتمعوا على أمر عظيم ، يغفر الله لهم (وهو أرحم الراحمين) ، [يوسف : ٩٢].

وفيها مسائل ، منها : ما نبّه الله تعالى عليه أن هذه القصة فيها عبر ؛ قال بعضهم : فيها أكثر من ألف مسألة ؛ وفيها : أن الذي ينتفع بالعلم ، هو الذي يهتم به ويسأل عنه ؛ وأعظم ما فيها تقرير الشهادتين بالأدلة الواضحة.

وفيها : أن الوالد يعدل بين الأولاد ، لئلا تقع بينهم القطيعة ، وأن ذلك ليس مختصاً بالمال ؛ وفيها : غلط العالم في الأمر الواضح ؛ وتغليطه من لا ينبغي تغليطه ، لقولهم : (ونحن عصبة) الآية ، وفيها : أن الإنسان لا يغتر بالشيطان ، إذا زين له المعصية ومنّاه التوبة.

وفيها : شاهد للمثل المعروف : بعض الشر أهون من بعض ؛ وفيها : شاهد لقوله : « أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى الرجل على قدر دينه » وسيأتي بعض ما فيها من المسائل ، في مواضعه إن شاء الله تعالى.

(قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون ، أرسله معنا غداً يرتع ويلعب وإنا له لحافظون) [يوسف : ١١ ، ١٢] قال ابن عباس وغيره : (يرتع

ويلعب) يسع وينبسط ، وفي قراءة : (نرتع ونلعب) فيه الرخصة في بعض اللعب خصوصاً للصغار ، وفيه التحفظ على الأولاد ، وفيه إرسالهم مع الأمناء الناصحين ، وفيه عدم الاغترار بحسن الكلام.

(قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون ، قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذاً لخاسرون) [يوسف : ١٣ ، ١٤] قال : إنه ليشق علي مفارقته ، وقت ذهابكم به ، لفرط محبته (وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون) أي : تشتغلون عنه برميكم ، ورعيكم ، فأخذوها منه ، وجعلوها عذرهم ؛ ومن الأمثال : البلاء موكل بالمنطق.

وفيه : أنه لم يتهمهم بما أرادوا ، ولكن خاف من التقصير في حفظه ، (قالوا لئن أكله الذئب) أي : إن عدا عليه فأكله ونحن جماعة ، إنا إذاً لعاجزون ؛ فيه : الذم لمن ترك الحزم ، وفيه : أن العجز هلكة.

(فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون) [يوسف : ١٥] هذا فيه تعظيم لما فعلوا أنهم اتفقوا على إلقائه في الجب ، وقد أخذوه من أبيه بذلك الكلام ؛ وقوله : (وأوحينا إليه) قيل : كان قد أدرك ، وقيل : أوحى إليه كما أوحى إلى عيسى ويحيى.

وقوله : (وهم لا يشعرون) أي : لا يشعرون بأنك

يوسف ، كذا روي عن ابن عباس ، وقيل : لا يشعرون بإيحائنا ذلك إليه ، وفيه : جواز الذنوب على الصالحين ؛ وفيه : رجاء رحمة الله ؛ وفيه : أن الله سبحانه وقت البلاء نعماً عظيمة ؛ وفيه : أن الماكر يصير وبال مكره عليه ، ولكن لا يشعر ولو شعر لما فعل.

(وجاءوا أباهم عشاء يبكون ، قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ، وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) [يوسف : ١٦ ــ ١٨].

لما رجعوا إليه باكين إظهاراً للحزن على يوسف ، اعتذروا باستباقهم وهو الترامي (وقالوا إنا ذهبنا نستبق) وقوله : (عند متاعنا) أي : ثيابنا وأمتعتنا ؛ وقوله : (وما أنت بمؤمن لنا) أي : لست بمصدقنا ولو كنا صادقين عندك ، فكيف مع التهمة.

وقوله : (بدم كذب) نسوا أن يخرقوا القميص ، فعرف كذبهم ؛ قوله : (سولت) أي : زينت أو سهلت ؛ والصبر الجميل الذي لا شكوى معه ، وقوله : (تصفون) أي : تذكرون.

وفيه من الفوائد : عدم الاعتذار ببكاء الخصم ، وعدم الاغترار بزخرف القول ؛ وما يجعل الله على الباطل من العلامات ؛ وفيه : الاستدلال بالقرائن ؛ وفيه : ما ينبغي

استعماله عند المصائب ، وهو الصبر الجميل ، والاستعانة بالله ، وأن التكلم بذلك حسن.

(وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون ، وشروه ، بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين) [يوسف : ١٩ ، ٢٠] السيارة الرفقة السائرون ، والوارد الذي يرد الماء يستسقي للقوم ؛ وقوله : (وأسروه بضاعة) أي : أظهروا أنهم أخذوه بضاعة من أهل الماء.

وقوله : (وشروه بثمن بخس دراهم) أي : باعوه في مصر بثمن قليل ، لأنهم لم يعلموا حاله ؛ وفيه من الفوائد : أن الله يبتلى أحب الناس إليه بمثل هذا البلاء العظيم عليه وعلى أبيه ؛ ومن ذلك البلاء : أنه سلط عليه من يبيعه بيع العبد ؛ وفيه : أنه لا ينبغي للعاقل أن يستحقر أحداً ، فقد يكون زاهداً فيه وهو لا يعلم.

(وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) [يوسف : ٢١] قال ابن مسعود : أفرس الناس ثلاثة ، العزيز حيث تفرس في يوسف ؛ والمرأة حين قالت : يا أبت استأجره ؛ وأبو بكر في عمر.

وقوله : (وكذلك مكنا ليوسف) أي : كما أنجيناه من كيد إخوته ، ومن الجب ، وجعلناه عند من يكرمه ، مكنا له

(ولنعلمه من تأويل الأحاديث) أي إنما فعلنا ذلك لحكمة ، وهي : إعطاؤنا إياه العلم والعمل.

وقوله : (والله غالب على أمره) أي : الذي يجري ما أراد ، لا ما أراد العباد ، كما لم يعمل كيدهم في يوسف ؛ وقوله : (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ما أعظمها من فائدة لمن فهمها.

(ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين) [يوسف : ٢٢] تقول العرب : بلغ أشده ، أي : منتهى شبابه ، قيل : الحلم ؛ وقيل : أكثر من ذلك ؛ قوله : (آتيناه حكماً وعلماً) العلم : معرفة الأشياء ، والحكم العمل به ، وإصابة الحق.

وقوله : (وكذلك نجزي المحسنين) يعني أن هذا ليس مختصاً بيوسف ، بل الله سبحانه يجازي المحسنين بخير الدنيا والآخرة ، ومن ذلك أنه يجازي المحسنين بإعطائه العلم والحكمة.

(وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون) [يوسف : ٢٣].

فيه مسائل ، الأولى قوله : (إنه ربيِ) أن هذا جائز في شريعتهم ، بخلاف شريعتنا ، لأنها لو كانت سمحة في العمل فهي حنيفية في التوحيد ؛ الثانية : مراعاة حق المخلوق ؛ الثالثة : شكر نعمة المخلوق ، لقوله : (أحسن مثواي) .

الرابعة : القاعدة الكلية (إنه لا يفلح الظالمون) الخامسة : التنبيه على عدم مخالطة الخدم للنساء ، خصوصاً إذا كان في الخادم داعية.

السادسة : معرفة كمال يوسف عليه السلام ، فإن صبره لا يعرف له نظير ؛ السابعة : براءته ﷺ من الحول والقوة ، لقوله : (معاذ الله) أعوذ بالله (إنه ربي) أي : سيدي (أحسن مثواي) أي : أكرمني ؛ الثامنة : أن الاعتذار بحق المخلوق لا بأس به ؛ ولو كان في القضية حق الله ؛ ومعنى : (هيت لك) أي : أقبل.

(ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين) [يوسف : ٢٤].

فيه مسائل ، الأولى : أن الهم الذي لا يقترن به عمل ولا قول ، لا يعد ذنباً ، كما في الحديث « إن الله تجاوز لهذه الأمة عما حدثت به أنفسها ما لم تكلم أو تعمل » الثانية : أن الذي صرفه عن ذلك ، فضل تفضل الله عليه به تلك الساعة ، غير إيمانه الأول ، وهذه من أعظم ما يعرف الإنسان نفسه.

الثالثة : أن هذا الفضل سببه ، ما تقدم له من العمل الصالح ، فمن ثواب العمل حفظ الله للعبد ، كما في قوله : « احفظ الله يحفظك » الرابعة : معرفة قدر الإخلاص ، حيث أثنى الله على يوسف أنه من أهله ؛ الخامسة : السابقة التي

سبقت من الله ، كما قال أبو عثمان : لأنا بأول هذا الأمر أفرح مني بآخره.

السادسة : أن العباد المضافين إليه ، غير الذين قال فيهم : (إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً) [مريم : ٩٣] السابعة : صرف الله عنه السوء والفحشاء ، فيه رد على ما ذكر بعض المفسرين ؛ الثامنة : أن الصارف له آية من آيات الله ، أراه إياها ؛ التاسعة : عطف الفحشاء على السوء ، قيل : إن السوء الذنوب كلها.

(واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم) [يوسف : ٢٥] تبادرا إلى الباب ، إن سبق يوسف خرج ، وإن سبقته أغلقت الباب لئلا يخرج ، وقوله : (من دبر) أي : من خلف (وألفيا) أي : وجدا ؛ سيدها ، أي : زوجها (لدى الباب) أي : عنده.

فيها مسائل ؛ الأولى حرصه عليه السلام على البعد عن الذنب ، كما حرصت على الفعل ؛ الثانية : لطف الله تعالى في تيسيره شق القميص من دبر ؛ الثالثة : كشف الله ستر العاصي فيما يستبعد ؛ الرابعة : شدة مكر النساء ، كيف قويت على هذا في هذا الموضع.

الخامسة : التحرز من تظلم الشخص ، فربما أنه هو الظالم ؛ والدواء : التأني وعدم العجلة ؛ السادسة تسمية الزوج سيداً في كتاب الله ؛ السابعة : ما عليه الكفار من

استعظام الفاحشة ؛ الثامنة : الغيرة على الأهل.

(قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) [يوسف : ٢٦ ، ٢٧] قوله : (من أهلها) أي من أقاربها ، وإن كان مع زوجها.

فيه مسائل ؛ الأولى القيام بالقسط في الشهادة ، قد يكون من الكفار ؛ والعجب أنه في مثل هذه الحادثة ؛ الثانية : أن الشاهد إذا كان من قزابات المشهود عليه ، فهو أبلغ ؛ الثالثة الحكم بالدلالات والقرائن.

الرابعة : ذكر الله تعالى ذلك على سبيل التصويب ، فيفيد قبول الحق ممن أتى به كائناً من كان ؛ الخامسة : أن مثل هذه القرينة يصح الحكم بها ؛ السادسة : ألطافه تبارك وتعالى في البلوى ؛ السابعة : أن ذكر الخصم مثل هذا عن صاحبه ، لا يذم بل يحمد.

(فلما رأى قميصه قدّ من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم ، يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين) [يوسف : ٢٨ ، ٢٩].

فيه مسائل ؛ الأولى : كون زوجها قبل الحق وصار مع يوسف عليها ؛ الثانية : قلة الغيرة على أهله ؛ الثالثة : أن قوله هذه القضية الجزئية ، خارجة عن قضايا كلية ؛ الرابعة عظمة كيد النساء ، وذكره تعالى ذلك غير منكر له ، مع قول

النبي ﷺ : « إنكن لأنتن صواحب يوسف ».

الخامسة : أنه لم يحكم عليها إلا بعدما رأى القد ؛ السادسة : أمره ليوسف بكتمان السر ، مع ما أنزله الله في ذلك من التغليظ ، إلا بأربعة شهداء ؛ السابعة : أمره لها بالاستغفار من الذنب ، مع عدم الإسلام ؛ الثامنة : حكمه عليها أنها صارت من هؤلاء المذمومين عندهم.

(وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً إنا لنراها في ضلال مبين) [يوسف : ٣٠] قوله : (فتاها) أي : عبدها ، وقوله : (شغفها) الشغاف داخل القلب ، أي : دخل حبه في داخل قلبها.

فيه مسائل ؛ الأولى : أن هذا قبيح في عرفهن ولو لم يكن مسلمات ؛ الثانية : حب المرأة حباً عظيماً من هو دون مرتبتها مما يعينه ؛ الثالثة : أنها لم تكتم بل سعت في طلب الفاحشة بالمراودة ؛ الرابعة : أن هذا من مثلها ضلال مبين عندهن.

(فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكيناً وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم) [يوسف : ٣١].

فيه مسائل ؛ الأولى : بيان كمال عقلها الذي ينقص عنه أكثر عقول الرجال ؛ الثانية : ما أعطى يوسف عليه السلام ، من جمال الصورة التي تبهر الناظر ؛ الثالثة : غيبة عقولهن ،

وعدم إحساسهن بقطع أيديهن ، وهذه من أعجب ما سمع ؛ الرابعة : معرفتهن بالملائكة ؛ الخامسة : جلالة الملائكة عندهن ، وأنهم أكمل من البشر ؛ السادسة : معنى (حاش لله) في هذا المقام ؛ السابعة : وصفهن الملك بالكرامة.

(قالت فذلكن الذي لمتنّني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين) [يوسف : ٣٢].

فيه مسائل ؛ الأولى : إظهار عذرها لما أصابهن ما ذكر ؛ الثانية : إقرارها أنها ستعود ؛ الثالثة : كما أخبرتهن بجماله الظاهر بالحسن ، أخبرتهن بجماله الباطن بالعفة ؛ الرابعة : إخبارها أنها لا صبر لها عنه ، فإن لم يفعل سعت في سجنه ومهونته ؛ الخامسة : معنى (استعصم) امتنع وأبى.

(قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين ، فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم) [يوسف : ٣٣ ، ٣٤].

فيه مسائل ؛ الأولى : فضيلة يوسف عليه السلام ، كيف اختار السجن على ما ذكر ، مع قوة الدواعي وصرف الموانع ، ولا يعرف لأحد نظير هذا ؛ الثانية : التصريح بأن النسوة دعونه من غير امرأة العزيز ؛ الثالثة : معرفته عليه السلام بنفسه وبربه ؛ وأن القوة التي فيه لا تنفع إلا أن أمده الله بمدد منه.

الرابعة : أن هذا الكلام دعاء ولو كان بهذه الصيغة ؛ الخامسة : أن الله سبحانه ذكر أنه استجاب دعاءه ، فدعاؤه عليه السلام سبب لصرف ذلك عنه ؛ السادسة : ختمه سبحانه ما ذكر بوصف نفسه ، بأنه السميع العليم ؛ السابعة : استفتاحه الدعاء بربه ، وقوله تعالى : (فاستجاب له ربه) الثامنة : إثبات المكر أولاً والكيد بعده لهن.

(ثم بدا لهم من بعدما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين) الآية [يوسف : ٣٥] قيل : سبب ذلك أن الحديث شاع في الناس ، فأرادوا سجنه إظهاراً للناس أنه المذنب (إلى حين) قيل : إلى أن تسكن القضية.

فيه مسائل ؛ الأولى : أنهم تمالؤوا على ذلك ، ليس رأياً لزوجها خاصة ؛ الثانية : أن تلك الحيلة لم تنفع ، بل أظهر الله ما يكرهونه على الرغم منهم ؛ الثالثة : ابتلاء الله أحب الخلق إليه ، وهم الأنبياء بالسجن ؛ الرابعة : أن السبب الذي أظهروا ، أكبر بلية من السجن ، عند أهل المروءات ؛ الخامسة : أن رؤية الآيات ، والقطع على المسألة ، لا يستلزم اتباع الحق وترك الباطل.

(ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمراً وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين) [يوسف : ٣٦] فيه مسائل ، ونذكر القصة قبل ذلك.

قيل : إن الملك بلغه أن الخباز يريد أن يسمه ، وأن

صاحب شرابه مالأه على ذلك ، فحبسهما جميعاً ، وذلك قوله : (ودخل معه السجن فتيان) فقال الساقي : (إني أراني أعصر خمراً) أي : أعصر عنباً خمراً ، وقال صاحب الطعام : (إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه نبئنا بتأويله) بتفسيره (إنا نراك من المحسنين) تأتي الأفعال الجميلة ؛ وقيل : ممن يحسن تعبير الرؤيا.

فيه مسائل : الأولى عبارة الرؤيا علم صحيح ، ذكره الله في القرآن ؛ ولأجل ذلك قيل : لا يعبر الرؤيا إلا من هو من أهل العلم بتأويلها ، لأنها من أقسام الوحي ؛ الثانية : تعبير أكل الطير من الخبز الذي فوق رأس الرجل بما ذكر ؛ الثالثة : تعبير عصير الخمر بسلامة الذي رآه ورجوعه إلى مرتبته.

الرابعة : فيه دلالة على قوله ﷺ : « إذا رأى أحدكم ما يكره فلا يذكرها » وقوله : « الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فإذا عبرت وقعت » الخامسة : أن التأويل في كلام الله ولغة العرب ، غير التأويل في عرف المتأخرين ، ومعناه ما يؤول الأمر إليه ؛ السادسة : أنه لا ينبغي للإنسان أن يسأل عن مسائل العلم ، إلا من رآه يحسن ذلك.

(قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ، واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحٰق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ، يا

صاحبي السجن ءَأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ، ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) [يوسف : ٣٧ ـ ٤٠].

يقول عليه السلام : إني عليم بتعبير الرؤيا هذه وغيرها ، فـ (ـلا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله) قبل إتيانه ، فكيف بغير ذلك؟

ففيه مسائل ؛ الأولى : ذكر العالم أنه من أهل العلم عند الحاجة ، ولا يكون من تزكية النفس ؛ الثانية : إضافة هذه النعمة العظيمة إلى معطيها سبحانه وتعالى ، لا إلى فهم الإنسان واجتهاده ، الثالثة : ذكر سبب إكرام الله له بهذا الفضل ، وهو الترك والفعل ، فترك الشرك الذي هو مسلك الجاهلين ، واتبع التوحيد الذي هو سبيل أهل العلم ، من الأنبياء وأتباعهم.

الرابعة : ذكره أنه من هؤلاء الأكرمين ، فانتسب إلى البيت الذي هو أشرف بيوت أهل الأرض ، وهذا جائز على غير سبيل الافتخار ، خصوصاً عند الحاجة ؛ الخامسة : أنه صرح لهم بأنهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب ؛ السادسة : أن الجد يسمى أبا ، كما ذكر ابن عباس ، واحتج بالآية على زيد بن ثابت.

السابعة : قوله : (ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء)

قيل معناه : أن الله عصمنا ، وهذه الفائدة من أكبر الفوائد ، وأنفعها لمن عقلها ، والجهل بها أضر الأشياء وأخطرها ؛ الثامنة : قوله : (من شيء) عام كل ما سوى الله ، وهذه المسألة هي التي غلط فيها أذكياء العالم وعقلاء بني آدم ، كما قال تعالى : (كبر على المشركين ما تدعوهم إليه) [الشورى : ١٣].

التاسعة : ذكر سبب معرفتهم بالمسألة ، وعلمهم بها ، وثباتهم عليها ؛ وهو مجرد فضل الله فقط عليهم ؛ العاشرة : أن فضله سبحانه ليس مخصوصاً بنا ؛ بل عام للناس كلهم ، لكن منهم من قبله ، ومنهم من ردّه ، وذلك أنه أعطى الفطر ثم العقول ، ثم بعث الرسل وأنزل الكتب.

الحادية عشر : إزالة الشبهة عن المسألة التي هي أكبر الشبه ؛ وذلك : أن الله إذا تفضل بهذا كله ، خصوصاً البيان ، فما بال الأكثر لم يفهم ولم يتبع ؟ فما أكثر الجاهلين بهذا ، وما أكثر الشاكين فيه ؛ فقد ذكر تعالى أن السبب : أن جمهور الناس لم يشكر ؛ فأما من عرف النعمة فلم يلتفت إليها فلا إشكال فيه ، وأما من لم يعرف فذلك لإعراضه ، ومن أعرض فلم يطلب معرفة دينه فلم يشكر.

الثانية عشر : دعوته إياهما عليه السلام إلى التوحيد في تلك الحال ، فلم تشغله عن النصيحة والدعوة إلى الله ، فدعاهما أولاً بالعقل ، ثم بالنقل ، وهي : الثالثة عشر ؛ الرابعة عشر ، قوله : (ءَأرباب متفرقون خير أم الله الواحد

القهار) [يوسف : ٣٩] فهذه حجة عقلية ، شرحها في قوله تعالى : (ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلا) الآية [الزمر : ٢٩] ؛ الخامسة عشر : أن الذي في الجانب الآخر ، هو الذي جبلت القلوب ، وأقرت الفطر أنه ليس له كفو.

السادسة عشر : أنه هو القهار ، مع كونه واحداً ، وما سواه لا يحصيهم إلا هو ، فهذه قوته ؛ وهذا عجزهم فكيف يعدل به واحد منهم ، أو عشرة أو مائة ؟ ! السابعة عشر : بيان بطلان ما عبدوا من دونه ، بأنها أسماء لا حقيقة لها ؛ الثامنة عشر : التنبيه على بطلانها ، بكونها بدعة ابتدعها من قبلكم فتبعتموهم.

التاسعة عشر : بيان الواجب على العبد في الأديان ، السؤال عما أمر الله به ونهى عنه ، وهو السلطان المنزل من السماء ، لا يعبد بالظن وما تهوى الأنفس ؛ العشرون : القاعدة الكلية التي تفرع عنها تلك الجزئية ، وهي : أن أحكام الدنيا إلى الله ، لا إلى آراء الرجال ، كما قال تعالى : (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله) [الشورى : ١٠].

الحادية والعشرون : إذا ثبت أن الحكم له وحده ، دون الظن وما تهوى الأنفس ، فإنه سبحانه حكم بأن العبادة كلها محصورة عليه ، ليس لأحد من أهل السماء وأهل الأرض منها شيء ؛ الثانية والعشرون : أن هذه المسألة هي الدين القيم ، وكل ما خالفها أو ليس منها ، فليس بقيم ، بل أعوج ؛ فعلامة

الحق : أن العقول السليمة تعرف اعوجاجه بالفطرة ؛ ومع هذا أنزل الله السلطان من السماء ، بتحقيق هذا والإلزام به ، وتبطيل ذلك ، وتغليظ الوعيد عليه.

الثالثة والعشرون : المسألة الكبيرة العظيمة ، التي لو تجعلها نصب عينيك ليلاً ونهاراً ، لم يكن كثيراً ، وأيضاً تبين لك كثيراً من المسائل التي أشكلت على الناس ، وهي : أن الله بين لنا بياناً واضحاً ، أن الأكثر والجمهور الذين يضيقون الديار ، ويغلون الأسعار ، من أهل الكتاب ، والأميين ، لا يعلمون هذه المسألة ؛ مع إيضاحها بالعقل والنقل والفطرة ، والآيات النفسية والأفقية.

الرابعة والعشرون : أنه ينبغي للعالم إذا سأله العامي عما لا يحتاج إليه ، أو سأله عما غيره أهم منه ، أن يفتح له باباً إلى المهم ؛ الخامسة والعشرون : أنك لا تحقر عن التعليم من تظنه أبعد الناس عنه ، ولا تستبعد فضل الله ، فإن الرجلين من خدام الملوك الكفرة ، بخلاف من يقول : ليس هذا بأهل للعلم ؛ تعليمه إضاعة للعلم.

وقال رحمه الله ، على قوله حكاية عن يوسف : (يا صاحبي السجن ءَأرباب متفرقون) الآية [يوسف : ٣٩] دعاهم يوسف عليه السلام إلى التوحيد بأنواع من الأدلة ؛ أحدها : أنه ذكر أن هذا العلم الذي تميز به عليهما وعلى غيرهما أنه من تعليم ربه إياه ، فالذي يعطي ويمنع ، هو الذي يستحق العبادة ؛ الثاني : أنه حكيم يضع العطاء مواضعه ،

فشرفني بسبب ترك الشرك وفعل التوحيد ؛ الثالث : أن ذلك الفعل والترك ، هو ملة الأنبياء.

الرابع : أن الشرك لم يرخص فيه لأحد من الأنبياء ، كما قد يرخص في غيره ؛ الخامس : أنه منفي عما سوى الله ، فليس يصح منه شيء لغيره ، ولو علت درجته ؛ السادس : أن الهداية إلى ذلك مجرد منة الله على العبد ، وهو أفضل النعم.

السابع : أن الله إذا يسر لك المعلم لذلك ، فهو من فضله عليك ؛ الثامن : أن الإسلام ، واتباع ملة الأنبياء ، هو العلم بذلك والعمل به ، لا مجرد العلم ؛ التاسع ، أنه ذكر لهم ما يحرضهم على القبول ، وهو : أن الداعي من أهل ذلك البيت.

العاشر : أن مع هذا البيان الواضح ، أكثر الناس لا يشكر ، ثم قرره بالأدلة العقلية ، وذلك من وجوه ؛ الأول : أن الله خير من المخلوق ؛ الثاني : أنه واحد ، وأولئك أرباب متفرقون ؛ الثالث : أنه قهار وهم عاجزون ؛ الرابع : العجب العجاب إعراضكم عنه ، وإقبالكم على أسماء لا حقيقة لها ؛ الخامس : أن تلك الأسماء أنتم ابتدعتموها.

السادس : نفي الأدلة عنها ، وهي : إنزال الله الحجة بذلك ؛ السابع : تقرير القاعدة الكلية ، أن أمر التشريع إلى الله لا إلى غيره ؛ الثامن : إثبات أن الذي له الحكم ، حكم بهذا وألزم به ، واختص به عن جميع ما سواه ؛ التاسع : أن هذا هو الدين الصحيح فقط ؛ العاشر : أنه مع

وضوحه بالنقل والعقل وغير ذلك ، لا يعلمه إلا القليل.

وأما الآية التي بعدها ، ففيها مسائل ؛ الأولى : التنبيه على الحكمة فيما تقدم ؛ الثانية : أن الإسلام بعض الإيمان ، الثالثة : أن هذه الدعوة فيها من الحسن والوضوح ، أمر لا يتولى عنه إلا المشاق ؛ الرابعة : الوعيد لمن فعل.

الخامسة : أن ملاطفة الخصم ، والدخول معه فيما لعلك تكرهه ، قد يكون سبباً لهدايته ؛ السادسة : أن ذلك قد يكون سبباً لنصرك عليه إن لم يهتد ؛ السابعة : أنه سبب لكفاية الله إياك أمره ؛ الثامنة : أن المثل هو الشيء بعينه ؛ التاسعة : ختم ما تقدم بالصفات.

وأما التي بعدها ، ففيها مسائل ؛ الأولى : إضافة الصبغة إلى الله ؛ الثانية : أن صبغته لا أحسن منها ؛ الثالثة : أن ذلك لا يستلزم التشبيه ؛ الرابعة : ما فيه من البرهان الواضح ؛ الخامسة : ما فيه من إزالة الشبه الفواضح ؛ السادسة : أن هذا من القول الذي أمرنا به ؛ السابعة : ذكر العبادة بعد ذكر الإسلام ؛ الثامنة : إخلاصها.

وأما التي بعدها ، ففيها مسائل ؛ الأولى : الأمر بقول هذا لهم ؛ الثانية : أن الكفار يدعون التقرب إلى الله بما هو أقبح شيء ؛ الثالثة : أنهم يعتقدون في أحسن الأشياء أنها قبيحة ، لا يتقرب بها إليه ؛ الرابعة : الرجوع إلى العقل الصريح ، الذي لا يجادل فيه إلا مكابر ؛ وهو : أنا إذا تساوينا في هذه الحجة في الأوليين ، واختلفنا في الثالثة ، فكيف

يشكل عليكم ؟ أو كيف تجسرون على المكابرة ؟ الخامسة : الإتيان باستفهام الإنكار.

وقال أيضاً : قال شيخ الإسلام ، قوله : (إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم) إلخ [النجم : ٢٣] أخبر أنهم ابتدعوا أسماء لا حقيقة لها ، فيعبدون أسماء لا مسميات ؛ لأنه ليس في المسميات من الألوهية ، ولا العزة والتقدير شيء ، ولم ينزل الله بهذه الأسماء سلطاناً.

وقال رحمه الله تعالى ، قوله تعالى : (يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمراً وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الأمر الذي فيه تستفتيان) [يوسف : ٤١] سبق ما في هذا من المسائل.

لكن فيه ما لم يذكر ، منها : أن المفتي يجوز له أو يستحب ، أن يفتى السائل بما لا يحتاج إليه ؛ ومنها : أنه يجيب السائل بما يسوءه ، إذا كانت الحال تقتضيه ؛ ومنها : تأكيد الفتيا بما يسوء ، بما ذكر من قضاء الله على ذلك.

(وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين) [يوسف : ٤٢] يعني : قال يوسف للساقي الذي ظن نجاته ؛ قيل : الظن هنا هو اليقين ؛ وقوله : (اذكرني عند ربك) أي : الملك (فأنساه الشيطان) أي : أنسى الشيطان يوسف ذكر الله ؛ والبضع ما بين الثلاث إلى التسع.

فيه مسائل ؛ الأولى : أن الرب كما يطلق على المالك ،

يطلق على المخدوم ؛ الثانية : أن مثل هذا مما يعاقب به الأنبياء ، مع كونه جائزاً لغيرهم ؛ الثالثة : أن المقرب قد يؤاخذ بما لا يؤاخذ به من دونه ؛ الرابعة : أن الشيطان قد يتوصل إلى الأنبياء بمثل هذا ؛ الخامسة : أن ترك هذا القول ، والاستغناء بالله من التوكل.

السادسة : أن من المقامات ما يحسن من شخص ، ويلام في تركه ويذم من شخص آخر ، كما نهى رسول الله ﷺ من أراد الاقتداء به في الوصال ، وقال : « إني لست كهيئتكم ».

السابعة : أن هذا من أبين أدلة التوحيد ، لمن عرف أسباب الشرك بالمقربين ، وهو أبلغ من قوله ﷺ : « يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئاً » وتمامها بمعرفة الثامنة ، وهي : أن الله عاقبه باللبث في السجن هذه المدة الطويلة ، مع أن لبث الإنسان فيه سنة واحدة ، من العذاب الأليم ، فكيف بشاب ابن نعمة ؟.

﴿ وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملأ افتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون ، قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين.

وقال الذي نجا منهما وادّكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون ، يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلى

أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون.

قال تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون ، ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلاً مما تحصنون ، ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون) [يوسف : ٤٣ ـ ٤٩].

فيه مسائل ؛ الأولى : تسمية الله ذلك الرجل بالملك ؛ الثانية : أن الذي سأله عنه هو البقر ، والسنابل ؛ الثالثة : أنه استفتى الملأ وهم الأشراف ، ولكن بشرط : إن كان عندهم علم ؛ الرابعة : جوابهم بقولهم : (أضغاث أحلام) يدل على : أن مما يراه النائم فيه رؤيا حق ؛ وفيه أضغاث أحلام باطلة ؛ وقد صح بذلك الحديث عن النبي ﷺ.

الخامسة : إقرارهم بعدم العلم بالتعبير ، ولم يأنفوا مع أنهم الملأ ؛ السادسة : كلام الساقي وحذقه : كونه قطع أنها رؤيا ، وأن عند يوسف تعبيرها ؛ السابعة ، قوله : (ادّكر بعد أمة) أي : دهر ؛ فيه : أن الدهر يسمى أمة ؛ الثامنة : أنه لم يذهب مع تحققه ما طلب الملك ، إلا بعد الاستئذان.

التاسعة : قوله : (يوسف أيها الصدّيق) يدل على أنه يعرف معنى الصديقية ؛ وأنه عرف اتصاف يوسف بذلك ؛ العاشرة : أنه ذكر ليوسف العلة ، وهي : علم الناس بما أشكل عليهم.

الحادية عشر : أنه عبر البقر السمان بالسنين المخصبة ، والبقر العجاف بالسنين المجدبة ، وأكلها السمان ، كون غلة

السنين المخصبة ، يأكلها الناس في السنين المجدبة ، وكذلك السنابل الخضر ، واليابسات ، قيل : إنه رأى سبع سنابل خضر ، قد انعقد حبها ، وسبعاً أخر يابسات ، قد استحصدت ، فالتوت اليابسات على الخضر ، حتى غلبن عليهن.

الثانية عشر : أنه أجاب السائل بأكثر مما سأله عنه ، خلافاً لمن جعل هذا من عدم الأدب ؛ الثالثة عشر : كرمه وطيب أخلاقه عليه السلام ، كما قال بعض السلف : لو كنت المسؤول ، ما أجبتهم إلا بكذا وكذا ؛ الرابعة عشر : معرفته عليه السلام بأمور الدنيا ، وأن الحب إذا كان في سنبله ، لم تأته الآفة ولو لبث سنين.

الخامسة عشر : أنه أمرهم بتدبير المعيشة لأجل السنين الجدب ، ولا يأكلون إلا قليلاً ؛ السادسة عشر : أنه فهم من الرؤيا ، أن الخصب يأتي بعد سبع سنين ؛ السابعة عشر : ادخار الطعام للحاجة ، وأنه لا يصير من الاحتكار المذموم ، وكان ﷺ يدخر لأهله قوت سنة.

الثامنة عشر : النصيحة ولو لغير المسلمين ، كما قال ﷺ : « في كل كبد رطبة أجر » وأما المسلم فنصحه من الفرائض ؛ التاسعة عشر : أن الرؤيا الصحيحة ، قد تكون من كافر ، كما استدل بها البخاري في صحيحه ؛ العشرون : الفرق بين الحلم والرؤيا ، كما قال ﷺ : « الرؤيا من الله ، والحلم من الشيطان ».

الحادية والعشرون : التعبير عن الماضي بالمضارع ؛ والعجاف ضد السمان ؛ والملأ كبار القوم ورؤوسهم ، و (أضغاث أحلام) أخلاط وأباطيل (وادّكر) تذكر شأن يوسف (دأبا) متوالية (تحصنون) تخزنون (يعصرون) قيل : من العنب عصيراً ، ومن الزيتون زيتاً ، ومن السمسم دهناً ، للخصب الذي أتاهم.

(وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فَسْئَلْهُ ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم ، قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ، ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين ، وما أبرىء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم) [يوسف : ٥٠ ــ ٥٣].

فيه مسائل ؛ الأولى : أمر الملك بالإتيان به ، ليأخذ عنه مشافهة ، وكذلك يفعل العقلاء والسفهاء ، في الأمر الذي يهتمون به ؛ الثانية : أن طلب العلم الذي يزحزح عن النار ويدخل الجنة ، أحق بالحرص من جميع المهمات ؛ الثالثة : هذا الأمر العظيم الذي لم يسمع بمثله ، ولهذا قال ﷺ : « لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي » الرابعة : قوله : (ارجع إلى ربك).

الخامسة قوله : (النسوة) قيل : لم يفرد امرأة العزيز ،

أدباً وحفظاً لحق الصحبة ؛ السادسة : قوله في هذا الموطن : (إن ربي بكيدهن عليم) السابعة : قوله : (حاش لله ما علمنا عليه من سوء) فيه رد لبعض الأقوال التي قيلت في الهم ؛ الثامنة : قوله : (الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه).

التاسعة : (ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب) هذا علة لما جرى ، سواء كان رد الرسول أو إقرارها ؛ فإن كان الأول ، فالضمير للعزيز زوج المرأة ؛ وإن كان الثاني فالضمير ليوسف ؛ العاشرة : رد هذه المسألة الجزئية إلى القاعدة الكلية ، وهي : (أن الله لا يهدى كيد الخائنين) أي لا يرشد كيد من خان أمانته ، قيل : يفتضح في العاقبة.

الحادية عشر : قوله : (وما أبرىء نفسي) ما أجلها من مسألة ، وما أصعب فهمها ؟ سواء كان هذا من كلام امرأة العزيز ، أو من كلام يوسف عليه السلام ؛ الثانية عشر : رد هذه المسألة الجزئية إلى القاعدة الكلية ، وهي : أن هذا حال النفس.

الثالثة عشر : الاستثناء من ذلك ، وهو من رحمه الله ، فأجاره من شر نفسه ، كذلك ما أجلها من مسألة لمن فهمها ؟ الرابعة عشر : رد هذه المسألة الجزئية إلى القاعدة الكلية ، وهي : (إن ربي غفور رحيم) قوله : (فَسْئَلْهُ مَا بال النسوة) قيل معناه : اسأله أن يكشف عن الخبر ، حتى يعلم الحقيقة ، ففيه المسألة.

الخامسة عشر ، وهي : حرص المخلص لله على براءة

عرضه عند الناس ، وأن ذلك لا يناقض الإخلاص ، بل قد يكون واجباً ، ولم يعتب عليه في هذا ، كما عتب عليه ، في قوله : (اذكرني عند ربك) قيل : إن (ما) في هذا الموضع بمعنى « عن » قوله : (ما بال) ما شأن النسوة (ما خطبكن) ما أمركن وقصتكن ؟ قوله : (حصحص الحق) ظهر وتبين (الآن) أي هذا الوقت.

(وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين ، قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم) [يوسف: ٥٤ ، ٥٥].

فيه مسائل ؛ الأولى : (أستخلصه لنفسي) أي : أجعله خالصاً لي دون غيري ، كما يقال : الرفيق قبل الطريق ؛ وكما قال : « لينظر أحدكم من يخالل » الثانية : وهي أعجب ، قوله : (فلما كلمه) وبيانه : لما دخل بعض العلماء على بعض الملوك ، وكان دميماً فضحك الملك من دمامته ، فذكر له هذه الآية ، واستحسن الملك جوابه ، ومعنى هذا : أن الملك لم يتمكن من قلبه ، لما رأى جمال صورته ؛ بل لأجل علمه الذي تبين له لما كلمه.

الثالثة : قوله : (إنك اليوم لدينا) أي : عندنا (مكين) أي : مكنتك من ملكي تصرف فيه (أمين) أي : عرفت صحة أمانتك ، فأمنتك على ما تحت يدي ، وهذا معنى قول أبي العباس : الولاية لها ركنان ، القوة والأمانة ، كما في الآية

الأخرى : (إن خير من استأجرت القوي الأمين) [القصص : ٢٦].

الرابعة : قوله : (اجعلني على خزائن الأرض) هذا فيه طلب الولاية ، كما قال عمر بن الخطاب لبعض الصحابة ، لما عرض عليه ولاية فأبى ، فقال : طلبها من هو خير منك ، يعني يوسف عليه السلام ؛ ولا يخالف هذا ما ورد من النهي عن طلب الإمارة ، لأن هذا في غير شدة الحاجة ، كما أن خالداً لما أخذ الراية يوم مؤتة ، من غير إمرة ، مدح على ذلك.

الخامسة : قوله : (إني حفيظ عليم) فليس هذا مما نهى عنه من تزكية النفس ؛ بل يذكر الإنسان ما فيه من الفضائل عند الحاجة ، إذا لم يقصد التزكية ، كما ورد عن جماعة من الصحابة ؛ قوله : (خزائن الأرض) أي : أرض مصر ؛ وقوله : (إني حفيظ) أي : أحفظ ما وليتني عليه (عليم) بأمره وحسابه واستخراجه.

(وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين ، ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) [يوسف : ٥٦ ، ٥٧].

فيه مسائل : الأولى ، قوله : (وكذلك مكنا ليوسف في الأرض) قيل معنى ذلك : كما أنعمنا عليه بنعم الدين ، أنعمنا عليه بنعم الدنيا ؛ الثانية : أن ذلك تمكينه في أرض مصر ،

يحل وينزل منها ما أراد ، بعد ذلك الحبس الضيق.

الثالثة : تسمية الله سبحانه ذلك رحمة ، في قوله : (نصيب برحمتنا من نشاء) وهذه من أشكل المسائل على أكثر الناس ، بعضهم يظن أن هذا كله نقص ، أو مذموم ؛ وأن التجرد من المال مطلقاً هو الصواب ؛ وبعض يظن أن عطاء الدنيا يدل على رضا الله ، وكلاهما على غير الصواب ؛ وذلك : أن من أنعم الله عليه بولاية أو مال ، فجعلها طريقاً إلى طاعة الله فهو ممدوح ، وهو أحد الرجلين الذين يغبطهم المؤمن ؛ وإن كان غير هذا فلا.

الرابعة : أن هذه الأمور وإن جلت وصارت أعلى المراتب ، وأصعبها طريقاً ، فتحصيلها مردود إلى محض المشيئة ، لا إلى الأسباب.

الخامسة : رد هذه المسألة الجزئية ، إلى القاعدة الكلية ، وهي : (إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً) [الكهف : ٣٠] السادسة : أن من عدم إضاعته ، أنه يعجل في الدنيا بعضه لمن أراد الله ، كما قال تعالى : (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) [النحل : ٣٠] السابعة : أن الأجر الثاني لمن أحسن ، خير من ملك يوسف ، وسليمان بن داود.

الثامنة : قوله : (للذين آمنوا وكانوا يتقون) فالإيمان يدخل فيه الدين كله ؛ وأيضاً : يدخل كله في التقوى ؛ وأما إذا فرق بينهما كما هنا ، فالإيمان الأمور الباطنة ، والتقوى

الأمور الظاهرة ؛ وإذا قلت : الإيمان فعل الواجبات ، والتقوى ترك المحرمات ، فقد أصبت.

(وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ، ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوف الكيل وأنا خير المنزلين ، فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون ، قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون) [يوسف : ٥٨ ــ ٦١].

قيل : لما اطمأن يوسف في ملكه ، ومضت السنون المخصبة ، ودخلت السنون المجدبة ، وأصاب الشام من القحط ما أصاب غيرهم ؛ فأرسل يعقوب بنيه إلى مصر ، وأمسك بنيامين عنده (فلما دخلوا عليه عرفهم) قيل : كان بين دخولهم عليه وإلقائه في الجب أربعون سنة ، فلذلك لم يعرفوه.

فقال : أخبروني ما أمركم ؟ فقالوا : نحن قوم من أرض كنعان ، جئنا نمتار طعاماً ، قال : كم أنتم ؟ قالوا عشرة ، قال : أخبروني خبركم ؟ قالوا : إنا إخوة بنو رجل صديق ، وإنا كنا اثنى عشر ، فذهب أخ لنا معنا في البرية فهلك فيها ، وكان أحب إلى أبينا منا.

فقال : فإلي من يسكن أبوكم بعده ؟ قالوا : أخ لنا أصغر منه ، فذلك قوله : (ولما جهزهم بجهازهم) يقال : جهزت القوم إذا هيأت لهم جهاز السفر ؛ وحمل لكل رجل منهم بعيراً ، وقال : (ألا ترون أني أوف الكيل وأنا خير

المنزلين) المضيفين ؛ قيل : إنه أحسن ضيافتهم ، ثم أوعدهم على ترك الإتيان بالأخ ، فقال : (فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون).

وقوله : (وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) إلى قوله : (لعلهم يرجعون) [يوسف : ٦٢] الرحل : كل ما يعد للرحيل ، من وعاء المتاع ، ومركب للبعير ، وحلس وغير ذلك ؛ قيل مراده : أنهم يعرفون كرمه ، فيحملهم على العود ؛ وقيل : خاف أن لا يكون عندهم ما يرجعون به.

فيه مسائل ؛ الأولى : كون القحط عم البلاد ، لم يكن على مصر خاصة ؛ الثانية إنكارهم إياه ، ومعرفته لهم ؛ الثالثة : حيلته في التوصل إلى إتيان أخيه ؛ الرابعة : كونه ما فعل معهم حثهم على الإتيان به ؛ الخامسة : أن هذا ليس من تزكية النفس المذموم ؛ السادسة : أن هذا ليس من المن والأذى المذموم.

السابعة : أن قوله : (فلا كيل لكم عندي ولا تقربون) ليس من منع المضطر المذموم ؛ الثامنة : ما صنع الله له من إذلالهم بين يديه ، وذلك أنه وعدوه أنهم يراودون أباه ، وأكدوا ذلك له بالعزم على الفعل ؛ التاسعة : أمره الفتيان بجعل بضاعتهم في رحالهم ، والحكمة في ذلك : أنهم إذا رجعوا إلى أهلهم ، وفتحوا المتاع ، ووجدوها ردت إليهم ، رجعوا.

(فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل

فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون ، قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين ﴾ [يوسف : ٦٣ ، ٦٤].

فيه مسائل ؛ الأولى : أنهم وفوا ليوسف بما وعدوه ؛ الثانية : أنهم ذكروا لأبيهم ما يقتضي الإجابة ، وهو منع الكيل ؛ الثالثة : أن هذا مما يدل على أنهم لا غناء لهم عن التردد إلى الميرة ؛ الرابعة : أنهم وعدوه حفظه ، وأكدوه بإن ، واللام ؛ الخامسة : جوابه عليه السلام لهم ، فيدل على قوله : « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ».

السادسة : أن من أساء فعله ساء الظن فيه ، ولو لم يكن كذلك ؛ السابعة : أنهم لما ذكروا له أنهم يحفظونه أكدوا ، فأجابهم بقوله : ﴿ فالله خير حافظاً ﴾ الثامنة : أنه أجابهم أيضاً بكون الله أرحم الراحمين ؛ التاسعة : ذكرك للممنُوع سبب منعك إياه ؛ العاشرة : أنه فعلكم ، كقوله : ﴿ قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم ﴾ [آل عمران : ١٦٥].

﴿ ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا ﴾ إلى قوله : ﴿ قال الله على ما نقول وكيل ﴾ [يوسف : ٦٥ ، ٦٦].

فيه مسائل ؛ الأولى : استعطاف الممتنع بالخصال التي توجب إجابته ؛ الثانية : أنهم لم يعلموا أنها ردت إليهم ، حتى وصلوا إلى أهلهم وفتحوا المتاع ؛ الثالثة : ذكرهم له

حاجة الضعفاء والذرية إلى الكيل ؛ الرابعة : أنهم يزدادون حملاً آخر على ما أتوا به.

الخامسة : ذكرهم الثناء على يوسف ، بأن الحمل عليه يسير لكرمه ، مع شدة حاجتنا إليه وغلاء ثمنه ؛ السادسة : أنه عليه السلام لما ذكروا له ذلك رجع عن رأيه الأول ، ورأى إجابتهم ؛ السابعة : أنه شرط عليهم هذا الشرط الثقيل ؛ الثامنة : أنهم أعطوه إياه على ثقله.

التاسعة : أنهم لما آتوه الموثق ، وعظهم وأكده عليهم ، بقوله : (الله على ما نقول وكيل) ؛ العاشرة : أن هذا يدل على أنهم في جوع وضراء عظيمة ، وهم أكرم أهل الأرض على الله ، وابتلاهم بذلك لا لهوانهم عليه.

وقوله : (ما نبغى) قيل : أي شيء نريد ، وقد ردت بضاعتنا ؟ (ونمير أهلنا) أي نأت لهم بالطعام ، يقال مار أهله إذا أتاهم بطعام ، قوله : (إلا أن يحاط بكم) أي : يأتيكم أمر يهلككم.

(وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة) إلى قوله : (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) [يوسف : ٦٧ ، ٦٨].

فيه مسائل ؛ الأولى : خوفه عليهم من العين ؛ الثانية : أمره لهم بالسبب الذي يمنع ، ونهيهم عما قد يكون سبباً لوقوعها ؛ الثالثة : أنه مع فعل السبب تبرأ من الالتفات إليه ؛ الرابعة : أنه دلهم على عدم الالتفات إلى التهمة.

الخامسة : أنه دلهم على التوكل على الله ؛ السادسة : أنه أخبرهم أنه توكل عليه وحده لا شريك له ، لا على علمه وفطنته ؛ ولا على السبب الذي أمرهم به ؛ السابعة : أنه أخبرهم أن توكل المتوكلين كلهم على الله ، فمن توكل على غيره فليس منهم ؛ الثامنة : خبره تعالى أنهم قبلوا وصية أبيهم وعملوا بها ، فتفرقوا على الأبواب لما أرادوا دخول البلد.

التاسعة : أن ذلك لا يغني عنهم شيئاً من الله لو يريد بهم شيئاً ؛ العاشرة : الاستثناء ، وهو : أن ذلك التعليم من الرجل الحكيم المصيب ، وقبول المنصوح وعمله بالنصيحة التي هي سبب ، لو أراد الله أن العين تصيبهم أصابتهم ، ولو تفرقوا على الأبواب ، حضًّا للعباد على الاعتماد عليه ، لا على الأسباب.

الحادية عشر : ثناؤه على يعقوب بأنه ذو علم لما علمناه ، قيل معناه : عامل بما علمه ؛ وهو يدل على أن العلم الذي لا يثمر العمل لا يسمى علماً ؛ الثانية عشر : ذكره أن (أكثر الناس لا يعلمون).

(ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه) الآية [يوسف : ٦٩] قيل ، إنه قال لهم : يصير كل اثنين جميعاً ، فبقي أخاه وحده فآواه إليه ، فقال له : (إني أنا أخوك) قيل : إنه أخبره الخبر ؛ وقيل : المراد أخوة المحبة.

(فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه)

إلى قوله : (وفوق كل ذى علم عليم) [يوسف : ٧٠ ـ ٧٦].

فيه مسائل ؛ الأولى : كونه عليه السلام احتال بهذه الحيلة ؛ ولا حجة في هذا لأهل الحيل الربوية ، لأن ذلك مما أذن الله فيه ليوسف عليه السلام ؛ وإلا لو يفعل ذلك الآن رجل مع أبيه وإخوته حرم إجماعاً.

الثانية ، قوله : (ثم أذّن مؤذّن) المنادي بصوت رفيع يسمى مؤذّناً ؛ قوله : (إنكم لسارقون) قيل : فيه جواز المعاريض ، إن أراد بذلك أنهم سرقوه من أبيه ، فإنه لم يقل سرقتم الصواع ؛ الثالثة : قوله : (ولمن جاء به حمل بعير) فيه جواز بذل الأجرة لمن جاء بالسرقة ؛ قوله : (وأنا به زعيم) استدل به على صحة الضمان ولزومه ، وهي الرابعة.

الخامسة ، قوله : (تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض) فيه جواز الحلف على مثل هذا ، مع أن العلم في القلب ، لكن بعض ما في القلب يعرف بالقرائن ، أي : ما جئنا بهذا ؛ وما هذا بفعلنا ؛ وما يصلح منا ، ولسنا أهلاً له.

السادسة : أن السرقة ونحوها من الفساد في الأرض ؛ قوله : (فما جزاؤه إن كنتم كاذبين) قيل في شرعهم : استعباد السارق هو لهم كالقطع في شرعنا ، فلهذا (قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه).

السابعة : بداءته بأوعيتهم إبعاداً عن تهمته ، وذلك من كيد الله له ؛ الثامنة : قوله : (ما كان ليأخذ أخاه في دين

الملك) أي : حكمه على السارق غير ذلك ، ولكن الله دبّر ما جرى نصرة ليوسف ، لأنهم ظلموه فكاد له كما كادوا أباهم ؛ التاسعة : قوله : (إلا أن يشاء الله) أي : ما جرى على ألسنتهم من ذلك القول ، الذي حكموا به على أنفسهم ، فأخذه بفتياهم ، وذلك من مشيئة الله.

العاشرة : كونه سبحانه فاوت بين عباده تفاوتاً عظيماً حتى الأنبياء ، ورفع بعضهم فوق بعضهم درجات ؛ الحادية عشر : التنبيه على أن ذلك لا يكون إلا بمشيئة الله ؛ الثانية عشر : أن رفع الدرجات الذي ينافس فيه ، هو رفعها بالعلم ؛ الثالثة عشر : أنه ذكر أن كل عالم فوقه أعلم منه ، حتى ينتهي العلم إلى الله سبحانه.

(قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه) إلى قوله : (تصفون) [يوسف : ٧٧].

فيه مسائل ؛ الأولى : إبطال قياس التشبيه ؛ الثانية : أن تعيير غيرك بذنب ، قد فعلت أكبر منه غير صواب ، كما في قوله : (يسألونك عن الشهر الحرام) الآية [البقرة : ٢١٧] الثالثة : كون المظلوم المرمى بشيء خفي ، يتعزى بعلم الله تعالى.

(قالوا يا أيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً فخذ أحدنا مكانه) إلى قوله : (إنا إذاً لظالمون) [يوسف : ٧٨ ، ٧٩].

فيه مسائل ، الأولى : بيان مبالغتهم في حفظ أخيهم ؛ الثانية : جواب يوسف يدل على أن السرقة ، تثبت بوجود المسروق عند الرجل ؛ الثالثة : أن من وجب عليه الحد لو بذل غيره نفسه عنه لم يحل ؛ الرابعة : أن الرجل يثبت أنه ظالم بفعلة واحدة ؛ الخامسة : أنهم عرفوا فيه من العدل والإحسان ، ما فهموا أنه من المحسنين ؛ السادسة : استشفاعك على غيرك بما فيه من الخصال الحميدة.

السابعة : المعاريض ، فإنه عليه السلام لم يقل إنه سارق ؛ الثامنة : إبطال استدلال أهل الحيل المحرمة ، فإن هذا يدل على أنه إنما أخذه برضاه ، أو بوحي خاص ؛ التاسعة : أن المظلوم يجوز له أن يعامل من ظلمه ، بما لا يحل أن يعامل به غيره ؛ العاشرة : أن هذا يدل على أن أهل مصر ، لم يعرفوا يعقوب معرفة تامة.

(فلما استيئسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله) إلى قوله : (إنه هو العليم الحكيم) [يوسف : ٨٠ ـ ٨٣].

فيه مسائل ؛ الأولى : أنهم بالغوا حتى استيأسوا منه ؛ الثانية : ثقل الأمر عليهم ، كما فعل كبيرهم ؛ الثالثة : أنه ذكر أنه على هذه الحال ، إلى أن يأذن له أبوه ، أو يحكم الله له ؛ فإنه سبحانه يحكم لك أو عليك.

الرابعة : ردّ هذه المسألة الجزئية ، إلى القاعدة الكلية ، وهي : معرفة أن الله خير الحاكمين ؛ الخامسة : الشهادة على

الرجل بالسرقة ، إذا وجد المسروق عنده ؛ السادسة : أن هذه شهادة بعلم ، مع كونهم ما علموا إلا القرينة ؛ السابعة : الاعتذار بعدم علم الغيب ؛ الثامنة : الرجوع إلى الجيران ، وأهل الخبرة في الأمور الخفية.

التاسعة : تسميته المدينة قرية ؛ العاشرة : اتهام المتهمين ، كما ذكر النعمان بن بشير ؛ الحادية عشر : التعزي بالعزم على الصبر الجميل ، عند توالي المصائب ؛ الثانية عشر : الرجوع إلى الله في تفريج الكرب ؛ الثالثة عشر : ردّ هذه المسألة الجزئية ، إلى القاعدة الكلية ، وهي قوله : (إنه هو العليم الحكيم).

(وتولى عنهم وقال يا أسفىٰ على يوسف) إلى قوله : (وأعلم من الله ما لا تعلمون) [يوسف : ٨٤ ــ ٨٦].

فيه مسائل ؛ الأولى : التولي عن مثل هؤلاء ، كما قال : (فتول عنهم حتى حين) الثانية : قوله : (يا أسفىٰ على يوسف) أن الكلام إذا لم يكن فيه جزع ، لم يناف الشكوى ؛ الثالثة : ذكر الله تعالى كبر مصيبته : أنه ابيضّت عيناه من البكاء ، وابتلي بسنين كثيرة.

الرابعة : العبرة فيما ذكر ، كما قال الحسن : لقد ابتلى بهذا تلك المدة الطويلة ؛ وإنه لأكرم أهل الأرض على الله ؛ الخامسة : تسمية البكاء حزناً ، لأنه نشأ عنه ؛ السادسة : وصفه بأنه كظيم ، أي : أنه كاظم لحرارة المصيبة لا يشكو ؛ السابعة : معاتبتهم له على الحزن ، مع مصيبة طال العهد بها.

الثامنة : جوابه لهم عليه السلام ، وهو يدل على أن الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر ، بل هي ممدوحة ، كما ذكر عن أيوب ؛ التاسعة : إخبار الرجل بنيته الصالحة ، إذا احتاج أو انتفع السامع ، ولا محذور في ذلك.

العاشرة : قوله : (وأعلم من الله ما لا تعلمون) كيف صار هذا جواباً لهم ؛ الحادية عشر : قيل معناه : أعلم من صفات الله ورحمته ولطفه ما لا تعلمون ؛ وقيل : إن يوسف لم يمت ؛ الثانية عشر : أن هذا في مثل هذا المقام ليس من الفخر ، كما قال النبي ﷺ : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر ».

(يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) الآية [يوسف : ٨٧].

فيه مسائل ؛ الأولى : أمره لهم بالتحسس عن يوسف ، مع استبعادهم ذلك ؛ والتحسس : البحث والطلب ؛ الثانية : نهيهم عن اليأس من روح الله ؛ الثالثة : وهي العظيمة ، أنه قد يقع اليأس من روح الله في مثل هذه القضية ؛ الرابعة : إخباره بقدر هذا الذنب ، بأنه لا يصدر من مسلم ، بل لا يكون إلا من كافر ، وروح الله رحمة الله.

(فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر) إلى قوله : (وائتوني بأهلكم أجمعين) [يوسف : ٨٨ ــ ٩٣] فيه مسائل ؛ الأولى : قولهم (مسنا وأهلنا الضر) أن الاخبار بالحال من غير شكوى لا يذم ؛ الثانية : ما ابتلى الله به أهل هذا البيت من الجوع المضر ، وهم أكرم أهل الأرض

على الله ؛ الثالثة : ذكرهم قدر السلعة التي معهم أنها ناقصة رديئة ، وليس هذا من ازدراء النعمة المذموم.

الرابعة : سؤالهم عند الحاجة ؛ فيدل على أن مثل هذه الحال لا يذم ؛ الخامسة : سؤالهم الصدقة ، فيدل على أنها غير محرمة عليهم ؛ السادسة : رد هذه المسألة الجزئية إلى القاعدة الكلية ، وهي السابعة : (إن الله يجزي المتصدقين).

الثامنة ، قوله : (هل علمتم) الآية ، يدل على أن مثل هذا التقريع ليس بمذموم ؛ التاسعة : أنه عليه السلام ذكر في التقريع ما يهونه عليهم ؛ العاشرة : استثباتهم أنه يوسف مع رؤيتهم له ، وذلك لاستبعادهم ذلك.

الحادية عشر ، قوله : (أنا يوسف وهذا أخي) يدل على أنهم فعلوا مع أخيه ما لا يحسن ؛ قوله : (قد منّ الله علينا) إسناد النعمة إلى مسديها في مثل هذا الموطن ، وهي الثانية عشر. الثالثة عشر : رد هذه المسألة الجزئية إلى القاعدة الكلية ، وهي قوله : (إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين).

الرابعة عشر : الجمع بين التقوى والإيمان ، ومعرفة الإيمان ، ومعرفة الفرق بينهما ؛ الخامسة عشر : أن من جمع بينهما فهو من المحسنين ؛ السادسة عشر ، قوله : (تالله لقد آثرك الله علينا) الآية ؛ أقروا باثنتين ، بفعل الله مع يوسف ، وفعلهم من أنفسهم ؛ السابعة عشر : انتصار الله له هذا الانتصار العظيم.

الثامنة عشر : إذلاله إياهم هذا الاذلال العجيب ؛ التاسعة عشر ، قوله : (لا تثريب عليكم اليوم) أي : لا تعيير عليكم ، يعني : إني عفوت ، ومن عفوي أني لا أذكر لكم ذنبكم بعد اليوم ؛ العشرون : استغفاره لهم ، لما غفر لهم حقه ، سأل الله لهم المغفرة ؛ الحادية والعشرون : رد هذه المسألة الجزئية إلى القاعدة الكلية ، وهي : الثانية والعشرون. الثالثة والعشرون : تصديق القلب بأن الله أرحم الراحمين.

الرابعة والعشرون : أن الذي خافوا منه ، واشتد عليهم ، حتى فعلوا بأخيهم وأبيهم ما فعلوا ، وظنوا أنه عليهم مضرة كبيرة ، وهو كون يوسف أرفع منهم ، صار أكبر المصالح لهم في دنياهم ، وفي دينهم ، يبينه : الخامسة والعشرون.

وهي قوله : (اذهبوا بقميصي هذا) الآية ، ذكر أنه قميص هبط به جبريل على إبراهيم حين ألقي في النار ، فلما ولد إسحاق جعله عليه ، فجعله إسحاق على يعقوب ، وجعله يعقوب على يوسف ، ونسيه إخوته لما ألقوه في الجب ، فأمرهم أن يذهبوا به فيلقونه على وجه يعقوب ، ليرتد إليه بصره.

السادسة والعشرون : ما جعله الله من الأسباب الباطنة في بعض مخلوقاته ؛ السابعة والعشرون : أن التبرك بذلك ، وإمساكه ، والتداوي به ، ليس من الشرك ، كما كانوا يفعلون ، ويتبركون بآثار رسول الله ﷺ ؛ بل ذلك حسن مطلوب ؛ الثامنة والعشرون : أنه أمرهم بالاتيان بأهلهم

كلهم ، والانتقال عنده ، فأعطاهم الله هذا الخير ، والفرج من الشدة ، بسبب ارتفاعه الذي كرهوه كراهية شديدة.

(ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون) إلى قوله : (إنه هو الغفور الرحيم) [يوسف : ٩٤ ــ ٩٨].

فيه مسائل ، الأولى : كونه أدرك الريح من مكان بعيد ؛ الثانية : أنه عرف أنه ريح يوسف ، قيل : إنه عرف ريح القميص ، وأنه ليس إلا مع يوسف ؛ الثالثة ، قوله : (لولا أن تفندون) والفند ذهاب العقل ؛ ففيه الإخبار بما تعلم : أن المخبر يكذبك ، إذا كان في ذلك مصلحة.

الرابعة : قولهم : (تالله إنك لفي ضلالك القديم) لا ينبغي لمن حدث بغريب أن يغضب ، إذا كذب أو شتم ؛ الخامسة : الآية في رد بصره عليه ، بسبب إلقاء القميص ؛ السادسة : تقريره لهم ما أنكروا من تفاصيل القاعدة الكلية ؛ السابعة : طلبهم الاستغفار من المظلوم ؛ الثامنة : عفو المظلوم ، ودعاؤه لمن طلب ذلك منه ؛ التاسعة : الاعتراف منهم بالذنب ؛ العاشرة : رد المسألة الجزئية إلى القاعدة الكلية.

(فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه) إلى قوله : (وألحقني بالصالحين) [يوسف : ٩٩ ــ ١٠١].

فيه مسائل ، الأولى : أنهم لما دخلوا على يوسف آوىٰ إليه أبويه ، كما آوىٰ إليه أخاه ، يدل على أنه لم يفعل ذلك

بإخوته ؛ الثانية ، قوله لهم : (ادخلوا مصر) الآية ؛ الثالثة : تعليقه ذلك بالمشيئة.

الرابعة : رفع أبويه على العرش ؛ الخامسة : سجودهم كلهم له ؛ السادسة ، قوله لأبيه : (هذا تأويل رؤياي من قبل) ؛ السابعة : شكر نعمة الله عليه ، حيث جعلها حقاً ؛ الثامنة : شكر نعمة الله في إخراجه من السجن ؛ التاسعة : شكر نعمة الله في إتيانه بأهله من البدو.

العاشرة : شكر نعمة الله أنه بعدما نزغ الشيطان بينهم ، صير الله العاقبة إلى خير ، ولم يضرهم نزغ الشيطان ؛ الحادية عشر : رد هذه المسألة الجزئية إلى القاعدة الكلية ، وهي : أن ربه تبارك وتعالى لطيف لما يشاء ، فلذلك أجرى ما أجرى.

الثانية عشر ، والثالثة عشر : رد ذلك إلى القاعدة الكلية أيضاً ، وهي : (أنه هو العليم الحكيم) وهي الرابعة عشر ؛ الخامسة عشر : كرمه عليه السلام ، في قوله : (أخرجني من السجن) ولم يقل من الجب ؛ السادسة عشر ، كرمه في قوله : (نزغ) ولم يقل : بعدما ظلموني ، السابعة عشر : أن إخراج الله الآدمي من البدو ، نعمة تشكر ؛ ففيه فضل الحاضرة على البادية.

الثامنة عشر : دعاؤه بهذا الدعاء ، وهو في غاية نعيم الدنيا ؛ التاسعة عشر : شكر نعمة الملك ؛ العشرون : شكر نعمة التعبير ؛ الحادية والعشرون : ثناؤه على ربه بأنه فاطر

السماوات والأرض ؛ الثانية والعشرون : إقراره لله بكونه وليه ، في الدنيا والآخرة ؛ الثالثة والعشرون : توسله بذلك كله إلى هذه الحاجة ، وهي : وفاته على الإسلام ، وإلحاقه بالصالحين.

قوله : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ﴾ إلى قوله : ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ [يوسف : ١٠٢ ــ ١٠٧].

فيه مسائل ، الأولى : تنبيه الله على آية الرسالة ، بأن هذه القضية غيب ، لا يتوصل إليه الرسول إلا بالوحي ، لكونه لا يقرأ ولا يخط ، ولا أخذ عن عالم ؛ الثانية : تقريره هذه الحجة ، بقوله : ﴿ وما كنت لديهم ﴾ لأن هذا لا سبيل إلى العلم به إلا بالوحي ، أو بحضوره.

الثالثة : أن مكرهم خفي ، لو حضرهم أحد لخفي عليه ؛ الرابعة : ذكره سبحانه حقيقة الحال ، أن الأكثر لا يقبلون الحق ، ولو تبين لهم بالأدلة ؛ الخامسة : ذكر حرصه ﷺ على إيمان الناس ؛ السادسة : أنه لا مانع مع هذا البيان ، مثل سؤال الأجر ؛ السابعة : أنه ذكر لهم مع شدة كراهتهم له ، كما كره الإخوة ارتفاع يوسف.

الثامنة : أن الذي أتاهم من الآيات ليست هذه وحدها ، بل كم وكم من آية من الآيات السماوية ، والأرضية يمرون عليها ، ويعرضون عن الانتفاع بها ، وليس في هذا قصور في البيان ، فإنه مشاهد ، بل القلوب غير قابلة ؛ التاسعة :

المسألة العظيمة ، وهي : إخباره تبارك وتعالى ، أن أكثر هذا الخلق ، لو آمن أفسد إيمانه بالشرك ، فهذه فساد القوة العملية ، والتي قبلها فساد القوة العلمية.

العاشرة : التنبيه على الاحتراز من اجتماع الإيمان مع الشرك المفسد له ، خصوصاً لما ذكر : أن هذا حال الجمهور ؛ الحادية عشر : احتقارهم هذا العصيان العظيم ، كيف أمنوا عقوبة الدنيا ؟! وهو يدل على جهالة من أمن ذلك ؛ الثانية عشر : كيف أمنوا أن تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون ؟!.

(قل هذه سبيلى أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى) إلى قوله : (أفلا تعقلون) [يوسف : ١٠٨ ، ١٠٩].

فيه مسائل ، الأولى : أمره سبحانه نبيه بإخبار الناس بدينه مجملاً ؛ الثانية : أن هذا أيضاً سبيل من اتبعه ؛ الثالثة : أن ذلك هو الدعوة إلى الله وحده لا شريك له ؛ الرابعة : أن ذلك هو الدعوة إلى الله على بصيرة ، خلافاً لمن اتبع الحق ، ودعا إلى الله على غير بصيرة.

الخامسة : أن دينه الذي أنكره الأكثر ، هو تنزيه الله من السوء ، والإنكار في ذلك ؛ السادسة : أن الذي حملهم على إنكاره ، كونه غريباً مخالفاً لما عليه السواد الأعظم ، وذلك لا يوجب رده ، لأن اتباع الحق إذا ظهر هو الحق ، وإذا ظهر الباطل لم يزينه فعل الأكثر له ، مثل الربا والكذب والخيانة.

السابعة : رد شبهتهم في كونه بشراً ، وذا واضح ، لأنهم إن كانوا ممن يقر بالرسالة في الجملة ، كأهل الكتاب والمشركين ، فواضح ؛ وإن أنكروها كالمجوس ، فالنكال الذي أوقع الله بمن خالف الرسل ، الذي سمعوه وشاهدوه ، حجة عليهم.

الثامنة : الرد عليهم ، في قولهم : (لولا يكلمنا الله) [البقرة : ١١٨] أو نحو ذلك ؛ لأن الرسل ما أتوا الأمم إلا بالوحي ؛ التاسعة : أنهم كلهم رجال ؛ ففيه الرد على من يزعم أن في الجن رسلاً ، أو في النساء ؛ العاشرة ، قوله : (من أهل القرى) ففيه : الرد على من انتقص أهل القرى ؛ أوفضل البدو ، أو واساهم بهم.

الحادية عشر : استجهال الله إياهم ، حيث لم يسيروا في الأرض ، فيعتبروا بمن قبلهم ؛ فدل على أن فهم ذلك مقدور لهم ؛ الثانية عشر : إخبار أن ما يعطي الله من أطاع الرسل ، خيراً مما أعطى يوسف وسليمان وأيوب ، وغيرهم ، من حسن عاقبة الطاعة ؛ الثالثة عشر : أن سنة الله في الرسل ومن اتبعهم ، وسنته فيمن خالفهم ، في الدنيا قبل الآخرة ، من أظهر البينات للكفار الجهال ، فمن لم يفهمها ، يقال له : كيف زال عقلك ؟!.

(حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) إلى آخر السورة [يوسف : ١١٠ ، ١١١].

فيه مسائل ، الأولى : تأخير النصر على الرسل ، حتى

استبطؤوا ، ولا يعجل الله لعجلة أحد ؛ الثانية : إذا عرف أن هذه سنة ، فكيف يستعجل من يزعم أنه متبع لهم ، كما قال ﷺ : « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل » .

الثالثة : أن ما يقع في القلب ، من خواطر الشيطان ، لا يضر ، بل هو صريح الإيمان ، إذا كان مع الكراهة ؛ الرابعة : أن العادة أن الشدة إذا تمت وتضايقت جداً ، فهو من علامات حضور الفرج ؛ الخامسة : أنه سبحانه ينجي من يشاء ، ولو كان مع المهلكين في المكان .

السادسة : أنه إذا جاء أمر الله ، لم يقدر على دفعه أحد من أهل السماء ، ولا من أهل الأرض ؛ السابعة : أنه سبحانه لا يظلم أحداً ، وأن ذلك بسبب إجرامهم ؛ الثامنة : الثناء على قصص الرسل ، وأن فيه عبرة ؛ التاسعة : إن ما يفهم هذه العبرة ــ مع وضوحها ــ إلا أولوا الألباب .

العاشرة : تعريضه سبحانه بالأحاديث المفتراة ، وإقبال الأكثر عليها ، واشتراء الكتب المصنفة فيها بغالي الأثمان ، وتكبر من اشتغل بها ، وظنه أنه أفضل ممن لم يشتغل بها ، وزعمه أنها من العلوم الجليلة ، ومع هذا معرض عن قصص الأنبياء مستحقر له ، زاعم أنه علم العوام الجهال .

الحادية عشر : إن من أكبر آياته تصديقه لما بين يديه من العلوم ، التي جاءت بها الرسل ، التي هي العلم النافع في الحقيقة ؛ الثانية عشر : أن هذا فيه تفصيل كل شيء يحتاج إليه ، ففيه العلم النافع ، وفيه الإحاطة بالعلوم الكثيرة ، ومع

هذا يفصلها ، أي : يبينها ؛ الثالثة عشر : أنه هدى يعتصم به من الضلالة.

الرابعة عشر : أنه رحمة يعتصم به من الهلكة ، فلا يضل من اتبعه ولا يشقى ؛ الخامسة عشر : أن هذا ليس لكل أحد ، بل لقوم مخصوصين ؛ السادسة عشر : أن سبب ذلك الإيمان ، ففيه شاهد لقوله : « من عمل بما علم ، أورثه الله علم ما لم يعلم ».

[ومن سورة إبراهيم]

قال الشيخ محمد رحمه الله تعالى ، وقال تعالى : (ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة) الآية [إبراهيم : ٢٤] فالكلمة الطيبة التوحيد ، وهي كالشجرة ، والأعمال ثمارها في كل وقت ، وكذلك السيئة ، هي العمل لغير الله ، وهذا هو الشرك ؛ فإن الإنسان حارث همام ، لا بد له من عمل ، ولا بد له من مقصود يعمل لأجله ؛ وإن عمل له ولغيره فهو مشرك ؛ والذنوب من الشرك ، فإنها طاعة للشيطان.

قال تعالى : (وقال الشيطان لما قضي الأمر) إلى قوله : (إني كفرت بما أشركتمون من قبل) الآية [إبراهيم : ٢٢] **وقال تعالى** : (ألم أعهد إليكم يا بني آدم) الآية [يس : ٦٠] والحديث « ومن شر الشيطان وشركه » لكن إن كان موحداً ، وفعل بعض الذنوب ، نقص توحيده ، كما

قال : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » إلخ ، ومن ليس بمؤمن فليس بمخلص.

وفي الحديث « تعس عبد الدينار » إلخ ؛ وحديث أبي بكر « اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم » إلخ ؛ لكن إذا لم يعدل بالله غيره ، فيحبه مثل حب الله ؛ بل الله أحب إليه ، وأخوف عنده ، وأرجى من كل مخلوق ، فقد خلص من الشرك الأكبر.

وقال أيضاً الشيخ محمد ، قدس الله روحه : هذه مسائل مستنبطة من سورة الحجر.

الآية الأولى : فيها الترغيب في القرآن ، بجمعه بين الوصفين ؛ الثانية وصفه بالبيان ؛ الثالثة : معنى الكتاب ، المعرف بالألف واللام ؛ الرابعة : معنى القرآن.

الآية الثانية : فيها الرد على الخوارج ؛ الثانية : الرد على المعتزلة ؛ الثالثة : النظر في العواقب ؛ الرابعة : عدم الاغترار بالحال الحاضرة ؛ الخامسة : إثبات عذاب القبر.

الآية الثالثة : تعزية المؤمن عما هم فيه من النعيم ؛ الثانية : أن الاغترار بذلك ، من وصف الكفار ؛ الثالثة : أن الأمل سبب ترك الخير ؛ الرابعة : أن ذلك من وصفهم ؛ الخامسة الوعيد الشديد.

الآية الرابعة : فيها الآية العظيمة الباهرة ، وهي : إهلاك القرى المكذبة ؛ الثانية : أن ذلك الأجل لا يتقدم ، ولا يستعجل الله لعجلة أحد ؛ الثالثة : التعزية ؛ الرابعة : أنه إذا

جاء لا يؤخر لحظة ، ففيه الوعيد.

الآية الخامسة ، والآيتان بعدها، فيها : أن الذكر هو القرآن ؛ الثانية : كلامهم على سبيل الاستهزاء ؛ الثالثة : وصفهم أكمل الناس عقلاً ـ عندهم ـ بالجنون ؛ الرابعة : أن الذي دلهم على جنونه ، عدم إتيانه بالملائكة ؛ الخامسة : عدم تصريحهم بالمعاتبة ، بل تعللوا بتكذيبه ؛ السادسة : أنه سبحانه لا ينزل الملائكة لمثل ذلك.

السابعة : أنه لا ينزلهم إلا بالحق ؛ الثامنة : أنهم سألوه شيئاً لو أجابهم إليه هلكوا ؛ التاسعة : فيها تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل ؛ العاشرة : أن الذكر هو القرآن ؛ الحادية عشر : حفظ الله إياه عن شياطين الجن والإنس ؛ الثانية عشر : كون ذلك الحفظ آية كافية عن إنزال الملائكة.

الآية الثامنة ، وثلاث بعدها ؛ فيها : أن الرسالة عمت بني آدم ؛ الثانية : هذا الخبر العجب ، مع انقيادهم للكذابين ؛ الثالثة : لم يكفهم الامتناع والتكذيب حتى استهزؤوا ؛ الرابعة : أن ذلك بسبب إجرامهم ؛ الخامسة : الإيمان بالقدر ؛ السادسة : أن العقوبة بالذنب ، تكون بذنب أكبر منه.

السابعة : ذكر الآية الكبرى ، وهي إهلاك أمم لا يحصيهم إلا الله ؛ الثامنة : أن مع هذا الأمر القاطع لم ينتفع به أمة واحدة ؛ التاسعة ، خبر الصادق : أنهم لو جاءتهم آية ملجئة لم يؤمنوا ؛ العاشرة : مع هذا العتو العظيم ، يعتذرون

تسكراً وسحراً ؛ ولم يصرحوا بأنه الحق ، ولكنه باطل.

الآية الثانية عشر ، وأربع بعدها : فيها ما جعل الله في البروج من الآيات ، سواء قيل : إنها النجوم ، أو الكبار منها ؛ الثانية : تزيين السماء ؛ الثالثة : حفظها من الشياطين ؛ الرابعة : ذكر الاستراق ؛ الخامسة : ذكر عقوبته ؛ السادسة : مد الأرض.

السابعة : الرواسي ؛ الثامنة : إنبات النبات ؛ التاسعة : كثرته وكونه من كل شيء ؛ العاشرة : كونه موزوناً ؛ الحادية عشر : ذكر المعايش ؛ الثانية عشر : ذكر الأنعام ؛ الثالثة عشر : كوننا لا نرزقهم مع كونهم لنا ؛ السابعة عشر : فيها أن كل شيء خزائنه عنده ؛ الثانية : إنزاله بقدر معلوم.

الثامنة عشر ، وثلاث بعدها : فيها ذكر إنعامه بإرسال الرياح ؛ الثانية : أنها تلقح السحاب والشجر ؛ الثالثة : إنزال الماء من السماء ؛ الرابعة : تسهيل تناوله ، الخامسة : عجزهم عن خزانته ؛ السادسة : تفرده بالإحياء والإماتة ؛ السابعة : أنه الوارث ؛ الثامنة : علمه بالمستقدم والمستأخر ، في الزمان وفي الطاعة ؛ التاسعة : تفرده بحشر الجميع ؛ العاشرة : ذكر حكمه وعلمه مع ذلك.

الثانية والعشرون ، وتسع عشرة آية بعدها : فيها ذكر المادة التي خلق منها آدم ؛ الثانية : ذكر المادة التي خلق منها إبليس ؛ الثالثة : إخبار الله للملائكة بمادته وأنه بشر ؛ الرابعة : أنه سواه ؛ الخامسة : أنه نفخ فيه من روحه ؛

السادسة : أن السجدة لآدم ؛ السابعة : أنها سجدة وقوع ؛ الثامنة : أنهم سجدوا كلهم ، لم يستثن إلا إبليس ؛ التاسعة : الدليل على شدة عيبه أنه لم يدخل مع هذا الجمع ، ولم يتخلف إلا هو ؛ العاشرة : أن اسمه إبليس من ذلك الوقت.

الحادية عشر : تخلف الإنسان عن العمل الصالح وحده أكبر ، لقوله : (ما لك ألا تكون مع الساجدين) الثانية عشر : تعذره بأصله وبكونه بشر ؛ الثالثة عشر : علم الملائكة بالبعث قبل خلق بني آدم ؛ الرابعة عشر : لا يسمى المسلم من أتباعه ولو عصى ، لقوله : (إلا من اتبعك من الغاوين ، وإن جهنم لموعدهم أجمعين).

الخامسة عشر : كل من اتبعه فهو غاو ؛ السادسة عشر : التنويه بآدم قبل خلقه ؛ السابعة عشر : وقوع ما أخبر الله به من قوله : (إلى يوم الدين) لأنه لم يتب ؛ الثامنة عشر : كونه رجيم ؛ التاسعة عشر : كونه من ساكني الجنة ؛ العشرون : خلق الجنة والنار قبل ذلك الوقت.

الثانية والأربعون ، وخمس بعدها : فيها وعد أهل التقوى ؛ الثانية : ما يقال لهم عند دخولها ؛ الثالثة : أن الغل الذي بينهم لا يخرج من التقوى ؛ الرابعة : أن من نعيم أهل الجنة الأخوة الصافية ؛ الخامسة : التنبيه على أكبر عيوب الدنيا ، وهو النصب والإخراج ؛ السادسة : أمره رسوله بتعليم عباده بهذه المسألة.

السابعة : أنه ﷺ أخبرهم أن المؤمن لو يعلم ما عنده من

العقوبة . . . إلى آخره ؛ الثامنة : أن المغفرة والرحمة وصف بها نفسه ، وأما العذاب الأليم فوصف به عذابه ؛ التاسعة : تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل ، وتعريف العذاب ؛ العاشرة : وجوب تعلم هذه المسألة على المؤمن.

الثامنة والأربعون ، وثلاثون آية بعدها : فيها أمره رسوله بتعليم عباده بالقصة ، فدل على شدة حاجتهم إليها ؛ الثانية : تسمية الملائكة أضيافاً ؛ الثالثة : تشريف إبراهيم عليه السلام بضيافتهم ؛ الرابعة ، قولهم : (سلاماً) استدل به على إجزائه في السلام.

الخامسة : جواز مخاطبة الأضياف بمثل هذا عند الحاجة ؛ السادسة : أن مثل هذا الخوف لا يذم ؛ السابعة : البشارة بالغلام ، وبكونه عليم ؛ الثامنة : أن استبعاد مثل هذا ليس من القنوط ؛ التاسعة : أنه مظنة القنوط ، لقوله : (فلا تكن من القانطين).

العاشرة : مثل هذا لا يخرج من التوكل ؛ الحادية عشر : لا يخرج من معرفة قدرة الله ؛ الثانية عشر : معرفة كبر القنوط ؛ الثالثة عشر : معرفته ــ عليه السلام ــ أن البشارة ليست حاجتهم وحدها ؛ الرابعة عشر : معرفة نقمة الله ممن خالف الرسل.

الخامسة عشر : معرفة التوحيد من قصة امرأة لوط ؛ السادسة عشر : لم يعرفهم لوط أول مرة ؛ السابعة عشر : معرفة جواز قول مثل هذا للأضياف عند الحاجة ؛ الثامنة

عشر : معرفة أنه خوفهم عقوبة الدنيا ، لقوله : (بما كانوا فيه يمترون) التاسعة عشر : معرفة أن التأكيد وتكرير المسألة على الطالب ، ليس نقصاً في حقه ، لقوله بعده : (وأتيناك بالحق وإنا لصادقون).

العشرون : أن اليقين يتفاضل حتى في حق الأنبياء ، يوضحه ما تقدم من قولهم : (بشرناك بالحق) الآية ؛ الحادية والعشرون : معرفة الأمر بالهجرة ؛ الثانية والعشرون : تفضيله عليه السلام بالهجرة مرتين ؛ الثالثة والعشرون : معرفة أنهم أمروا بها إلى مكان معين ؛ الرابعة والعشرون : معرفة قدر كونه آخر الرفقة في السفر ، كما كان ﷺ يتخلف في آخرهم.

الخامسة والعشرون : عدم الرأفة على أعداء الله ، لقوله : (ولا يلتفت منكم أحد) السادسة والعشرون : معرفة إخباره أن هذا قضي فلا مراجعة فيه ، كما أخبر إبراهيم عليه السلام ؛ السابعة والعشرون : معرفة قرب وقته ؛ الثامنة والعشرون : معرفة الأمر العظيم ، وهو فرح الإنسان بما لعله هلاكه.

التاسعة والعشرون : قوله : (إن هؤلاء ضيفي) إلخ ، يدل على توقيرهم إياه ، يوضحه قولهم : (أولم ننهك عن العالمين) الثلاثون : أن طلب الستر وخوف الفضيحة من أعمال الأنبياء ؛ الحادية والثلاثون : كونك تأمر بالتقوى ولو أفجر الناس ؛ الثانية والثلاثون : خوف الخزي.

الثالثة والثلاثون : شدة مدافعته عن ضيفه بعرض بناته ؛

الرابعة والثلاثون : كرامة رسول الله ﷺ بالقسم بحياته ؛ الخامسة والثلاثون : تأمل ما أخبر الله به من سكر الشهوة ؛ السادسة والثلاثون : الجمع بين قلبها وإمطار الحجارة ؛ السابعة والثلاثون : معرفة تنبيه الله على هذه الآية ؛ الثامنة والثلاثون : تخصيص المتوسمين.

التاسعة والثلاثون : توضيح الآية بكونها على الطريق ؛ الأربعون : إقامتها ؛ الحادية والأربعون : تخصيص المؤمنين بالآية ؛ الثانية والأربعون : توضيح الآية بكونها على الطريق الواضح ؛ الثالثة والأربعون الآية في أصحاب الأيكة ؛ الرابعة والأربعون : ذكر السبب ، وأنه ظلمهم.

الخامسة والأربعون : ذنب أصحاب الحجر ؛ السادسة والأربعون : أن من كذب رسولاً ، فقد كذب الرسل ؛ السابعة والأربعون : ذكر إنعامه عليهم بالآيات ؛ الثامنة والأربعون : ذكر ما عاملوها به من الاعراض.

التاسعة والأربعون : ما أعطوا من القوى ، حتى نحتوا الجبال بيوتاً ؛ الخمسون : أمنهم ؛ الحادية والخمسون : ذكر عقوبتهم ، وهي أخذ الصيحة صباحاً ؛ الثانية والخمسون : ذكر أن ذلك العطاء الذي غرهم ، ما أغنى عنهم وقت البلاء ، كما أغنت الأعمال الصالحة عن أهلها.

السبعون ، وسبع بعدها : فيها التنبيه على تنزيهه عن مضاد الحكمة ؛ الثانية : كونه ما خلق ذلك إلا بالحق ؛ ففيه إثبات الحكمة ؛ الثالثة : أن من الحكمة في ذلك الإيمان به

وتوحيده ؛ الرابعة : الإيمان بإتيان الساعة : الخامسة : أن العلم بإتيانها ، فيه تعزية للمظلوم ؛ السادسة : أن العلم بكونه الخلاق العليم ، فيه تعزية أيضاً ؛ السابعة : أن فيه الوعيد للظالم.

الثامنة : المنة بإتيان السبع المثاني والقرآن العظيم ، وفيه التعزي عما أصابَه به وعما صرف عنه ؛ التاسعة : نهيه عن مد العين إلى دنياهم ؛ العاشرة : كون ذلك من نتائج ذلك الإيتاء ؛ الحادية عشر : نهيه عن الحزن عليهم ولو كان الملأ ؛ الثانية عشر : أمره بخفض الجناح لمن آمن ؛ ولو كان عندهم حقيراً.

الثالثة عشر ، قوله لهم : (إني أنا النذير المبين) وما في هذه الكلمة من التأكيد ؛ الرابعة عشر : ذكر آياته في انتقامه منهم ؛ الخامسة عشر : رجاء المؤمن إذا نظر إلى ذلك.

السادسة عشر : وصفهم بالاقتسام ، ففيه جدهم في الباطل ؛ السابعة عشر : وصفهم القرآن بهذه الصفة ، ففيه شدة الجراءة ، وفيه وضوح ضلالهم ؛ الثامنة عشر : الإقسام على هذا الأمر العظيم ؛ التاسعة عشر : معرفة أن لا إله إلا الله عمل به ؛ العشرون : أن ذلك شرع للكل.

الثمانون ، وأربع بعدها إلى آخر السورة : فيها أن الصدع فيه زيادة على الإنذار ؛ الثانية : أنها ناسخة ؛ الثالثة : جمعه بين ذلك وبين الإعراض عنهم ؛ الرابعة : ذكر الآية في

تلك الكفاية ؛ الخامسة في ذلك تشجيع على الصدع والتوكل ؛ السادسة : وصفهم بالاستهزاء بما لا يستهزأ به.

السابعة : وصفهم بالشرك ؛ الثامنة : ذكر أنهم يجعلون مع الله إلٰهاً فلم يتركوا ؛ التاسعة : تقبيح ذلك في جعلهم معه ذلك كائناً من كان ؛ العاشرة : الوعيد ؛ الحادية عشر : لا يناقضه الإمهال ، لقوله : (فسوف يعلمون) الثانية عشر : تعزيته بعلم الله.

الثالثة عشر : تنبيهه على الدواء ؛ الرابعة عشر : أن ذلك بالجمع بين التسبيح والحمد ؛ الخامسة عشر : تنبيهه على السجود ، أنه مع ما تقدم هو الدواء ؛ السادسة عشر : التحريض على ذلك ، بتذكر عباد الله الساجدين ، وكونه منهم ؛ السابعة عشر : ختم السورة بهذه المسألة الكبيرة.

وتكلم أيضاً الشيخ : محمد رحمه الله ، على قصة إبليس ، فقال:

عن أبي موسى ، قال : قال رسول الله ﷺ : « خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، جاء منهم الأحمر ، والأبيض ، والأسود ، وبين ذلك ، والحزن ، والخبيث ، والطيب ».

وقوله تعالى : (ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون) [الحجر : ٢٦] قال ابن عباس في رواية الوالبي : الصلصال الطين اليابس ؛ وفي رواية : الذي إذا نقر صوت ؛ والحمأ الطين الأسود المتغير اللون (والمسنون)

المتغير الرائحة ، يقال : سَنَّ الماء فهو مسنون إذا تغير ؛ وقال سيبويه : (المسنون) المصور على صورة ومثال.

سورة النحل

وقال أيضاً الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله : (أتى أمر الله) أي الذي يفصل بين المؤمنين والمشركين ، فسر بالنصر في الدنيا ، وبالقيامة ، ففيها : إتيانه سبحانه بصيغة الماضي ، للتحقيق والبشارة والنذارة ؛ الثانية : النهي عن الاستعجال به ؛ الثالثة : تسبيحه نفسه ، وتعاليه عن شركهم ، ففيه التنبيه على عظمة قبحه لكونه مسبة له.

الثانية : فيها تنزيله الملائكة ؛ الثانية : تسمية المنزل روحاً ، لكونه يحيي القلوب ؛ الثالثة : أن ذلك الروح من أمره ؛ الرابعة : أن التخصيص بمن ينزل عليه بمشيئته لا بالاقتراح ؛ الخامسة : أن المخصوص بذلك من جملة عباده ؛ السادسة : ذكر الحكمة في هذا ، وهو : إنذار الخلق عن الشرك ؛ السابعة : أنه إذا ثبت ذلك فخصوه بالتقوى ، لكونه المتفرد بالضر والنفع.

الثالثة : فيها الاستدلال بخلق السماوات والأرض ؛ الثانية : أنه بالحق ؛ الثالثة : ذكر تعاليه عن شركهم ، ذكره

عند بدء الخلق ، وعند الوعد بالفصل .

الرابعة : فيها الاستدلال بخلق الإنسان ، ذكر أولاً الخلق العام ، ثم الخاص ؛ الثانية كونه من نطفة ؛ الثالثة : صيرورته إلى هذا الحال ، بعد تلك الحال ، وهو تفضيله بالعقل والبيان ؛ الرابعة : على تفسير مجاهد ذكر هذا الكفر ، بعد ما أعطاه من النعمة ، وبين له من القدرة .

الخامسة : والآيتان بعدها ، فيها : الاستدلال بخلق الأنعام على اختلافها ؛ الثانية : أن ذلك لنا ؛ الثالثة : التنبيه على ما فيها من المصالح ؛ منها : الدفء ، والأكل ، والجمال ، وحمل الأثقال إلى ما ذكره ، وغير ذلك من المنافع ؛ الرابعة : التنبيه على رأفته ورحمته بنا .

الثامنة : ذكر الخيل والبغال والحمير في الاستدلال ؛ الثانية ذكر نعمته أن الحكمة في ذلك لركوبنا ؛ الثالثة : زينة لنا ؛ الرابعة : التنبيه على خلق ما لا نعلم .

التاسعة : فيها أن السبيل منها قاصد ؛ الثانية : أنه يوصل إلى الله ؛ الثالثة : أن منها جائراً ، فينزل على الطلب والنظر ؛ الرابعة : ذكر القدرة بعد ما ذكر الشرع .

العاشرة : فيها الاستدلال بإنزال المطر ؛ الثانية : على أن غيره لا يقدر عليه ؛ الثالثة : التنبيه على النعمة ، بقوله : (لكم) الرابعة : ما يحصل به من الشراب والمرعى ؛ الخامسة : إنبات الزرع والأشجار الخاصة ؛ السادسة : من كل الثمرات ؛ السابعة أن ذلك الإنبات لنا ؛ الثامنة ذكره إن في

هذا لآيات ، التاسعة : كونها مخصوصة بالمتفكرين.

الحادية عشر : الاستدلال بخلق الليل والنهار والعلويات ؛ الثانية : أن تسخيرها لنا ؛ الثالثة : قوله : (مسخرات بأمره) ؛ الرابعة : ذكر الآيات في ذلك ؛ الخامسة : أنها مخصوصة بالذين يعقلون.

الثانية عشر : الاستدلال بخلق ما في الأرض لنا على اختلافه وكثرته ؛ الثانية : ذكر النعمة في كونه لنا ؛ الثالثة : ذكر الآيات في ذلك ؛ الرابعة : تخصيص المتفكرين بفهمها.

الثالثة عشر : تسخير البحر ؛ الثانية : أنه الذي فعله لا غيره ؛ الثالثة : التنبيه على ما فيه من مصلحتنا ، من أكل اللحم الطري ، واستخراج الحلية ولبسها ؛ وجريان الفلك فيه والابتغاء من فضله ؛ الرابعة : أن الحكمة في ذلك ليستخرج منكم الشكر ، في هذه الأمور التي فيها الآيات والنعم.

الرابعة عشر : الاستدلال بخلق الجبال ؛ الثانية : ذكر الحكمة ؛ الثالثة : ذكر الأنهار ؛ الرابعة : ذكر السبل ؛ الخامسة : ذكر الحكمة ، وهي الاهتداء ؛ السادسة : ذكر الحكمة الثانية وهي العلامات ، فالجبال علامات النهار ؛ ثم ذكر حكمة ثالثة ، وهي الاهتداء بالنجوم في الليل.

الخامسة عشر : ذكر الدليل القاطع البديهي ، الفطري الضروري ؛ الثانية دعاؤهم إلى التذكر ؛ الثالثة : أتى باستفهام الإنكار ، ولكن لتأمل التذكر ما هو ، لقوله : (وما يتذكر إلا من ينيب) الرابعة : دعاؤهم إلى الطاعة بذكر نعمه ، وأنها

على الإجمال ، وأنها لا تحصى ؛ الخامسة : ختمه الآية بالاسمين.

السادسة عشر : ذكر سعة علمه ، وإحاطته بالسر والجهر ؛ الثانية : أن الذين يدعون غيره ، ليس لهم قدرة ولا لهم علم ، فلا يخلقون شيئاً ، ولا يدرون متى يبعثون ؛ الثالثة : أنهم أموات غير أحياء.

السابعة عشر : ذكر توحيد الإلهية ؛ الثانية : أنه مع تكاثر هذه الأدلة ووضوحها ، أنكرته قلوب هؤلاء ؛ الثالثة : أن سببه عدم الإيمان بالآخرة ، لا خفاء الأدلة ؛ الرابعة : أن الشرك وعدم الإيمان بالآخرة متلازمان ؛ الخامسة : أنهم مع هذا الجهل العظيم ، الذي لا أخس منه ، متكبرون ؛ السادسة : جمعوا بين الإنكار والاستكبار ؛ السابعة : ذكر علمه سرهم وعلانيتهم ، وهو صريح في الوعيد ؛ الثامنة : كونه لا يحب المستكبرين.

الثامنة عشر : ذكر وصفهم أعظم نعمة جاءتهم من الله ؛ الثانية : إقرارهم بالربوبية ؛ الثالثة : ذكر عاقبة ذلك ؛ الرابعة : ذكر حملهم أوزار من أضلوا ؛ الخامسة : أنهم جهال ، ولو ظن الاتباع غيره . السادسة : تهويل ذكر الجزاء.

التاسعة عشر ، وأربع آيات بعدها : ذكر ما فعل بمن قبلهم لما مكروا ؛ الثانية : أنه أتاه من القواعد ؛ الثالثة أنهم خر عليهم الذي بنوا ؛ الرابعة : أن الخرور من فوقهم ؛ الخامسة : إتيان العذاب من طرق لم يعلموا بها ؛ السادسة :

الخزى يوم القيامة ؛ السابعة : هذا العذاب الشديد ؛ الثامنة ما فيه من قبح الشرك ؛ التاسعة : ما فيه من فتنة المشرك بالشرك.

العاشرة : مشاقتهم الله وأولياءه ؛ الحادية عشر : ذكره أن ذلك لأجل الشركاء ؛ الثانية عشر : ما فيه من تعزية المؤمن ، وتبشيره ؛ الثالثة عشر : شرف العلم في الآخرة ؛ الرابعة عشر : جمعه بين الخزي والسوء ؛ الخامسة عشر : كونه على من كفر.

السادسة عشر : ذكره موتهم على هذه الحال ؛ السابعة عشر : كونهم ما ظلموا إلا أنفسهم ؛ الثامنة عشر : كون ملك الموت له أعوان يتوفون ؛ التاسعة عشر : كونهم ألقوا له حين لا ينفعهم ؛ العشرون تفسير ذلك بقولهم : (ما كنا نعمل من سوء) الحادية والعشرون : جوابهم ؛ الثانية والعشرون : عقابهم ؛ الثالثة والعشرون : هؤلاء أهل الأبواب ؛ الرابعة والعشرون : عظمة الكبر عند الله.

الرابعة والعشرون ، وآيتان بعدها : قول المتقين في المنزل ؛ الثانية : الوعد بحسنة الدنيا ؛ الثالثة : أن حسنات الآخرة خير ؛ الرابعة : أنها دار المتقين ؛ الخامسة : وصفها بهذه الصفات العظيمة ؛ السادسة : أن الجزاء بهذا ، مما يوصف الله به في حق المتقين ؛ السابعة : وصفهم بحالهم عند الوفاة ، وما يقال لهم.

السابعة والعشرون ، وآية بعدها ؛ الأولى : الموعظة عن

التسويف ؛ الثانية ، الفرق بين إتيان الملائكة أو أمر الله ؛ الثالثة : أن هذا كفعل من قبلهم ؛ الرابعة : تنزيهه سبحانه عن الظلم ؛ الخامسة : إثبات ظلمهم لأنفسهم ؛ السادسة : أن علمهم هو الذي أصابهم ؛ السابعة : كون الذي استهزءوا به حاق بهم.

التاسعة والعشرون : أن الاحتجاج بالقدر من كلام الكفار ؛ الثانية : اعترافهم أنهم يعبدون من دونه ، مع قولهم هؤلاء شفعاؤنا عنده ؛ الثالثة : اعترافهم أنهم يحرمون من دونه ، مع زعمهم أنهم يتقربون إليه ؛ الرابعة : ذكره سبحانه أن هذا كفعل المتقدمين ؛ الخامسة : ذكره الواجب على الرسل.

الثلاثون : عموم الرسالة لكل أمة ؛ الثانية : أن كل أمة لها رسول يخصها ؛ الثالثة : أن بعثة الكل لأجل هاتين الكلمتين ؛ الرابعة : أنه لا بد مع الإثبات من النفي ؛ الخامسة : ذكر حسن الأولى بالإضافة إليه ؛ السادسة : ذكر قبح الشرك ، وحسن النهي عنه.

السابعة : أنهم افترقوا ؛ الثامنة أن من أعطى خيراً فالله أعطاه ؛ التاسعة : أن الضلالة حقت على الضالين ؛ العاشرة : ذكر الأمر بالسير في الأرض ، لأجل النظر في عاقبتهم ؛ الحادية عشر : ذكر أن حرص الرسول لا يجدي على من أضل الله ؛ الثانية عشر : مالهم من ناصرين.

الحادية والثلاثون : كونهم يقسمون بالله ؛ الثانية أن

القسم بالله عندهم أجل من القسم بالآلهة ؛ الثالثة : اجتهادهم في اليمين على ما لا يعلمون ؛ الرابعة : كون هذا على نفي ما قامت الأدلة الواضحة على ثبوته ؛ الخامسة : تأليهم على الله أن لا يفعل ؛ السادسة : رده عليهم بقوله : (بلى) ؛ السابعة : أنه لا يخلف الميعاد ؛ الثامنة : أنه جعل ذلك حقاً عليه.

التاسعة : إخباره أن السواد الأعظم لا يعلمون ؛ العاشرة : ذكره الحكمة في ذلك ، وهي : تبيينه لهم ما اختلفوا فيه ؛ ومعرفة الكافرين أنهم أهل الكذب لا خصومهم ؛ الحادية عشر : ذكره تعظيم قدرته وأنها على غير القياس ، وهم نفوا لما نظروا إلى عظمة الأمر ، ولم يعرفوا عظمة الله.

السادسة والثلاثون : ذكر الهجرة ؛ الثانية : ذكر نية أهلها ، الثالثة : ذكر الظلم الذي أصابهم وصبروا ؛ الرابعة : الوعد بحسنة الدنيا ؛ الخامسة : أن أجر الآخرة أعظم ؛ السادسة : أن هذا الخير العظيم لا يعلمه الأكثر ، ولو علموه لاستبقوا إليه ؛ السابعة : وصفهم بالصبر ؛ الثامنة : وصفهم بالتوكل.

السابعة والثلاثون : ذكر الحجة الدامغة لإنكارهم لإرسال البشر ، مع تسليمهم بنبوة المتقدمين ؛ الثانية : أن الإرسال بالوحي ؛ الثالثة : أن هذا مسلم عند كل من عرف العلم النازل من الله ؛ الرابعة : تنبيه الجاهل أنه لا يعذر ، لأنه يمكنه السؤال.

الخامسة : أن كل الرسل رجال ، لا جني فيهم ولا أنثى ؛ السادسة : أن كل رسول لا يرسل إلا ببينات ؛ السابعة : لا يرسل إلا ومعه كتاب ؛ الثامنة : ذكر الحكمة في إنزال القرآن على محمد ، وأنها لبيان المنزل ، ولتفكرهم ؛ التاسعة : تسميته الذكر.

الثامنة والثلاثون : ذكر مكر السيئات ؛ الثانية : أنهم مستحقون لتعجيل العقوبة ؛ الثالثة : كيف أمنوا ذلك ؛ الرابعة : ذكر أنواع العذاب الأربعة ؛ الخامسة : أنهم لا يعجزون بعد ذكر الثالث ؛ السادسة : ذكر الرأفة والرحمة بعد الرابع.

التاسعة والثلاثون ؛ والآيتان بعدها : فيها ذكر الآية التي في المخلوق ؛ الثانية : تقرير عدم رؤيتهم ذلك مع وضوحه ؛ الثالثة : تفيء الظلال يميناً وشمالاً ؛ الرابعة : سجودهم لله ، الخامسة : حال الدخول ؛ السادسة : ذكر جميع دواب السماء والأرض ؛ السابعة : سجود جميع الملائكة ؛ الثامنة : عدم استكبارهم مع شرفهم ؛ التاسعة : مع ذلك خوفهم منه ؛ العاشرة : ذكر الفوقية ؛ الحادية عشر : ذكر كونهم مع ذلك الخوف ، كاملي الانقياد فيما أمروا به.

الثانية والأربعون وآية بعدها ، فيها : النهي عن اتخاذ إلٰهين ؛ الثانية : بيان أن الإله واحد ؛ الثالثة : بيان أن من لوازم ذلك إفراده بالرهبة ؛ الرابعة : الاستدلال على ذلك بملك السماوات والأرض ؛ الخامسة : الاستدلال بأن دينه

واصب ؛ السادسة : الإنكار عليهم في تقوى غيره مع هذه الأدلة.

الرابعة والأربعون وآيتان بعدها : فيها التذكير بأن كل ما بنا من نعمة فهو المتفرد بها ؛ الثانية : اللجأ إليه وحده إذا نزل الضر بالجؤر ؛ الثالثة : فعلهم القبيح بعد كشفه وبعد الإخلاص ؛ الرابعة : ذكر عاقبة فعلهم أنه الكفر بالنعم ؛ الخامسة : ذكر العاقبة ؛ الثانية : وهي التمتع ؛ السادسة : الوعيد.

السابعة والأربعون : جعلهم حقاً من الذي أعطاهم الله لغيره ؛ الثانية : أنهم لا يعلمون ؛ الثالثة : الوعيد ؛ الرابعة : أنه بالقسم ، الثامنة والأربعون : جعلهم لله الأوكس ؛ الثانية : جعلهم لأنفسهم الأعلى ؛ الثالثة : إذا بشروا بما جعلوا لله ، جرى منهم ما ذكر ؛ الرابعة : أنه لشدته يتوارى ؛ الخامسة : أنه يتردد هل يمسكه على هون أم يدسه ؛ السادسة : التسجيل على سوء هذا الحكم.

الخمسون : ذكر مثل السوء لمن لا يؤمن بالآخرة ؛ الثانية : إثبات المثل الأعلى لله سبحانه ؛ الثالثة : ذكر عزته ؛ الرابعة : ذكر حكمته ؛ الحادية والخمسون : ذكر حلمه ؛ الثانية : ذكر استحقاقهم ؛ الثالثة : إهلاك من لا ذنب له بسبب كبر الجريمة ؛ الرابعة : ذكر أنه مع ذلك لا يهمل ؛ الخامسة : أن التأخير إلى أجل مسمى ؛ السادسة : أنه إذا جاء لا يستأخرون ساعة ؛ السابعة : أنهم لا يستقدمون قبله.

الثانية والخمسون : ذكر فعلهم العجيب ؛ الثانية : ذكر اغترارهم مع ذلك ؛ الثالثة : ذكر الصواب فيما يستحقون ؛ الرابعة : أنهم مفرطون ؛ الثالثة والخمسون : القسم ؛ الثانية : ذكر أنه أرشدهم إلى ما ينفعهم ؛ الثالثة : ذكر السبب الذي صدهم ؛ الرابعة : ذكر ثمرة اليوم ؛ الخامسة : الوعيد بغيره.

الرابعة والخمسون : ذكر الحكم في إنزال الكتاب عليه ؛ الثانية : الحصر في ذلك ؛ الثالثة : أنها ثلاثة أنواع ، الأول عام ، والثاني والثالث خاص ؛ الرابعة : ذكر سبب الخصوص ؛ الخامسة والخمسون : ذكر الآية الشهيرة ؛ الثانية : أن فيها آية ؛ الثالثة : لقوم مخصوصين ؛ الرابعة : أنهم أهل السمع.

السادسة والخمسون : ذكر الآية في الإنعام باللبن ؛ الثانية : تفصيل الإنعام ؛ السابعة والخمسون : ذكر ثمرات النوعين ؛ الثانية : اتخاذ النوعين منها ؛ الثالثة : ذكر الآية التي في ذلك ؛ الرابعة : أنها لأهل العقل خاصة.

الثامنة والخمسون : ذكر أن الإلهام من أقسام الوحي ؛ الثانية : إلهامها : اتخاذ تلك البيوت من تلك الأمكنة ؛ الثالثة : إلهامها مأكولها ؛ الرابعة : سلوك سبل ربها ؛ الخامسة : كونها ذللاً ؛ السادسة : خروج ذلك الشراب من بطونها ؛ السابعة : اختلاف ألوانه ؛ الثامنة : ما فيه من الشفاء ؛ التاسعة : الآية التي فيه ؛ العاشرة : كونها للمتفكرين.

التاسعة والخمسون : الآية في خلقهم ؛ الثانية : توفيهم ؛ الثالثة : رد من شاء إلى أرذل العمر ؛ الرابعة : لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ؛ الخامسة : علمه ؛ السادسة : قدرته . الستون : تفضيلهم في الرزق ؛ الثانية : أن المفضلين لا يرضون لأنفسهم بهذا ، خصوصاً مع التساوي ؛ الثالثة : استفهام الإنكار.

الحادية والستون : جعل الأزواج من الأنفس ؛ الثانية : جعل منها بنين ؛ الثالثة : حفدة ؛ الرابعة : الرزق من الطيبات ؛ الخامسة : استفهام الإنكار في هذا الأمر الباهر.

الثانية والستون : عبادة من لا يملك نفعاً ؛ الثانية : أنهم لا يستطيعون ؛ الثالثة : النهي عن ضرب المثل له ؛ الرابعة : التنبيه على علمه وجهلهم ؛ الثالثة والستون ، والتي بعدها : فيهما المثلان العظيمان القاطعان.

الخامسة والستون : ذكره تفرده بعلم الغيب ؛ الثانية : ذكر أمر الآخرة ؛ الثالثة : ذكر قدرته على كل شيء ، فلا تستبعد شيئاً ؛ السادسة والستون : ذكر إخراجنا من البطون هكذا ؛ الثانية : وهب الآيات ؛ الثالثة : ذكر مراده في ذلك.

السابعة والستون : ذكر آيات الطير ؛ الثانية : كيف لم يفهموها ؟ الثالثة : إن فيها آيات ؛ الرابعة : لقوم مخصوصين ؛ الثامنة والستون : ذكر السكن من البيوت ؛ الثانية : جعل البيوت من جلود الأنعام ؛ الثالثة : استخفافها

ظعنا وإقامة ؛ الرابعة : من الأصواف والأوبار أثاثاً ؛ الخامسة : المتاع إلى حين.

التاسعة والستون : ذكر الظلال مما خلق ؛ الثانية : الأكنان من الجبال ؛ الثالثة : سرابيل الحر ؛ الرابعة : سرابيل البأس ؛ الخامسة : إتمام النعمة ؛ السادسة : الحكمة في ذلك.

السبعون ، والتي بعدها : ذكر الوعيد ؛ الثانية : التعزية ؛ الثالثة : التعليم أن ذلك ليس عليه ؛ الرابعة : ذكر ما عليه ؛ الخامسة : نعمته بالبيان ؛ السادسة : العجب العجاب ، وهو : جمعهم بين الضدين ؛ السابعة : أن أكثرهم عدم القوة العملية.

الحادية والسبعون ، وآيتان بعدها : ذكر بعثه الشهداء ؛ الثانية : أنه من كل أمة شهيداً ؛ الثالثة : تخلف أسباب النجاة في الدنيا ، وهو الأذن والاستعتاب ؛ الرابعة : تخلف التخفيف والانظار ؛ الرابعة والسبعون : قول المشركين لشركائهم ؛ الثانية : معرفة أنهم يدعون من دونه ؛ الثالثة : تكذيب معبوديهم لهم ؛ الرابعة : إلقاء السلم إلى الله حينئذ ؛ الخامسة : زوال الافتراء.

الخامسة والسبعون : من جمع الكفر والصد ، جمع له ما ذكر ؛ الثانية : ذكر الحكمة ، السادسة والسبعون : ذكر بعث الشهيد في كل أمة من أنفسهم ، الثانية : بعثته ﷺ على أمته ؛ الثالثة : تنزيل الكتاب عليه ؛ الرابعة : بيانه لكل

شيء ؛ الخامسة : كونه هدى ؛ السادسة : كونه رحمة ؛ السابعة : كونه بشرى لقوم مخصوصين ؛ الثامنة : الثناء على الإسلام.

السابعة والسبعون : الأمر بالعدل ؛ الثانية : الأمر بالإحسان ؛ الثالثة : الأمر بإيتاء ذي القربى ؛ الرابعة : النهي عن الفحشاء ؛ الخامسة : النهي عن المنكر ؛ السادسة : النهي عن البغي ؛ السابعة : ذكر أن الأمر والنهي موعظة ؛ الثامنة : ذكر الحكمة في ذلك ؛ التاسعة : أن التذكير مستلزم العمل.

الثامنة والسبعون : الأمر بالوفاء بالعهد ؛ الثانية : نسبته إلى الله ؛ الثالثة : النهي عن نقض الإيمان بعد توكيدها ؛ الرابعة : التنبيه على قبح ذلك ، بجعلهم الله كفيلاً عليهم ؛ الخامسة : الموعظة بعلمه بأعمالهم.

التاسعة والسبعون ، وأربع بعدها : نهيه عن مشابهة الخرقاء ؛ الثانية : تبيين ذلك باتخاذ الأيمان دخلاً بينهم ؛ الثالثة : أنه لأجل كون أمة أربى من أمة ؛ الرابعة : ذكر أن ذلك اختباراً منه سبحانه ؛ الخامسة : وعظهم بالبيان ، للاختلاف ذلك اليوم ؛ السادسة : أنه لو شاء لجعلهم أمة واحدة ؛ السابعة : بيان المشيئة.

الثامنة : الرد على القدرية ؛ التاسعة : الرد على الجبرية ؛ العاشرة : توعده بسؤالهم ؛ الحادية عشر : نهيه عن اتخاذها دخلاً ؛ الثانية عشر : ذكر العقوبة ؛ الثالثة عشر : أنها نوعان ؛ الرابعة عشر : أن ذلك مما صدوا عن سبيله.

الخامسة عشر : ذكر العذاب المهين ؛ السادسة عشر : نهيهم عن الاشتراء بالعهد ثمناً قليلاً ؛ السابعة عشر : ذكره بعض الخيرية وهو نفاد هذا وبقاء هذا ؛ العشرون : وعد الصابرين ؛ الحادية والعشرون : أن ذلك بأحسن أعمالهم.

الرابعة والثمانون : إلزام العمل الإيمان وبالعكس ؛ الثانية : ذكر الجزاء بالحياة الطيبة ، وما بعدها أكبر ، وهو : جزاؤهم بأحسن أعمالهم ؛ الثالثة : أنه عام لمن فعل ذكراً كان أو أنثى ؛ الرابعة : التنبيه على طيب الحياة.

الخامسة والثمانون ، وآيتان بعدها : الأمر بالاستعاذة من الشيطان عند القراءة ؛ الثانية : أن القراءة غير المقروء ؛ الثالثة : التنبيه على التوحيد ؛ الرابعة : الإخبار أنه لا سلطان له على هؤلاء ؛ الخامسة : عطف التوكل على الإيمان مع أنه منه ؛ السادسة : أن نفي سلطانه عنهم لا ينافي فعلهم الأسباب ، مثل الاستعاذة ؛ السابعة : إثبات سلطانه على هؤلاء ؛ الثامنة : عطف توليهم على شركهم.

الثامنة والثمانون : ذكر النسخ ؛ الثانية : ذكر الفتنة به ؛ الثالثة : جوابهم ؛ الرابعة : سببه عدم العلم ؛ الخامسة : أن روح القدس جبرائيل ؛ السادسة : أنه من ربك ؛ السابعة : أنه لا ينافي كون الله نزله ؛ الثامنة : أنه الحق ؛ التاسعة : ذكر الحكمة ، وهي : تثبيت هؤلاء ؛ العاشرة : ذكر الحكمة الأخرى ، أنه هدى لهؤلاء ؛ الحادية عشر : ذكر الحكمة الأخرى أنه بشرى لهم ؛ الثانية عشر : مدح الإسلام.

التاسعة والثمانون : ذكر إفكهم ؛ الثانية ذكر علمه به ؛ الثالثة : بيان فساد إفكهم بأوضح حجة ؛ الرابعة : الرد على الأشعرية ؛ الخامسة : الرد على من زعم أنه لا يمكن معرفته. التسعون : ذكر عقوبة من لم يؤمن بآيات الله ؛ الثانية : أن ذلك منعهم الخير الذي هو الهداية ، وإيصال الشر وهو العذاب ؛ الثالثة : أن الهداية نعمة منه.

الحادية والتسعون : تعظيم أمر الكذب ، بكونه ينافي الإيمان ؛ الثانية : أن الإيمان بآيات الله يستلزم العمل ، ومنه : ترك الكذب ؛ الثالثة : حصر الكذب فيمن لم يؤمن بآيات الله.

الثانية والتسعون ، وأربع بعدها : ذكر تعظيم الكفر بعد الإيمان ؛ الثانية : استثناء المكره المطمئن ؛ الثالثة : أن الرخصة لمن جمع بينهما ، بخلاف المكره فقط ؛ الرابعة : أن الردة المذكورة كلام أو فعل من غير اعتقاد ؛ الخامسة : أنها تكون مع شدة المعرفة بالدين ؛ السادسة : أنها تكون مع شدة المعرفة بالباطل ؛ السابعة : أنها تكون مع محبة الدين ؛ الثامنة أنها تكون مع بغض الباطل ؛ التاسعة : أنها تكون مع شدة الخوف.

العاشرة : تكون أيضاً مع شدة حاجته لما بذل له ، أو لما يرجوه ؛ الحادية عشر : كون من فعل ذلك كفر ، ولو كان أفضل الأولياء ؛ الثانية عشر : يكفر بذلك ولو كان ببلد المشركين تحت أيديهم ؛ الثالثة عشر : من فعل ذلك فقد شرح بالكفر صدراً ولو كره ذلك ، لأنه لم يستثن إلا من

ذكر ؛ الرابعة عشر : فيه أنه يتصور أنه مؤمن ولم يطمئن.

الخامسة عشر : ذكر العقوبة ، وهي نوعان ؛ السادسة عشر وهي استحباب الدنيا على الآخرة ، لا مجرد الاعتقاد أو الشك ؛ السابعة عشر ذكر السبب الآخر ، وهو من الصفات ؛ الثامنة عشر : أن سبب فعلهم الطبع المذكور ؛ التاسعة عشر : ذكر حصر الغفلة فيهم ؛ العشرون : حصر الخسران في الآخرة فيهم ؛ الحادية والعشرون : ذكر قبول توبة هؤلاء ؛ الثانية والعشرون : ذكر صفة توبتهم ، وهي : الهجرة والجهاد والصبر ؛ الثالثة والعشرون : أن المغفرة لما صدر منهم من الأعمال المذكورة.

السابعة والتسعون : تعظيم ذلك اليوم ؛ الثانية : ذكر الأمر الهائل في كل نفس ؛ الثالثة : كشف الشبهة بقوله : (عن نفسها) ؛ الرابعة : توفية كل نفس عملها ؛ الخامسة : نفي الظلم ولو عن الأشرار.

الثامنة والتسعون ، والتي بعدها : ذكر ما أعطى القرية ؛ الثانية : الفرق بين الأمان والطمأنينة ؛ الثالثة : إتيان الرزق لها رغداً ؛ الرابعة : من كل مكان ؛ الخامسة : أن النعمة بما خرق العادة أظهر ؛ السادسة : أن ترك الشكر ، له عقوبة عاجلة ؛ السابعة : أن العقوبة تأتي من حيث لا يحتسب.

الثامنة : ذكر الجمع بين هاتين العقوبتين ؛ التاسعة : أن ذلك لباس ؛ العاشرة : كونه بصنيعهم ؛ الحادية عشر : كون النعمة أتتهم ولم يطلبوها ؛ الثانية عشر : كونه منهم ؛ الثالثة

عشر : تكذيبه مع هذا ؛ الرابعة عشر : كون العذاب أخذهم بهذا السبب ؛ الخامسة عشر : كونهم في تلك الحالة الظالمين.

المائة ، قاعدة الشريعة : أن الأصل الحل ؛ الثانية : أمره بالشكر ؛ الثالثة : تنبيهه على ذكر الغلو ؛ الرابعة : أن كل حلال فهو طيب ؛ الخامسة : الشكر للنعمة من الفرائض ، لكونه من شروط العبادة الخاصة.

الحادية بعد المائة : ذكر تحريم الأربع ؛ الثانية : ذكر (إنما) التي تفيد الحصر ؛ الثالثة : الرخصة للمضطر ؛ الرابعة : شروط ذلك ؛ الخامسة : ختم الحكم بالصفتين ؛ الثانية بعد المائة : نهيه عن التحليل والتحريم بلا علم ؛ الثانية : أن ذلك وصف السنة بالكذب ؛ الثالثة : لام كي في قوله : (لتفتروا) ؛ الرابعة : وعيد الفاعل ؛ الخامسة : إزالة الشبهة بقوله : (متاع قليل).

الثالثة بعد المائة : تحريمه على اليهود ما ذكر ؛ الثانية : أنه سبب ظلمهم ؛ الثالثة : تسمية ما حرم عليهم طيبات ؛ الرابعة : تنزيه نفسه عن الظلم ؛ الخامسة : إثبات الظلم على من ظلم نفسه ؛ الرابعة بعد المائة : ذكر توبته عن العاصين ؛ الثانية ، قوله : (بجهالة) ؛ الثالثة : ذكره الإصلاح مع التوبة ؛ الرابعة : ذكر الربوبية في أول الكلام وآخره ؛ الخامسة : ختم الحكم.

الخامسة بعد المائة ، وثلاث بعدها : ذكر تعظيمه

إبراهيم بما لا يعلم له نظير ؛ الثانية : كونه أمة ؛ الثالثة : قنوته ؛ الرابعة : كونه حنيفاً ؛ الخامسة تنزيهه عن هذه الطائفة ؛ السادسة : كونه شاكراً ، السابعة كونه اجتباه ؛ الثامنة هداه إلى صراط مستقيم ؛ التاسعة : إعطاؤه في الدنيا حسنة ؛ العاشرة : كونه في الآخرة مع هذه الطائفة ؛ الحادية عشر : كون سيد المرسلين مأموراً باتباع ملته.

التاسعة بعد المائة : ذكر فرض السبت عليهم ؛ الثانية : ذكر الحصر بإنما ؛ الثالثة : ذكر اختلافهم فيه ؛ الرابعة : ذكر الوعيد ؛ الخامسة : ذكر فصل جميع الاختلاف في ذلك اليوم.

العاشرة بعد المائة : كونه مأموراً بالدعوة إلى سبيل ربه لا غير ؛ الثانية : كونه بالحكمة ، الثالثة : كونه بالموعظة الحسنة ؛ الرابعة : المجادلة بالتي هي أحسن ؛ الخامسة : تعزية المؤمن بعلمه سبحانه ، بالمهتدى والضال.

الحادية عشر بعد المائة : ذكر العدل حتى في حق الكفار ؛ الثانية : ذكر أن الصبر أفضل ولو على الكفار ؛ الثانية عشر بعد المائة ، والتي بعدها : الأمر بالصبر ؛ الثانية : لا يكون إلا بالله ؛ الثالثة : نهيه عن الحزن عليهم ؛ الرابعة : نهيه عن الضيق من مكرهم ؛ الخامسة : تنبيهه أن الله مع الذين جمعوا بين الوصفين.

وقال أيضاً ، رحمه الله تعالى:

السادسة : قوله عز وجل ، في حق إبليس : (إنما

سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) [النحل : ١٠٠] مع قوله في الآية الأخرى ، إخباراً عن اللعين ، أنه قال : (وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي) [إبراهيم : ٢٢] ما معنى السلطان المثبت في الآية الأولى ؟ والسلطان المنفي في الثانية ؟.

فأجاب : أنه عنى بالسلطان المثبت هنا ، الولاية والاستيلاء على القلب ، بحيث يكون في طاعته دائماً ، وهذا بخلاف الآية الأخرى ، وهي قوله : (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) [الإسراء : ٦٥] قال أهل المعاني ، يعني : أن عبادي المنقادين لأمري (ليس لك عليهم سلطان) فلا تقوى قلوبهم ، لتصدهم عن ذكري.

وقد سئل سفيان بن عيينة عن معنى قوله تعالى : (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) تلقيهم في ذنب يضيق عنه عفوي ؛ وهذه الإضافة للتشريك ، لأن الله هداهم واجتباهم ؛ وإلا الكل عبيد لله الصالح والطالح ، لكن أولئك اختاروا طاعة إبليس على طاعة ربهم ، وانقادوا له ، فاستولى على قلوبهم.

وأما معنى قوله ، في الآية الأخرى : (وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي) معناه أني لم يكن لي عليكم قهر وغلبة ، فهذا استثناء منقطع ، لكن دعوتكم من غير حجة على دعواي ، ولا ولاية قهر وغلبة مني إليكم (فلا تلوموني ولوموا أنفسكم) في طواعيتها وانقيادها إلي ، من غير حجة ولا غلبة.

وقال رحمه الله:

(إن إبراهيم كان أمة) لئلا يستوحش سالك الطريق من قلة السالكين (قانتا لله) لا للملوك ولا للتجار المترفين (حنيفاً) لا يميل يميناً ولا شمالاً ، كفعل العلماء المفتونين (ولم يك من المشركين) خلافاً لمن كثر سوادهم ، وزعم أنه من المسلمين.

(شاكراً لأنعمه) ليس كمن نسي النعم ، ونسبها إلى نفسه ، فصار من المتكبرين (اجتباه) ليعلم أنه المتفرد بالفضل والتمكين (وهداه إلى صراط مستقيم) لتعرف الاستقامة من الاعوجاج عن الحق المبين (وآتيناه في الدنيا حسنة) ليعلم أن الدنيا مع الآخرة في اتباع الدين (وإنه في الآخرة لمن الصالحين) ترغيباً في زمرة الصالحين.

ثم ختم هذا الثناء العظيم بالأمر الكبير والعصمة والقاعدة الكلية ؛ فقال : (ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين) [النحل : ١٢٠ ـ ١٢٣] تبييناً للناجين من الهالكين ، وفرقاناً بين المحققين والمبطلين ؛ وبين الموحدين من المشركين.

وسئل بعضهم : عن قول عائشة رضي الله عنها ، في هذه الآية : (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا) [الإسراء : ١١٠] نزلت في الدعاء ، ما معنى تنزيل لفظ الآية على دعاء الله ، مع أن إخفاء الدعاء أفضل ؟ والذي نفهم في معنى الآية كلام ابن عباس : أنها نزلت في قراءة النبي ﷺ في الصلاة بأصحابه ، فإذا سمع ذلك المشركون سبوا القران ، وسبوا من أنزله . . . الحديث ؟ .

فأجاب : كلام ابن عباس رضي الله عنهما ، هو الذي عليه جمهور العلماء ، أن النزول كان بسبب جهر النبي ﷺ بقراءته في صلاته ، فنهاه الله بهذه الآية عن الجهر بالقراءة في صلاته ، لئلا يسمعه كفار قريش ، فيسبون القرآن ومن أنزله ، ومن جاء به ، ولا يخافت به مخافتة لا يسمع بها نفسه ، بل يكون بين ذلك بحيث يسمع نفسه ؛ هكذا قال ابن عباس ، وموافقوه من العلماء .

وقالت عائشة ، رضي الله عنها : إنها نزلت في الدعاء ، الذي هو الصلاة اللغوية لا الشرعية ، وهذا الدعاء داخل في الشرعية ، ولكن لم تنزل هذه الآية إلا بسبب الدعاء ، فلا يجهر به جهراً مسمعاً خارجاً عن العادة ، ولا يخافت به مخافتة لا يسمعه نفسه ؛ بل يكون بين ذلك ؛ وكلا المعنيين حق ، فإن النبي ﷺ كان يسمع بالقراءة ، حتى نهاه الله عن السماع الجهري .

وكذلك دعاء الله سبحانه وتعالى ، لا يجهر به جهراً مسمعاً ؛ بل يخفيه إخفاء بحيث يسمع نفسه ، كبقية الذكر الذي في الصلاة وغيرها ؛ وليس المقصود من فضيلة إخفاء الدعاء : أنه لا يسمع نفسه ؛ هذا المعنى لم يعنه أحد.

وقد قال تعالى في الذكر ، الذي هو أعم من القرآن ، والدعاء ، وغيرهما : (واذكر ربك في نفسك) قال العلماء ، معناه : سراً بحيث تسمع نفسك (تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول) [الأعراف : ٢٠٥].

فدلنا ذلك على أن الأمر في الدعاء الوسط ، وهو بقدر ما يسمع الداعي نفسه ، ما لم يكن الداعي إما ما قانتا ، والمأموم خلفه ، فإنه يجهر ، بحيث يسمع من خلفه ، كما جاء فيه الأثر.

سورة الكهف

قال الشيخ : محمد بن عبد الوهاب ، رحمه الله تعالى:

ومن أول سورة الكهف ، ذكر ابن عباس : أن سبب نزولها ، أن قريشاً بعثت النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود المدينة ، فقالوا : سلوهم عن محمد ، وصفوا لهم صفته ، فإنهم أهل الكتاب الأول ، ففعلوا.

فقالوا : سلوه عن ثلاث ، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإلا فهو متقول ، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر

الأول ، ما أمرهم ؟ فإن لهم حديثاً عجيباً ، وسلوه عن طواف ، بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وسلوه عن الروح.

فأقبلا ، فقالا : جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، فسألوه عن الثلاث ، فقال أخبركم ، ولم يستثن ، فمكث خمس عشرة ليلة لا يأتيه جبرائيل ، فشق ذلك عليه ، حتى جاءه بالسورة ، فيه المعاتبة على حزنه عليهم ، وخبر مسائلهم.

ففي الآية الأولى مسائل : الأولى : حمده نفسه على إنزال الكتاب ، الذي هو أكره شيء أتاهم في أنفسهم ؛ مع كونه أجل ما أعطاهم من النعم ؛ الثانية : أن الإنزال على عبده ؛ ففيه : إبطال مذهب النصارى والمشركين ؛ وفيه نعمته عليهم ، حيث أنزل على رجل منهم.

الثالثة : أنه أنزله معتدلاً لا اعوجاج فيه ؛ ففيه معنى قوله : (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض) [المؤمنون : ٧١] الرابعة : أن الأعداء والمشبهين ، لا يجدون فيه مغمزاً ، بل ليس فيه إلا ما يكسرهم.

وقوله : (لينذر بأساً شديداً من لدنه) [الكهف : ٢] ذكر الفائدة في إنزاله ، فذكر ثلاثاً ، الأولى : لينذر عذاب الله ، فيصير سبباً للسلامة منه ؛ الثانية : بشارة من انقاد له بالحظ المذكور ؛ الثالثة : الإنذار عن الكلمة العظمى ، التي تفوه بها من تفوه ، تقرباً إلى الله بتعظيم الصالحين.

الرابعة : الدليل على أن كلامهم لم يصدر عن علم ،

لا منهم ولا ممن قبلهم ؛ الخامسة : تعظيم الكلمة ، كما قال تعالى : (تكاد السموات يتفطرن منه) [مريم : ٩٠] ، السادسة : أن الكذب يسمى كذباً ، ويسمى صاحبه كاذباً ، ولو ظن أنه صادق ، ويصير من أكبر الكذابين المفترين.

وقوله : (فلعلك باخع نفسك على آثارهم) [الكهف : ٦] أي : قاتلها أسفاً على هلكتهم ، ففيه ما عليه رسول الله ﷺ من الشفقة عليهم ، وتسلية الله سبحانه له.

وقوله : (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها) فيه مسائل ، الأولى : التسلية للمؤمن عمن أدبر ؛ الثانية : أن حكمة الله التزيين ، ليبين الأحسن عملاً من غيره ؛ الثالثة : أن جميعها يصير (صعيداً جرزاً) [الكهف : ٧ ، ٨] أي : لا نبت فيه.

وقوله : (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً) [الكهف : ٩] يعني : أن قصتهم مع كونها عجيبة ، فيها مسائل جليلة ، أعظمها : الدلالة على التوحيد ، وبطلان الشرك ؛ والدلالة على نبوته ﷺ ومن قبله ؛ والدلالة على اليوم الآخر.

ففي الآيات المشاهدة من خلق السماوات والأرض ، وغير ذلك مما هو أعجب وأدل على المراد من قصتهم ، مع إعراضهم عن ذلك ، فأما دلالتها على التوحيد ، وبطلان الشرك ، فواضح ، وأما دلالتها على النبوات فكذلك ، كما جعلها أحبار يهود آية لنبوته.

وأما دلالتها على اليوم الآخر ، فمن طول مكثهم لم يتغيروا ، كما قال تعالى : (وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها) [الكهف : ٢١].

وقوله : (إذ أوى الفتية إلى الكهف) الآية [الكهف : ١٠] فيه مسائل ، الأولى : كونهم فعلوا ذلك عند الفتنة ، وهذا هو الصواب عند وقوع الفتن ، الفرار منها ؛ الثانية ، قولهم : (ربنا آتنا من لدنك رحمة) أي : من عندك ، لا نحصلها بأعمالنا ، ولا بحيلنا.

الثالثة ، قولهم : (وهيء لنا من أمرنا رشداً) طلبوا من الله أن يجعل لهم من ذلك العمل رشداً ، مع كونه عملاً صالحاً ، فما أكثر ما يقصر الإنسان فيه ، أو يرجع على عقبيه ، أو يثمر له العجب والكبر ؛ وفي الحديث : « وما قضيت لي من قضاء فاجعل عاقبته رشداً ».

وقوله تعالى : (نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) إلى قوله : (من أمركم مرفقاً) [الكهف : ١٣ ـ ١٦] فيه مسائل ، الأولى : من آيات النبوة ، وإليه الإشارة بقوله : (بالحق) الثانية : (أنهم فتية) وهم الشبان ، وهم أقبل للحق من الشيوخ ، عكس ما يظن الأكثر.

الثالثة : قوله : (آمنوا بربهم) فلم يسبقوا إلا بالإيمان بالله ؛ الرابعة : ما في الإضافة إلى ربهم من تقرير التوحيد ؛ الخامسة ، في قوله : (وزدناهم هدى) أن من ثواب

الحسنة ، الحسنة بعدها ، ومن عمل بما يعلم ، أورثه الله تعالى علم ما لم يعلم ؛ السادسة : أن المؤمن أحوج شيء إلى أن يربط الله على قلبه ولولا ذلك الربط افتتنوا.

السابعة ، قولهم : (ربنا رب السموات والأرض) فهذه الربوبية ، هي الألوهية ؛ الثامنة : المسألة الكبرى ، أن من ذبح لغير الله ، أو دعا غيره ، فقد كذب بقول : لا إله إلا الله ، وقد دعا إلٰهين اثنين ، واتخذ ربّين.

التاسعة : المسألة العظيمة ، المشكلة على أكثر الناس ، أنه إذا وافقهم بلسانه ، مع كونه مؤمناً حقاً ، كارهاً لموافقتهم ، فقد كذب في قوله لا إله إلا الله ، واتخذ إلٰهين اثنين ؛ وما أكثر الجهل بهذه ، والتي قبلها ؟ العاشرة : أن ذلك لو يصدر منهم ، أعني : موافقة الحاكم فيما أراد من ظاهرهم ، مع كراهتهم لذلك ، فهو قوله : (شططا) والشطط الكفر.

الحادية عشر ، قوله : (لولا يأتون عليهم بسلطان بيّن) فهذه المسألة مفتاح العلم ، وما أكبر فائدتها لمن فهمها ؛ الثانية عشر ، قوله : (فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً) ففيه : أن مثل هذا من افتراء الكذب على الله ، وأنه أعظم أنواع الظلم ، ولو كان صاحبه لا يدري ، بل قصد رضا الله.

الثالثة عشر ، قوله : (وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله) فيه اعتزال أهل الشرك ، واعتزال معبوديهم ، وأن ذلك لا يجرك إلى ترك ما معهم من الحق ، كما قال تعالى :

(ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا) [المائدة : ٨] .

الرابعة عشر ، قوله : (فَأْوُوْا إلى الكهف) فيه شدة صلابتهم في دينهم ، حيث عزموا على ترك الرياسة العظيمة ، والنعمة العظيمة ، واستبدلوا بها كهفاً في رأس جبل ؛ الخامسة عشر : حسن ظنهم بالله ، ومعرفتهم ثمرة الطاعة ، ولو كان مباديها ذهاب الدنيا ، حيث قالوا : (ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيىء لكم من أمركم مرفقاً) .

السادسة عشر : الدليل على الكلام المشهور ، أن التعب يثمر الراحة ، والراحة تثمر التعب ؛ السابعة عشر : عدم الاغترار بصورة العمل الصالح ، فرب عمل صالح في الظاهر ، لا يثمر خيراً ؛ أو عمل صالح يهيىء لصاحبه مرفقاً .

وقوله تعالى : (وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم) [الآيتين : ١٩ ، ٢٠] فيه مسائل ، الأولى : كما أماتهم لحكمة ، بعثهم لحكمة ؛ الثانية : أن الصواب في المسائل المشكلة ، عدم الجزم بشيء ، بل قول الله أعلم ، فالجهل بها هو العلم ؛ الثالثة : التورع في المأكل ، الرابعة : كتمان السر .

الخامسة : المسألة العظيمة ، وهي قوله : (إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذاً أبداً) عرفوا أنه لا بد من أحد الأمرين ؛ إما الرجم ، وإما الإعادة في الملة ، فإن وافقوا على الثانية لم يفلحوا أبداً ؛ ولو كان في قلوبهم محبة الدين وبغض الكفر .

وقوله تعالى : (وكذلك أعثرنا عليهم)الآية [الكهف : ٢١] فيه مسائل ، الأولى : أن الإعثار عليهم لحكمة ؛ الثانية : معرفة المؤمن إذا أعثر عليه (أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها) كما رد سبحانه موسى إلى أمه ، لتعلم أن وعد الله حق ، فتأمل هذا العلم ما هو .

الثالثة : أن الساعة آتية لا ريب فيها لما وقع بينهم النزاع ؛ وذلك أن بعض الناس يزعم أن البعث للأرواح خاصة ، فأعثر عليهم ليكون دليلاً على بعث الأجساد ؛ الرابعة : أن الذين غلبوا على أمرهم ، قالوا لنتخذن عليهم مسجداً .

فإذا تأملت ما قالوا ، وأن الذي حملهم عليه محبة الصالحين ، ثم ذكرت قوله ﷺ : « أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح ، أو العبد الصالح ، بنوا على قبره مسجداً ، وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » عرفت الأمر .

وقوله : (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم) الآية [الكهف : ٢٢] فيه مسائل ، الأولى : الإخبار بالغيب ؛ الثانية : بيان الجهل والباطل بالتناقض ؛ الثالثة : الإنكار على المتكلم بلا علم ؛ الرابعة : إسناد الأمر في هذه المسائل إلى علم الله سبحانه .

الخامسة : الرد على أهل الباطل بالإسناد إليه ؛ السادسة : أن من العلماء من يعرف عدتهم لكنهم قليل ؛

السابعة : النهي عن المراء في شأنهم ؛ الثامنة : الاستثناء ، التاسعة : النهي عن استفتاء أحد من هؤلاء فيهم.

وقوله : (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً ، إلا أن يشاء الله) [الكهف : ٢٣ ، ٢٤] فيه مسائل ، الأولى : النهي عن مثل هذا الكلام ؛ الثانية : الرخصة مع الاستثناء ؛ الثالثة : الأمر بذكر الله عند النسيان ؛ الرابعة : أن الاستثناء يقع في مثل هذا ؛ الخامسة : هذا الدعاء عند النسيان ، إن صح التفسير بذلك.

وقوله : (ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين) إلى آخر الكلام [الكهف : ٢٥ ــ ٢٩] فيه مسائل ، الأولى : النص على مدة لبثهم ؛ الثانية : الرد على المخالف ، بقوله : (الله أعلم بما لبثوا) ؛ الثالثة : الرد عليه ، بقوله : (له غيب السموات والأرض) ؛ الرابعة : الرد عليه ، بقوله : (أبصر به وأسمع) ؛ الخامسة ، قوله : (ما لهم من دونه من ولي) ؛ السادسة ، كونه : (لا يشرك في حكمه أحداً) ؛ السابعة : النهي عن إشراك مخلوق في حكم الله ، على قراءة الجزم.

الثامنة : الحث على تلاوة الوحي ، وإن عارضه شبهة أو شهوة ؛ التاسعة : تقريره ذلك ، بقوله : (لا مبدل لكلماته) ؛ العاشرة : تقرير ذلك ، بقوله : (ولن تجد من دونه ملتحداً) ؛ الحادية عشر : الكبيرة ، وهي أمره نبيه : أن يصبر نفسه مع من ذكر ؛ الثانية عشر : أنه لا يضر المؤمن كراهة نفسه لذلك إذا جاهدها.

الثالثة عشر : أن بلوغهم هذه المرتبة ، بسبب فعلهم ما ذكر ؛ الرابعة عشر : أن صلاة البردين بالإخلاص ، توصل إلى المراتب العالية ؛ الخامسة عشر ، فيه قوله : « رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له ، لو أقسم على الله لأبره » السادسة عشر : النهي عن طلوع العين عنهم ، إرادة لمجالسة الأجلاء.

السابعة عشر : المسألة الكبرى ، وهي : اختلاف أمر الدنيا والآخرة عند الله ؛ الثامنة عشر : أنه لما ذكر المحثوث على مجالستهم ، ذكر ضدهم ؛ التاسعة عشر : نهيه عن طاعة الضد ؛ العشرون : سبب ذلك.

الحادية والعشرون : ذكر الخصال الثلاث ، إغفال القلب عن ذكر الله ، واتباع الهوى ، وانفراط الأمر ؛ الثانية والعشرون : إثبات القدر ، وهو الإغفال ؛ الثالثة والعشرون : لا يخرجه من الذم : أن قلبه يفهم غير ذلك فهماً جيداً.

الرابعة والعشرون ، قوله : (وقل الحق من ربكم) الآية.

وقال في قوله : (ولا يظلم ربك أحداً) [الكهف : ٤٩] تنزيهه عن الفقر والحاجة ، والجهل والخساسة ، ولكونه الغني القوي ؛ الثانية : كونه سبحانه هو الحكيم لنزاهته عن الجهل والنقص ، ولكونه القدوس السلام.

وفي قصة موسى والخضر عليهما السلام ، مسائل.

فالأولى : ما يتعلق بجلال الله وعظمته ، وفيه مسائل ،

الأولى : معرفة سعة العلم ، لقوله : « ما نقص علمي وعلمك » وهذا من أعظم ما سمعنا من عظمة الله ؛ الثانية : الأدب مع الله ، لقوله : « فعتب الله عليه ».

الثالثة : الأدب معه أيضاً في قوله : (فأردت أن أعيبها) ؛ وقوله : (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما) ؛ الرابعة : معرفة أنواع سعة جود الله تعالى ، ومن ذلك العلم اللدني ؛ الخامسة : الأدب معه تعالى ، بمعرفة أن له أسراراً في خلقه ، تخفى على الأنبياء ، فلا ينبغي الغفلة عن هذه المهمة.

السادسة : الأدب معه في تعليق الوعد بمشيئة الله ، مع العزم ؛ السابعة : معرفة شيء من عظيم قدرة الله ، من إحياء الموتى ، وجعله سبيل الحوت في الماء طريقاً ، وغير ذلك ؛ ومعرفة هذه مع الأولى ، هما اللتان خلق العالم العلوي والسفلي ، لأجل معرفتنا بهما.

الثاني : ما يتعلق في أحوال الأنبياء ، وفيه مسائل ، الأولى : أن النبي يجوز عليه الخطأ ؛ الثانية : أنه يجوز عليه النسيان ؛ الثالثة : فضيلة نبينا ﷺ بعموم الرسالة ، لقوله : « موسى بني إسرائيل » ؛ الرابعة : ما جبل عليه موسى عليه السلام ، من الشدة في أمر الله.

الخامسة : أنه لا ينكر إصابة الشيطان للأنبياء ، بما لا يقدح في النبوة ، لقوله : (نسيا حوتهما) مع قوله : (وما أنسانيه إلا الشيطان) ؛ السادسة : ما عليه الإنسان من البشرية ، ولو كان نبياً ، وذلك من أدلة التوحيد ، وذلك من

وجوه ، منها قوله : (فاستطعما أهلها).

الثالث : مسائل الأصول ، وفيه مسائل ، أعظمها التوحيد ، ولكن سبق آنفاً ، فنقول : الأولى الدليل على اليوم الآخر ، لأن من أعظم الدلالة : إحياء الموتى في دار الدنيا ؛ الثانية : إثبات كرامات الأولياء ، على القول بعدم نبوة الخضر.

الثالثة : أنه قد يكون عند غير النبي من العلم ، ما ليس عند النبي ؛ الرابعة : إذا احتمل اللفظ معاني ، فأظهرها أولاها ، كما قال الشافعي ؛ الخامسة : إثبات الصفات ، كما هو مذهب السلف.

الرابع : ما فيها من التفسير ؛ الأولى : أن المذكور هو الخضر ، لا كما قال الحر بن قيس.

الثانية : أن موسى هو المشهور عليه السلام ، خلافاً لنوف[1] ؛ الثالثة : أن النبي ﷺ فسر لهم ألفاظ القرآن كما بلغها ؛ الرابعة ، أن قوله : (ألم أقل لك) أبلغ من قوله : (ألم أقل).

الخامسة ، أن قوله : (يأخذ كل سفينة غصباً) المراد سفينة سالمة من العيب ؛ السادسة : أن غداهما هو الحوت ؛ السابعة ، أن قوله : (عجباً) أي : لموسى وفتاه ؛ الثامنة :

---

(١) ابن فضالة البكالى.

أنه لا يجوز تفسير القرآن بما يؤخذ من الإسرائيليات ، وإن وقع فيه من وقع.

التاسعة : أن السلف يشددون في ذلك تشديداً عظيماً ، لقوله كذب عدو الله ؛ العاشرة : أن الوعد على العمل الصالح ، ليس مختصاً بالآخرة ؛ بل يدخل فيه أمور الدنيا ، حتى في الذرية بعد موت العامل.

الخامس : آداب العالم والمتعلم ، ففيه مسائل ؛ الأولى : تسمية التلميذ الخادم فتى ؛ الثانية : أن تلك الخدمة مما يرفع الله بها ، كما رفع يوشع ؛ الثالثة : تعلم العالم ممن دونه ؛ الرابعة : اتخاذ ذلك نعمة يبادر إليها ، لا نقمة يبغضها ؛ الخامسة : التعلم بعد الرياسة ؛ السادسة : الرحلة في طلب العلم ؛ السابعة : رحلة الفاضل إلى المفضول ؛ الثامنة : ركوب البحر لطلب العلم.

التاسعة : شروط الشيخ على المتعلم ؛ العاشرة : التزام المتعلم للشروط ؛ الحادية عشر : الاعتذار بالنسيان ؛ الثانية عشر : قبول الاعتذار ؛ الثالثة عشر : أدب المتعلم ، لقوله : (هل أتبعك) إلى آخره ؛ الرابعة عشر : قبول نصيحة الشيخ ، لعلمه منك ما لا تعلمه من نفسك ، وإن كنت أفضل منه.

الخامسة عشر : أن من المسائل ما لا يجوز السؤال عنه ؛ السادسة عشر : أن من المسائل ما لا ينبغي للمسؤول أن يجيب عنها ؛ السابعة عشر : إعفاء المعلم مما يكره ؛ الثامنة

عشر : مفارقة المتعلم إذا خالف الشرط ؛ التاسعة عشر : احتمال المشاق في طلب العلم ، لقوله : (لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً).

السادس : ما فيها من مسائل الفقه ؛ فالأولى : عمل الإنسان في مال الغير بغير إذنه ، إذا خاف عليه الهلاك ؛ الثانية : ليس من شروط الجواز خوف الهلاك ؛ بل قد يجوز للإصلاح ، لقصة الجدار ؛ الثالثة : أنه ليس من شروط المسكين في الزكاة أنه لا مال له.

الرابعة : أنه استدل بها على أنه أحسن حالاً من الفقير ؛ الخامسة : أنه لا بأس بالسؤال في بعض الأحوال ؛ لقوله : (استطعما أهلها) ؛ السادسة : أن من لم يعط يتعز بهذه القصة ، وكم ممن هان على الناس ، وهو جليل عند الله ؛ وقد قيل:

فإن رددت فما في الرد منقصة عليك قد رد موسى قبل والخضر

السابعة : أن الإجازة تجوز بغير بعض الشروط ، التي شرط بعض الفقهاء ، الثامنة : أنه يجوز أخذ الأجرة على العمل الذي لا يكلف ، خلاف ما توهمه بعضهم ؛ التاسعة : الترحم على الأنبياء ، وأنه لا ينقص من قدرهم ، بل هو من السنة.

العاشرة : أن تمني العلم ليس من التمني المذموم ؛ الحادية عشر : أن السلام ليس من خصائص هذه الأمة ؛ الثانية عشر : كيف الجواب إذا سئل أي الناس أعلم ؛ الثالثة عشر :

خطأ من قال بخلو الأرض من مجتهد ؛ الرابعة عشر : التعزي باختيار الله ، وحسن الظن فيما تكره النفوس.

الخامسة عشر : الخوف من مكر الله عند النعم ؛ السادسة عشر : أن قوله : (لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً) لا يعد من الشكوى ؛ السابعة عشر : الفرق بين المسألة المأمور بها والمنهي عنها ؛ وإن كان معذوراً بل مأجوراً.

الثامنة عشر : سفر الاثنين من غير ثالث للحاجة ؛ التاسعة عشر : أن الخضر معروف عندهم في ذلك الزمان ، لقوله : لما عرفوه حملوه بغير نول[1]. العشرون : أن احتمال المنة في مثل هذا لا بأس به ؛ الحادية والعشرون : شكره نعمة الخلق.

السابع : المنثور ، والجامع ؛ الأولى : القصة بجملتها من أعجب ما سمع ؛ ولا يعرف في نوعها مثلها ؛ الثانية : عين الحياة ومالله من الأسرار في بعض المخلوقات ؛ الثالثة : ما ابتلى به موسى عليه السلام ، مما لا يحتمل مع وعده الصبر ، وتعليقه بالمشيئة.

الرابعة : نسيان الفتى الحوت في ذلك اليوم وتلك الليلة وبعض اليوم الثاني ، مع أنه لم يكلف إلا ذلك ، ومع أنه زادهما يحمل على الظهر ؛ الخامسة : الآية العظيمة في الماء

---

(١) النول : جعل السفينة وثمن ركوبها.

لما صار طاقا[1] ، حتى قيل : إن هذا لم يقع إلا له منذ خلقت الدنيا.

السادسة : أن الشيطان يتسلط تسلطاً لا يعرف ، لكونه تسلط على يوشع بالنسيان العجيب ؛ السابعة : الفرق بين العبودية الخاصة والعبودية العامة ؛ الثامنة : الرد على منكري الأسباب ، لأنه سبحانه قادر على إنجاء السفينة ، وتثبيت أبوي الغلام ، وإخراج أهل الكنز له بدون ما جرى.

التاسعة : الرد على من قال : إن موسى لا يجوز له السكوت عنه ، لأنه اعتذر بالنسيان ، ولأنه لا يعد من نفسه ترك واجب ؛ العاشرة : الحكم بالظاهر ، لقوله عليه السلام : (نفساً زكية) ؛ الحادية عشر : تسمية المدينة قرية ؛ الثانية عشر : أن التأويل في كلام الله وكلام العرب ، غير ما يريد المتأخرون ؛ الثالثة عشر : أن المال قد يكون رحمة وإن كان مكنوزاً.

الرابعة عشر : أن فائدة طلب العلم للرشد ؛ الخامسة عشر : نصيحة العالم المتعلم إذا أراد السؤال عن ما لا يحتمله ؛ السادسة عشر : أن ذلك الممنوع قد يكون أفضل ممن يعرف ذلك ؛ السابعة عشر : أن الكلام قد يقتصر فيه على المتبوع ، لقوله : (فانطلقا) كما في قوله : (اهبطوا منها جميعاً) ، [البقرة : ٣٨].

---

(١) أي : حين انجاب الماء ، فصار طاقة مفتوحة . . . إلخ انظر صفحة : ١٦٨ / ج / ١ من فتح الباري.

وقوله عز وجل : (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليَّ أنما إلٰهكم إله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) [الكهف : ١١٠] فيها خمس مسائل الأولى : كون الله فرض على نبيه أن يخبرنا عن نفسه الخبر الذي تصديقه : (ليس لك من الأمر شيء) [آل عمران : ١٢٨].

الثانية : فرض عليه إخبارنا بتوحيد الألوهية ، وإلا فتوحيد الربوبية لم ينكره الكفار الذين كذبوه وقاتلوه ؛ الثالثة تعظيمه بقوله : (فمن كان يرجو لقاء ربه) كما تقول لمن خالفك : كلامي مع من يدعي أنه من أمة محمد ﷺ.

الرابعة : أن من شروط الإيمان بالله واليوم الآخر ، أن لا يشرك بعبادة ربه أحداً ، ففيه التصريح بأن الشرك في العبادة ليس في الربوبية ، وفيه الرد على من قال : أولئك يستشفعون بالأصنام ، ونحن نستشفع بالصالحين ، لأنه قال : (ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) فليس بعد هذا بيان ؛ وافتتح الآية بذكره ، براءة للنبي ﷺ الذي هو أقرب الخلق إلى الله وسيلة ، وختمها بقوله : (أحداً).

اعلم رحمك الله : أنه لا يعرف هذه الآية المعرفة التي تنفعه ، إلا من يميز بين توحيد الربوبية ، وبين توحيد الألوهية تمييزاً تاماً ؛ وأيضاً : يعرف ما عليه غالب الناس ، إما طواغيت ينازعون الله في توحيد الربوبية ، الذي لم يصل شرك المشركين إليه ، وإما مصدق لهم تابع لهم ، وإما رجل شاك

لا يدري ما أنزل الله على رسوله ﷺ ، ولا يميز بين دين الرسول ودين النصارى ؛ والله أعلم.

سورة طه

سئل رحمه الله ، عن معنى هذه الآية : (قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً) [طه : ١٢٥].

فأجاب : اعلم رحمك الله أن الله سبحانه عالم بكل شيء ، يعلم ما يقع على خلقه ؛ وأنزل هذا الكتاب المبارك ، الذي جعله تبياناً لكل شيء ، وتفصيلاً لكل شيء ، وجعله هدى لأهل القرن الثاني عشر ومن بعدهم ، كما جعله هدى لأهل القرن الأول ومن بعدهم.

ومن أعظم البيان الذي فيه : بيان جواب الحجج الصحيحة ، والجواب عما يعارضها ، وبيان الحجج الفاسدة ، ونفيها ، فلا إله إلا الله : ماذا حرمه المعرضون عن كتاب الله من الهدى والعلم ؟ ! ولكن لا معطى لما منع الله.

وهذه التي سُئِلتُ عنها ، فيها : بيان بطلان شبه يحتج بها بعض أهل النفاق والريب في زماننا ؛ وهذا في قضيتنا هذه ؛ وبيان ذلك : أن هذه في آخر قصة آدم وإبليس ، وفيها من العبر والفوائد العظيمة لذريتهما ما يجل عن الوصف.

فمن ذلك : أن الله أمر إبليس بالسجود لآدم ، ولو فعل لكان فيه طاعة لربه وشرف له ؛ ولكن سولت له نفسه : أن

ذلك نقص في حقه إذا خضع لواحد دونه في السن ، ودونه في الأصل على زعمه ، فلم يطع الأمر ، واحتج على فعله بحجة ؛ وهي : أن الله خلقه من أصل خير من أصل آدم ، ولا ينبغي أن الشريف يخضع لمن دونه ، بل العكس.

فعارض النص الصريح بفعل الله الذي هو الخلق ، فكان في هذا عبرة عظيمة لمن رد شيئاً من أمر الله ورسوله ، واحتج بما لا يجدي ، فلما فعل لم يعذره الله بهذا التأويل ؛ بل طرده ورفع آدم وأسكنه الجنة.

وكان مع عدو الله من الحذق والفطنة ودقة المعرفة ما يجل عن الوصف ، فتحيل على آدم حتى ترك شيئاً من أمر الله ، وذلك بالأكل من الشجرة ؛ واحتج لآدم بحجج ، فلما أكل لم يعذره الله بتلك الحجج ، بل أهبطه إلى الأرض ، وأجلاه عن وطنه.

ثم قال : (اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى) [طه : ١٢٣] يقول تعالى : لما أجليتكم عن وطنكم ، فإن بعد هذا الكلام ، وهو أني مرسل إليكم هدى من عندي ، لا أكلكم إلى رأيكم ، ولا رأى علمائكم ، بل أنزل ربكم العلم الواضح ، الذي يبين الحق من الباطل ؛ والصحيح من الفاسد والنافع من الضار (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) [النساء : ١٦٥] ومعلوم : أن الهدى هو هذا القرآن.

فمن زعم : أن القرآن لا يقدر على الهدى منه ، إلا من

بلغ رتبة الاجتهاد ، فقد كذب الله في خبره أنه هدى ، فإنه على هذا القول الباطل ، لا يكون هدى إلا في حق واحد من الآلاف المؤلفة . وأما أكثر الناس فليس هدى في حقهم ، بل الهدى في حقهم : أن كل فرقة تتبع ما وجدت عليه الآباء ، فما أبطل هذا من قول ، وكيف يصح لمن يدعي الإسلام : أن يظن في الله وكتابه هذا الظن ؟ ! .

ولما عرف الله سبحانه : أن هذه الأمة سيجري عليها ما جرى على من قبلها ، من اختلافهم على أكثر من سبعين فرقة ، وأن الفرق كلها تترك هدى الله إلا فرقة واحدة ، وأن الفرق كلها يقرون بأن كتاب الله هو الحق ، لكن يعتذرون بالعجز ، وأنهم لو يتعلمون كتاب الله ويعملون به ، لم يفهموه لغموضه ، قال : (فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) [طه : ١٢٣] وهذا تكذيب لهؤلاء الذين ظنوا في القرآن ظن السوء ؛ قال ابن عباس : تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ، أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة.

وبيان هذا : أن هؤلاء يزعمون أنهم لو تركوا طريقة الآباء ، واقتصروا على الوحي ، لم يهتدوا ، بسبب أنهم لا يفهمون ، كما قالوا : (قلوبنا غلف) فرد الله عليهم بقوله : (بل لعنهم الله بكفرهم) [البقرة : ٨٨] فضمن لمن اتبع القرآن أنه لا يضل ، كما يضل من اتبع الرأي ، فتجدهم في المسألة الواحدة ، يحكون سبعة أقوال أو ستة ، ليس منها قول

صحيح ، والذي ذكر الله في كتابه في تلك المسألة بعينها لا يعرفونه.

والحاصل ، أنهم يقولون : لم نترك القرآن إلا خوفاً من الخطأ ، ولم نقبل على ما نحن فيه إلا للعصمة ، فعكس الله كلامهم ، وبين أن العصمة في اتباع القرآن إلى يوم القيامة ؛ وأما قوله تعالى : (ولا يشقى) فهم يزعمون أن الله يرضى بفعلهم ويثيبهم عليه في الآخرة ، ولو تركوه واتبعوا القرآن لغلطوا وعوقبوا ؛ فذكر الله : أن من اتبع القرآن أمن من المحذور ، الذي هو الخطأ عن الطريق ، وهو الضلال ، وأمن من عاقبته ، وهو الشقاء في الآخرة.

ثم ذكر الفريق الآخر الذي أعرض عن القرآن ، فقال : (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً) [طه : ١٢٤] وذكْرُ اللّه هو القرآن الذي بين الله فيه لخلقه ما يحب ويكره ، كمَا قالَ تعالى : (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين) الآيتين [الزخرف : ٣٦ ، ٣٧].

فذكر الله لمن أعرض عن القرآن ، وأراد الفقه من غيره عقوبتين ؛ أحدهما : المعيشة الضنك ؛ وفسرها السلف بنوعين ؛ الأول : ضنك الدنيا ؛ وهو : أنه إن كان غنياً سلط الله عليه خوف الفقر ، وتعب القلب والبدن في جمع الدنيا ، حتى يأتيه الموت ولم يتهن بعيش ؛ والثاني : الضنك في البرزخ وعذاب القبر.

وفسر الضنك في الدنيا أيضاً بالجهل ؛ فإن الشك

والحيرة لها من القلق وضيق الصدر مالها ؛ فصار في هذا مصداق قوله في الحديث عن القرآن : « من ابتغى الهدى من غيره أضله الله » عاقبهم بضد قصدهم.

فإنهم قصدوا معرفة الفقه ، فجازاهم بأن أضلهم ؛ وكدر عليهم معيشتهم بعذاب قلوبهم بخوف الفقر ، وقلة غناء أنفسهم ؛ وعذاب أبدانهم : بأن سلط عليهم الظلمة والغبرة ؛ وأغرى بينهم العداوة والبغضاء ، فإن أعظم الناس تعادياً ، هؤلاء الذين ينتسبون إلى المعرفة.

ثم قال : (ونحشره يوم القيامة أعمى) والعمى ، نوعان : عمى القلب ، وعمى البصر ؛ فهذا المعرض عن القرآن ، لما عميت بصيرته في الدنيا عن القرآن ، جازاه الله بأن حشره يوم القيامة أعمى.

قال بعض السلف : أعمى عن الحجة ، لا يقدر على المجادلة بالباطل ، كما كان يصنع في الدنيا (قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً) فذكر الله أنه يقال له : هذا بسبب إعراضك عن القرآن في الدنيا ، وطلبك العلم من غيره.

قال ابن كثير في الآية : (ومن أعرض عن ذكري) أي : خالف أمري ، وما أنزلته على رسولي ، أعرض عنه وتناساه ؛ وأخذ من غيره هداه (فإن له معيشة ضنكاً) أي : في الدنيا ، فلا طمأنينة له ولا انشراح ولا تنعم ؛ ظاهره : أن قوماً أعرضوا عن الحق ، وكانوا في سعة من الدنيا ، فكانت معيشتهم ضنكاً ، وذلك : أنهم كانوا يرون أن الله ليس مخلفاً

لهم معاشهم ، مع سوء ظنهم بالله ؛ ثم ذكر كلاماً طويلاً ، وذكر ما ذكرته من أنواع الضنك ، والله أعلم.

قال الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ، رحمهم الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

من إبراهيم بن عبد اللطيف ، إلى الأخ المحب الشيخ : عبد الله بن على آل جريس ، سلمه الله تعالى ، وجعله من الدعوة إليه وحسن البيان بمقام ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد : فأحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ـ وهو للحمد أهل ، وهو على كل شيء قدير ـ على ما أولاه من سوابغ نعمائه ، وجزيل فضله وعطائه ؛ والخط وصل ، وصلك الله بالرضا والكرامة ، وسلك بنا وبك سبل البر والاستقامة ، وجعلنا وإياك ممن صدق في رضاه بالله رباً ، وذاق طعم الإيمان بذلك ، ووجده لديه عذباً.

واعلم وفقك الله : أنك في زمان كثر شوكه ، وقل ثمره ، وأفلت شمس الحق فيه ، وكسف قمره ، وغلب على الأكثر الجهل بالحقائق الإيمانية ، والأصول الإسلامية ، وبعد العهد بآثار النبوة والرسالة ، واندرست معالم العلم ، وتكلم الجاهل بمحض الجهالة ، واستصوب أكثر المنتسبين ما ذهب إليه وقاله ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وحينئذ يبكي الإسلام ،

من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وأوصيك بتقوى الله ، والتماس ما يقرب إليه ، والتمسك بالأثر عند فساد الزمان ، والعض بالنواجذ عليه ، وإن رغب عنه الأكثرون وهجره الأحقرون.

وما ذكرت مما كتبه البعض ، قولة عظيمة ، وزلة وخيمة ، لا تصدر من ذي فطرة سليمة ؛ بل لا تصدر ممن عرف الله تعالى ، وعرف ما تفرد به من الربوبية ، والملك والتدبير ؛ وما تنزه به وتقدس من أن يحتاج إلى عوين وظهير ، قال تعالى : (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير) [سبأ : ٢٢] وكلام المفسرين على هذه الآية ، لا يخفى على من له أدنى إلمام بطلب العلم ؛ وتكلم عليها تقي الدين بما فيه كفاية.

والغرض التنبيه على المتكلم في التعبير ، وإلا ففساد هذا وقبحه ، من أظهر شيء في الوجود ، وعوام المسلمين بحمد الله يعلمون بطلان ذلك ، بمجرد الفطرة ، فضلاً عن ذوي العلم والفكرة ؛ وكذلك أهل الشرك معترفون بذلك.

وأما ما ذكرت من قوله في المذاكرة : أشرك رسول الله ﷺ ، وأنك أنكرت عليه نسبة ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فأصبت وأحسنت ، لأن ذلك جهل عظيم ومقال ذميم ، وإضافة مثل هذا إلى رسول الله ﷺ ، لا يقول به

مسلم يعقل ما يقول ، فإن رسول الله ﷺ أجل وأعظم ، من أن يشرك بربه تعالى وتقدس.

وإنما ذلك إلقاء من الشيطان على لسانه في نفس التلاوة ولم يعلم بذلك رسول الله ﷺ ، حتى أمسى وأتاه جبريل ، فقال يا محمد : ما صنعت ؟ لقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله عز وجل ، فحزن رسول الله ﷺ حزناً شديداً ، وخاف من الله خوفاً عظيماً.

فأنزل الله عليه آية الحج [٥٢] تعزية له وتسلية ، وكان به رحيماً ، فأخبره جل وعلا : أن هذا ليس خاصاً به ، بل كل رسول ونبي قبله (إذا تمنى) أي : حدث وتلا (ألقى الشيطان في أمنيته) أي : في تلاوته ؛ فذهب عن رسول الله ﷺ ما وجده من الخوف والحزن ، هذا ملخص ما ذكره أهل التفسير.

ولم يقل أحد منهم : أشرك رسول الله ، وذلك لكمال معرفتهم ، وعظيم علمهم ؛ ومن عدم العلم والخشية ، وتكلم بجهل وظلم ، فجنايته على الإسلام كبيرة ، وفي مثل هؤلاء ، قال قتادة : والله ما آسى عليهم ، ولكن آسى على من أهلكوا.

وبالجملة : فالمتكلم بهذا يحمل على الجهل ، فينبغي أن يعرف بخطئه ، ويبين له برفق ولين ، فإن رجع وأقر ، فهو المطلوب ، والحق ضالة المسلم أينما وجده تبعه ، وإن أبى إلا المكابرة والتعصب لصحة ما قاله والمثابرة.

فيجب حينئذ على من عنده علم : أن يقوم لله تعالى ،

ويذكر بآياته ، ويتكلم بحججه وبيناته (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة) ولولا ما علم من تفصيل الحكم في المخطىء والجاهل ، لكان لنا شأن ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

[ومن سورة المؤمنون]

قال الشيخ : محمد رحمه الله تعالى ، قوله عز وجل : (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً) الآيات [المؤمنون : ٥١ ــ ٥٣].

فيه مسائل ؛ الأولى : أن الله أمر الرسل بهذا مع اختلاف أزمنتهم وأمكنتهم ، فيدل على أنه من عظيم الأمور ؛ الثانية : أن الرسل إذا أمروا بذلك ، فغيرهم أولى بالحاجة إلى ذلك ، فأفاد أن هذا يحتاج إليه أعلم الناس حاجة شديدة.

الثالثة : إذا فرض هذا على الرسل ، مع اختلاف الأزمنة والأمكنة ، فكيف بأمة واحدة ، نبيها واحد ، وكتابها واحد ؛ الرابعة : أن الخطاب للرسل عام للأمم ، بدليل قوله : (فتقطعوا أمرهم) الخامسة : الأمر بالأكل من الطيبات ، ففيه رد على الغلاة الذين يمتنعون عنها ، وفيه رد على الجفاة الذين لا يقتصرون عليها.

السادسة : الأمر بإصلاح العمل مع الأكل من الطيبات ، ففيه رد على ثلاث طوائف ؛ أولهم : الآكلون من الطيبات بلا شكر ، والشكر هو العمل المرضي ؛ وثانيهم : من يعمل

العمل غير الخالص ، مثل المرائي وقاصد الدنيا ؛ وثالثهم : الذي يعمل مخلصاً ، لكنه على غير الأمر.

السابعة : المسألة العظيمة ، التي سيق الكلام لأجلها ؛ وهي : فرض الاجتماع في المذهب ، وتحريم الافتراق ، فإذا فرضه على الأنبياء مع اختلاف الأزمنة والأمكنة ، فكيف بأمة واحدة ، ونبيها واحد ، وكتابها واحد؟

الثامنة : ذكره سبحانه فعلهم الذي صدر منهم ، بعد ما عرفوا الوصية العظيمة بالاجتماع ، والنهي عن الافتراق ، وأنهم تقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون ، فذكر أنهم قابلوا الوصية بعدما سمعوها بما يضادها غاية المضادة ؛ وهو : أنهم تركوا الاجتماع وتفرقوا ، ثم بعد ذلك كل فرقة صنفت لها كتباً غير كتب الآخرين ، ثم كل فرقة فرحت بما تركت من الهدى ، وفرحت بما ابتدعته من الضلال ، كما قيل:

حلفت لنا أن لا تخون عهودها فكأنها حلفت لنا أن لا تفي

ومن كلامه رحمه الله ، على سورة النور: [١ ـ ٥٤].

فيه مسائل ؛ الأولى : حد الزانية ؛ الثانية : النهي عن الرأفة ؛ الثالثة ، قوله : (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) الرابعة : تحريم نكاح الزانية ؛ الخامسة : ما ذكر الله في رمي المحصنات ما لم يأتوا بالبينة ؛ السادسة : رد شهادتهم ؛ السابعة : كون الله سبحانه استثنى التوبة والإصلاح.

الثامنة : ما ذكر الله في رمي الإنسان زوجته ، وفيها من

الأحكام أنها إذا لم تلاعن ترجم ؛ التاسعة قوله : (لا تحسبوه شرّاً لكم) أن ما يبتلى به الإنسان قد يكون خيراً له.

العاشرة : أن هذه المسألة قد تشكل على أعلم الناس ، حتى يبين له ذلك ؛ كما أشكل على أبي بكر ؛ وقوله : (والذي تولى كبره . . .) إلى آخره ؛ أن الإنسان يفرح بالشيء وهو شر له ؛ الحادية عشر : حسن الظن بالمسلم إذا سمع فيه مثل هذا الكلام ؛ وأن يقول السامع : هذا إفك مبين ، ولو من تورى الإنسان.

الثانية عشر : ما ذكر الله من الشرط ، وهي من أجل المسائل : أن لا بد من أربعة شهداء ؛ الثالثة عشر : أنهم إن لم يأتوا بهذا الشرط ، أنهم عند الله هم الكاذبون ؛ الرابعة عشر : تعظيم هذا النوع ، ولو لم يكن فيه إلا التلقي بالألسن ؛ الخامسة عشر : أنه من القول بما ليس له به علم.

السادسة عشر : أن الذنب قد يكون عند الله عظيماً ، ويخفى على أكثر الناس ؛ السابعة عشر : أن الواجب عليهم ، أن يقولوا : (ما يكون لنا أن نتكلم بهذا) الثامنة عشر : أن الله عظم هذه ، وشرط فيها الإيمان ، وخفى على أولئك ؛ التاسعة عشر : أن الله توعد من أحب تشييع الفاحشة في الذين آمنوا ، وإن لم يعلموا.

العشرون : أنه توعده بعذاب الدنيا قبل الآخرة ؛ الحادية والعشرون : أنه نهى عن اتباع خطوات الشيطان ، فيدل على أن المحذور الذي وقعوا فيه ، من خطوات الشيطان ؛ الثانية

والعشرون : أن (لا يأتل) أن لا يعمل معروفاً في الظالم ، إذا كان من أهل هذه الخصال ؛ الثالثة والعشرون : الأمر بالعفو والصفح.

الرابعة والعشرون : النهي عن رمي المحصنات ، وعدها رسول الله ﷺ من السبع الموبقات ؛ الخامسة والعشرون ، قوله : (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات) الآية ، إن فسرت الخبيثات بالكلمات ، كان هذا من أعظم الخوف.

السادسة والعشرون : النهي عن دخول بيت الغير ، إلا بهذا الشرط ، وهو الإذن ؛ السابعة والعشرون : إذا كان البيت خالياً يدخل ؛ الثامنة والعشرون : إذا قيل له ارجع ، فيرجع وهو أزكى ؛ فلا يجوز له أن يغضب ، أو يظنه منقصة.

التاسعة والعشرون : الرخصة في دخول البيت ، إذا كان فيه متاع للمسافر ؛ الثلاثون الأمر بغض البصر ؛ الحادية والثلاثون : الأمر بحفظ الفرج ؛ الثانية والثلاثون : أمر النساء بغض البصر ؛ الثالثة والثلاثون : أمرهن بحفظ الفرج.

الرابعة والثلاثون : النهي عن إبداء الزينة ، إلا للأصناف المذكورة ؛ الخامسة والثلاثون : النهي عن الضرب بالأرجل ، ليسمع صوت الخلخال ؛ السادسة والثلاثون : الأمر بالتوبة ، وإن كانت عامة ، فهي في هذا الموضع خاصة.

السابعة والثلاثون : الأمر بإنكاح الأيامي ؛ الثامنة والثلاثون : الأمر بإنكاح الصالحين من العبيد والإماء ؛ التاسعة والثلاثون : الأمر بموافقة العبيد في المكاتبة ، إذا علمت فيه

خيراً ؛ الأربعون : الأمر بمعاونتهم ببعض المال ؛ الحادية والأربعون : النهي عن إكراه الفتيات على البغاء ؛ الثانية والأربعون : إخباره سبحانه أنه غفور رحيم ، من بعد إكراههن.

الثالثة والأربعون : مثل النور الذي أنزله الله في قلوب العبيد ، بهذا المثل العظيم ؛ الرابعة والأربعون ، قوله : (في بيوت أذن الله أن ترفع) تعظيماً ؛ الخامسة والأربعون : (ويذكر فيها اسمه) السادسة والأربعون ، قوله : (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) يبيعون ويشترون ، لكن إذا جاء أمر الله قدموه.

السابعة والأربعون : تمثيل أعمال الكافر بالسراب ، الذي يحسبه الظمآن ماء ؛ الثامنة والأربعون : ذكر المثل الثاني (أو كظلمات) الآية.

التاسعة والأربعون ، قولهم : (آمنا بالله وبالرسول وأطعنا) ولم يأتوا بشروطه ؛ الخمسون : ذكره أنهم إذا دعوا إلى الله ورسوله أعرضوا ، وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين ؛ الحادية والخمسون : ذكر الشرط ، في قوله : (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله) الآية.

الثانية والخمسون : ذكره النهي عن القسم ، لقوله : (قل لا تقسموا طاعة معروفة) الثالثة والخمسون : الأمر بطاعته وطاعة رسوله ، ومن تولّى فإنما على رسوله ما حمل وعليكم ما حملتم ؛ الرابعة والخمسون ، قوله : (وإن تطيعوه

تهتدوا) وذكر أن الهدى في طاعته ، إلى قوله : (وما على الرسول إلا البلاغ المبين).

[ومن سورة النمل]

قوله تعالى : (قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) [النمل : ١٨] ذكر بعضهم أنها تشتمل على عشرة أحكام ، أفيدونا أثابكم الله الجنة.

أجاب الشيخ : سليمان بن سحمان ، رحمه الله تعالى:

الحمد لله وحده ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى ، على هذه الآية ــ بعد كلام ذكره ــ : فاستفتحت خطابها بالنداء ، الذي يسمعه من خاطبته ، ثم أتت بالاسم المبهم ، ثم أتبعته بما بينه من اسم الجنس إرادة للعموم ؛ ثم أمرتهم بأن يدخلوا مساكنهم ، فيتحصنوا من العسكر ، ثم أخبرت عن سبب هذا الدخول ، وهو خشية أن يصيبهم معرة الجيش ، فيحطمهم سليمان وجنوده ، ثم اعتذرت عن نبي الله وجنوده ، بأنهم لا يشعرون بذلك ــ إلى أن قال:

ثم أمرتهم أن يدخلوا مساكنهم المختصة بهم ؛ فقد عرفت النمل : أن لكل طائفة منها مسكناً ، لا يدخل عليهم فيه سواهم ؛ ثم قالت : (لا يحطمنكم سليمان) فجمعت بين اسمه وعينه ، وعرفته بها ، وعرفت جنوده وقائدها ، ثم قالت : (وهم لا يشعرون).

فكأنها جمعت بين الاعتذار عن معرة الجيش ، بكونهم لا يشعرون ، وبين لوم أمة النمل ، حيث لم يأخذوا حذرهم ، ويدخلوا مساكنهم ، فهذه عشر جمل ، وقد ذكرها في « مفتاح دار السعادة » على التفصيل فليراجع ، والله أعلم.

قال الشيخ : محمد بن عبد الوهاب ، رحمه الله تعالى.

قال شيخ الإسلام ، رحمه الله في تفسير آيات أشكلت : ومنها قوله : (من جاء بالحسنة فله خير منها) الآية [النمل : ٨٩] ذكر أن المشهور عن السلف : أن الحسنة لا إله إلا الله ، وأن السيئة الشرك ؛ ثم ذكر عن السدي ، قال : ذلك عند الحساب ألفي بدل ؛ كل حسنة عشر سيئات ، فإن بقيت سيئة واحدة فجزاه النار ، إلا أن يغفر الله له.

قلت : تضعيف الحسنة إلى عشر ، وإلى سبعمائة ، ثابت في الصحاح ؛ وأن السيئة مثلها ؛ وأن الهم بالحسنة حسنة ، والهم بالسيئة لا يكتب ؛ فأهل القول الأول قالوه ، لأن أعمال البر داخلة في التوحيد ، فإنه عبادة لله بما أمر به ، كما قال تعالى : (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن) الآية ، [البقرة : ١٢٢].

سورة القصص

وقال أيضاً : الشيخ محمد ، رحمه الله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

(طسم ، تلك آيات الكتاب المبين ، نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون) ، [القصص : ١ ـ ٣].

فيه مسائل الأولى : التنبيه على جلالة القرآن وعظمته ؛ الثانية : التنبيه على وضوحه ؛ وقوله : (بالحق) فيه علامة النبوة ؛ الثالثة : أن العلم بين يعرفه أهل القرآن والإيمان ، وإن جهله غيرهم.

وقوله : (إن فرعون علا في الأرض) إلى آخره [القصص : ٤] فيه ذم العلو في الأرض ؛ الثانية : ذم جعل الرعية شيعاً ؛ الثالثة : التنبيه على كبر هذا الظلم ؛ الرابعة : التسجيل عليه أنه من هذه الطائفة ؛ فمن أراد من الرؤساء أن يكون مثله فهذا فعله ، ومن أراد اتباع الخلفاء الراشدين ، فقد بان فعلهم.

وقوله : (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض) إلى آخره [القصص : ٥ ، ٦] هذه الإرادة القدرية بخلاف قوله : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) [الأحزاب : ٣٣] وأمثالها ، فهي : إرادة شرعية.

الثانية : أن ابتلاءهم بالاستضعاف ، سبب المنة عليهم ،

وكونهم أئمة ، وكونهم الوارثين ، والتمكين لهم في الأرض ، وتعريف عدوهم بما يحذره ، فهذه خمس فوائد نتيجة تلك البلوى ؛ الثالثة : تبيين قدرته العظيمة لعباده ؛ الرابعة : أن الحذر لا يفك من القدر.

وقوله : (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه) إلى آخره [القصص : ٧ ، ٨] هذا وحي إلهام ، ففيه : إثبات كرامات الأولياء ، الثانية : أنها أمرت بإلقائه في اليم ، وبشرت بأربع ؛ وقوله : (فالتقطه آل فرعون) فيه : حكمة هذا الالتقاط ؛ الثانية : أن الإنسان قد يختار ما يكون هلاكه فيه ؛ الرابعة : أن ذلك القدر بسبب خطايا سابقة.

وقوله : (وقالت امرأة فرعون) إلى آخره [القصص : ٩] فيه أن المرأة الصالحة ، قد يتزوجها رجل سوء ؛ الثانية : قولها : (قرة عين لي ولك) فيه محبة الفأل ؛ الثالثة : ذكر الترجي ؛ الرابعة : عدم الشعور ؛ وقوله : (وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً) الآية [القصص : ١٠] فيه : ما ابتليت به ؛ الثانية : لولا منة الله عليها بالربط ؛ الثالثة : لتكون من المؤمنين ؛ الرابعة : أن الإيمان يزيد وينقص.

وقوله : (وقالت لأخته قصيه) الآية [القصص : ١١] فيه : أن التوكل واليقين ، لا ينافي السبب ؛ الثانية : تسبب الأخت أيضاً ؛ الثالثة : عدم شعورهم ، مع ذكائهم وظهور العلامات.

وقوله : (وحرمنا عليه المراضع) الآية [القصص :

١٢] هذا التحريم قدري ؛ وأما قوله : (حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) [النساء : ١٦٠] وأمثالها ، فتحريم شرعي ؛ الثانية : أن هذه العلامة الظاهرة في كلامها ، ولم يفهموه مع فطنتهم.

وقوله : (فرددناه إلى أمه) إلى آخره [القصص : ١٣] فيه الرد لثلاث فوائد ؛ الثانية : تفاوت مراتب العلم ، لقوله : (ولتعلم) الثالثة : أن بعض المعرفة لا يسمى علماً ، فيصح نفيه من وجه ، وإثباته من وجه ؛ الرابعة : المسألة العظيمة الكبيرة : تسجيل الله تبارك وتعالى على الأكثر : أنهم لا يعلمون أن وعده حق.

وقوله : (ولما بلغ أشده واستوى) [القصص : ١٤] فيه : أن ذلك الإيتاء بعد بلوغ الأشد والاستواء ؛ الثانية : الفرق بين العلم والحكم ؛ الثالثة : ذكره أنه يفعل ذلك بالمحسنين ، كما فعل ضده مع الذين كانوا خاطئين ؛ الرابعة : ترغيب عباده في الإحسان ؛ الخامسة : أن من جزاء الحسنة الحسنة بعدها ؛ السادسة : فيه سر من أسرار القدر.

وقوله : (ودخل المدينة) إلى آخره [القصص : ١٥ ، ١٦] فيه : أن الرجل الصالح قد يسخر له الفاجر ، وينشأ في حجره ؛ الثانية : أنه قد ييسر الله الكمال العظيم ، بسبب أعظم المكروهات ؛ الثالثة : أن قتل الرجل صار ذنباً ؛ الرابعة : نسبة ذلك إلى عمل الشيطان ؛ الخامسة قوله : (إنه عدو مضل مبين).

السادسة : ذكر توبته عليه السلام ؛ السابعة : ذكر مغفرة الله له ؛ الثامنة : ذكر سبب المغفرة ؛ التاسعة : شكر نعمة الخلق ؛ العاشرة : كون شكرها عدم مظاهرة المجرمين.

وقوله : (فأصبح في المدينة) إلى آخره [القصص : ١٨ ، ١٩] فيه : أن هذا الخوف غير المذموم ، في قوله : (ولا يخشون أحداً إلا الله) [الأحزاب : ٣٩] ؛ الثانية : أن ذلك الترقب لا يذم ؛ الثالثة : ما جبل عليه ﷺ من الشدة ؛ الرابعة : قوله لذلك الرجل : (إنك لغوي مبين) أن مثل ذلك لا يذم ؛ الخامسة : العمل بالقرائن ؛ السادسة : الفرق بين إرادة الصلاح بالقوة ، وبين إرادة الفساد في الأرض بالتجبر.

وقوله : (وجاء رجل) إلى آخره [القصص : ٢٠ ، ٢١] فيه قوة ملكهم ؛ الثانية : ما عليه الرجل من محبة الحق وأهله ؛ الثالثة : تأكيده عليه بالأمر بالخروج ، وذكره له أنه له من الناصحين بعد النذارة.

وقوله : (فخرج منها خائفاً يترقب) فيه : أن ذلك الخوف والترقب لا يذم ؛ الثانية : استغاثته بالله ، مع فعله السبب ؛ الثالثة : أن كراهة الموت لا تذم ؛ الرابعة : أن الظالم يوصف بالظلم ، وإن كان في تلك القضية غير ظالم.

وقوله : (ولما توجه) إلى آخره [القصص : ٢٢] فيه : أنه توجه من غير سبب ؛ الثانية : سؤاله الله أن يدله الطريق ؛ الثالثة : أن عسى في هذا الموضع سؤال.

وقوله : (ولما ورد ماء مدين) إلى آخره [القصص :

٢٣ ، ٢٤] فيه : ما أعطى عليه السلام من القوة ؛ الثانية : إحسانه إليهما في هذه الحال ؛ الثالثة : مخاطبة النساء لمثله ؛ الرابعة : ظهور النساء في خدمة أموالهن للحاجة.

الخامسة : تأدبها في عدم مزاحمة الرجال ؛ السادسة : ذكر إهماله السبب ؛ السابعة : أن المانع له عدم القوة لا الترتيب ؛ الثامنة : سؤاله ربه القوت ؛ التاسعة : تأدبه في السؤال بذكر حاله للاستعطاف ؛ العاشرة : أن الشكوى إلى الله لا تذم.

وقوله : (فجاءته إحداهما) إلى آخره [القصص : ٢٥] فيه : التنبيه على الحياء ؛ الثانية : الثناء على المرأة ؛ الثالثة : إرسالها إلى الرجل المجهول حاله للحاجة ؛ الرابعة : عدم إنكاره للأجرة على العمل الصالح ؛ الخامسة : قوله : (لا تخف) لأنهم ليس لهم سلطان عليهم ؛ السادسة : كونهم معروفين بالظلم عندهم.

وقوله : (قالت إحداهما) إلى آخره [القصص : ٢٦] فيه : أن المرأة قد تصيب وجه الرأي ؛ الثانية : ما أعطيت من الذكاء ؛ الثالثة : أن طاعتها في مثل هذا لا تذم ؛ الرابعة : الولاية لها ركنان ، القوة والأمانة ، فالأمانة ترجع إلى خشية الله ، والقوة ترجع إلى تنفيذ الحق ؛ الخامسة : أن الاحتياط للمال لا يذم.

وقوله : (قال إني أريد) إلى آخره [القصص : ٢٧ ، ٢٨] فيه : أن هذه الإجارة صحيحة ، بخلاف قول كثير من

الفقهاء ، من منعهم الإجارة بالطعام والكسوة للجهالة ؛ الثانية : أن المنفعة يصح جعلها مهراً للمرأة ، خلافاً لمن منع ذلك.

الثالثة : أن هذه المهنة لا نقص فيها ، كيف وقد قال ﷺ : « ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم » الرابعة : أنها صفة كمال ، لا يكمل الإنسان إلا بها ؛ الخامسة : أن ذكر مثل هذا في الإجارة ، وهي قوله : (أيما الأجلين قضيت) لا يبطل الإجارة ».

السادسة : المسألة الكبيرة الدقيقة ، وهي قوله ﷺ : « قضى أطيب الأجلين » أن رسول الله ﷺ إذا قال فعل ؛ السابعة : تأكيد العقد بقوله : (والله على ما نقول وكيل).

وقوله : (فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله) [القصص : ٢٩ ــ ٣٥] فيه : أنه أقام هذه المدة ، أجرته فيها طعام بطنه ، وعفة فرجه ؛ الثانية : تسمية ذلك النور ناراً ؛ الثالثة : هذا الفرج بعد الشدة ، الذي أفرد بالتصنيف ، ولم يذكروا لهذه نظيراً ولا ما يقاربها.

الرابعة : أنهم مع هذه الشدة بالبرد ، ولا نار معهم ؛ الخامسة : أنهم ضلوا الطريق ؛ السادسة : جواز مثل هذا السفر للحاجة ؛ السابعة : ذكر الموضع الذي ناداه منه ؛ الثامنة : إثبات الصفات ؛ التاسعة : الرد الواضح على الجهمية ، في قولهم : هذا عبارة.

العاشر : تقريبه نجيا ، فذكر النداء والمناجاة ؛ الحادية

عشر : اختصاص موسى بهذه المرتبة ، ولذلك ذكرها إبراهيم عليه السلام ، إذا طلبت منه الشفاعة ؛ الثانية عشر : كونه أمر بإلقاء العصا ، فصارت آية ؛ الثالثة عشر : كونه أمر بإدخال اليد ، فتكون آية أخرى ؛ الرابعة عشر : كونه (ولى مدبراً ولم يعقب).

الخامسة عشر : قوله (أقبل ولا تخف) السادسة عشر : تبشيره أنه من الآمنين ؛ السابعة عشر : كونه أمر بضم جناحه من الرهب ؛ الثامنة عشر : تسميتهما برهانان ؛ التاسعة عشر : كونه من ربك ؛ العشرون : كونها إلى فرعون ومَلَئِه ؛ الحادية والعشرون : التعليل بأنهم قوم ظالمون.

الثانية والعشرون : هذه العطية العظيمة ، في هذه الشدة العظيمة ؛ الثالثة والعشرون : اعتذاره بقتل النفس ، والخوف منهم ؛ الرابعة والعشرون : اعتذاره برثاثة لسانه ؛ الخامسة والعشرون : طلبه الاعتضاد بأخيه.

السادسة والعشرون : طلبه الرسالة ؛ السابعة والعشرون : تعليله بخوف تكذيبهم ؛ الثامنة والعشرون : إجابة الله إياه ؛ التاسعة والعشرون : تبشيره أنه يجعل لهما سلطاناً فلا يصلون إليهما ؛ الثلاثون : تبشيره بغلبته وغلبة أتباعه.

وقوله : (فلما جاءهم موسى بآياتنا) إلى آخره [القصص : ٣٦ ، ٣٧] فيه أنه أتاهم بآيات منسوبة إلى الله ، وأنها بينات ؛ الثانية : أنهم قابلوها بما ذكر ؛ الثالثة : أنهم

احتجوا لقولهم فيها : بعدم سماعهم بهذا في آبائهم ؛ الرابعة : جواب موسى عليه السلام.

وقوله : (قال فرعون يا أيها الملأ) إلى آخره ، [القصص : ٣٨ ــ ٤٠] فيه هذا الإنكار ، الذي هو غلبة الكفر ؛ الثانية : قوله : (فأوقد لي يا هامان) كيف تصرف الله في عقول العاصين ؛ الثالثة : استدل بها الأئمة على الجهمية.

وقوله : (واستكبر هو وجنوده في الأرض) وصفهم بأن فيهم المهلك ، وأنهم عدموا المنجى ، ولذلك أخذهم بما ذكر ؛ الثانية : أمر المؤمن بالنظر في عاقبتهم ؛ الثالثة : أنه أتى بلفظ الظالمين ، ليبين أن ذلك ليس مختصاً بهم.

وقوله : (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار) [القصص : ٤١] هذا الجعل القدري ؛ وأما قوله : (ما جعل الله من بحيرة) [المائدة : ١٠٣] وأمثاله فهذا الجعل الشرعي ؛ الثانية : أن معرفة هذا يوجب الحرص على النظر في الأئمة ، إذا كان منهم من جعله الله يدعو إلى النار ، ومنهم من قال فيه : (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا) [الأنبياء : ٧٣] الثالثة : ذكر ما لهم في القيامة ؛ الرابعة : ما أبقى لهم على ألسنة الناس في الدنيا ؛ الخامسة مآلهم في الآخرة.

وأما الزيادة التي في سورة (طه) [٩ ــ ١٤][1].

---

(١) أي : على ما في سورة القصص ، من المسائل في قصة موسى وفرعون وقومه . . . إلخ.

فالأولى : استفهام التقرير ، الدال على عظمة القصة ، والتحريض على فهمها ؛ الثانية : (أو أجد على النار هدى) دليل على أنه ضل الطريق ؛ الثالثة : أمره بخلع النعلين ؛ الرابعة : إخباره أنه بذلك الوادي ؛ الخامسة : الإخبار بأنه مطهر ؛ السادسة : تبشيره بأن الله اختاره ؛ السابعة : أمره بالاستماع .

الثامنة : أن أول ذلك أكبر المسائل على الإطلاق ، وهو : تفرده بالإلهية ؛ التاسعة أمره بلازم التوحيد ، وهو إفراده بالعبادة ؛ العاشرة أمره بإقامة الصلاة ؛ الحادية عشر : تعليل ذلك ؛ الثانية عشر : وقت الإقامة .

الثانية عشر ، قوله : (إن الساعة آتية) إلى آخره [طه : ١٥ ، ١٦] لما ذكر الإيمان بالله ، ذكر الإيمان باليوم الآخر ؛ الرابعة عشر : أنه علة الإيمان بالله ؛ الخامسة عشر : مبالغته سبحانه في إخفائها ؛ السادسة عشر : ذكر الحكمة في إقامتها ؛ السابعة عشر تحذيره من صاحب السوء .

وقوله : (وما تلك بيمينك يا موسى) إلى آخره [طه : ١٧ ــ ٣٥] فيه سؤاله عنها وهو أعلم ؛ الثانية : جوابه عليه السلام ؛ الثالثة : أمره بأخذها ولا يخاف ، فإنه سيعيدها ؛ الرابعة : أن ذلك من الآيات الكبرى ؛ الخامسة : تعليله الذهاب إلى فرعون بطغيانه .

السادسة : سؤاله عليه السلام ؛ السابعة : أنه لم يسأل حل لسانه ، بل عقدة منه ؛ الثامنة : أن مراده ليفقهوا كلامه ؛

التاسعة : أنه علل ما سأله لأجل يسبحانه كثيراً ، ويذكرانه كثيراً ؛ العاشرة ، تعليله بقوله : (إنك كنت بنا بصيراً).

الحادية عشر : : إجابة سؤاله ؛ الثانية عشر : ذكره منته عليه من قبل بثمانية أمور ؛ الثالثة عشر : نهيهما أن لاينيا في ذكره ؛ الرابعة عشر : رفقه سبحانه ومحبته للرفق ؛ الخامسة عشر : تعليل الرفق ؛ السادسة عشر : الفرق بين التذكر والخشية ؛ السابعة عشر : شكواهما إلى الله ؛ الثامنة عشر : جواب الله لشكواهما.

وقوله : (فأتياه فقولا إنا رسولا ربك) إلى آخره [طه : ٤٧ ، ٤٨] فيه من الرفق والتلطف أمور ؛ أحدها : (إنا رسولا ربك) فإن أطعت ما أطعت إلا هو ؛ الثاني : (فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم) فالمطلوب : أن يرسل جيرانه ورعيته ، ولا يعذبهم ؛ الثالث : (قد جئناك بآية من ربك) فربك قد قطع عذرك ؛ الرابع : إضافته إلى الله.

الخامس : (والسلام على من اتبع الهدى) أي : هذا هو الذي فيه السلامة ، التي هي مطلوبة لكل أحد ، خصوصاً الملوك ؛ السادس : (إنا قد أوحى إلينا) الآية أي كما دللناك على أمور السلامة ، بينا لك طريق الهلاك ؛ السابع : لم يقولا إن العذاب لك إذا توليت ، بل كلام عام ؛ الثامن : ذكر سبب العذاب ؛ التاسع : الفرق بين التكذيب والتولي.

وقوله : (قال فمن ربكما يا موسى) إلى آخره [طه : ٤٩ ــ ٥٥] هذا جواب اللعين ، بهذا الكلام اللين ؛ الثانية :

جواب موسى عليه السلام ، الجواب الباهر ؛ الثالثة : التفكر في الخلق والهداية ؛ الرابعة : جواب اللعين عن هذا ؛ الخامسة : جواب موسى عليه السلام عن شبهته ، وهي من أجل الفوائد عند المناظرة.

السادسة : ذكر العلم والكتاب ، ليس لخوف نسيان أو خطأ ؛ الثامنة : الاستدلال بالآيات الأرضية والسماوية ؛ التاسعة : ذكر إسباغ نعمته ؛ العاشرة ، ذكر : إن في ذلك لآيات لكن لهذه الطائفة ؛ الحادية عشر : لما ذكر الأرض ذكر ما جرى لنا ، وما يجري لنا فيها.

وقوله : (ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى) [طه : ٥٦ ــ ٦٩] فيه الفرق بين التكذيب والإباء ؛ الثانية : ما أكثر الله له ولقومه من الآيات ؛ الثالثة : مكابرته في تسمية ذلك سحراً ؛ الرابعة : رميه موسى بنية طلب الملك ؛ الخامسة : معارضته آيات الله بالسحر.

السادسة : اهتمامه بذلك الموعد ؛ السابعة : ادعاء الانصاف ، بقوله : (سوى) ؛ الثامنة : إجابة موسى إياه ؛ التاسعة : ذكر جميع كيده قبل إتيانه ؛ العاشرة : وعظ موسى إياهم ؛ الحادية عشر : كونه يقول : (لا تفتروا على الله كذباً).

الثانية عشر : قوله : (وقد خاب من افترى) كلمة جامعة ؛ الثالثة عشر : سرهم بينهم بما ظنوه في موسى

وأخيه ؛ الرابعة عشر : اغترارهم بطريقتهم ؛ الخامسة عشر : ذكرهم الاجتماع والإتيان صفاً.

السادسة عشر ، قولهم : (وقد أفلح اليوم من استعلى) ؛ السابعة عشر : ادعاؤهم الإنصاف في الخصومة ؛ الثامنة عشر : كونه اختار لقاءهم أولاً ؛ التاسعة عشر : هذا السحر العظيم ؛ العشرون : أمره له بإلقاء العصا ؛ الثالثة والعشرون : ما فعلت العصا.

الرابعة والعشرون : القاعدة الكلية (إنما فعلوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى) ؛ الخامسة والعشرون : ما فعل السحرة من سرعة انقيادهم لما عرفوا ، وفعلهم ، وقولهم ؛ السادسة والعشرون : كون الإيمان برب هارون وموسى ؛ السابعة والعشرون : قوله لهم وما ذكر أنه يفعل بهم ؛ الثامنة والعشرون : جوابهم لهذا الطاغي القادر ، وهي سبع جمل كل جملة مستقلة.

وفي **سورة الأعراف** من الزيادة.

قوله عليه السلام : (حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق) الآيتين [الأعراف : ١٠٥ ، ١١٦] الثانية : استعظام الله سحرهم ؛ الثالثة ، قوله : (فوقع الحق) الآيتين [الأعراف : ١١٨ ، ١١٩] ، الرابعة ، قوله لهم : (إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة) لهذا ؛ الخامسة : قولهم : (إنا إلى ربنا منقلبون) [الأعراف : ١٢٣ ـ ١٢٥].

السادسة ، قولهم : (وما تنقم منا) إلى آخره

[الأعراف : ١٢٦ ـ ١٣٧] ، السابعة : سؤالهم الله هذه المسألة ؛ الثامنة : كلام الملأ له ؛ التاسعة : جوابه لهم ؛ العاشرة : نصيحة موسى لقومه ، فيها أمران ، وثلاثة أخبار ؛ الحادية عشر : ردهم على موسى.

الثانية عشر : جوابهم لهم ؛ الثالثة عشر : إخبار الله أنه أخذهم بالسنين ونقص من الثمرات ؛ الرابعة عشر : ذكر الحكمة في ذلك ؛ الخامسة عشر : أنهم لم يفهموا مراد الله بالحسنة والسيئة التي تأتيهم ؛ بل عكسوا الأمر ؛ السادسة عشر ، قوله : (ألا إنما طائرهم عندَ الله).

السابعة عشر : كون الأكثر لا يعلمون هذه المسألة ؛ الثامنة عشر : شدة عنادهم ؛ التاسعة عشر : ذكره إرسال الآيات عليهم ؛ العشرون : كونهم مع ذلك استكبروا ؛ الحادية والعشرون ، قوله : (وكانوا قوماً مجرمين).

الثانية والعشرون : كلامهم لموسى لما وقع عليهم الرجز ؛ الثالثة والعشرون : نكثهم ما قالوا ؛ الرابعة والعشرون ، قوله : (فانتقمنا منهم) بالفاء ؛ الخامسة والعشرون : ذكره السبب ؛ السادسة والعشرون : ذكر فضله على الضعفاء ؛ السابعة والعشرون : أن ذلك سبب صبرهم ؛ الثامنة والعشرون : تدمير ما صنعوا ، وما كانوا يعرشون.

وأما ما في سورة الشعراء من الزيادة ، قوله : (ألم نربك فينا وليدا) [الشعراء : ١٨] ، الثانية : جواب موسى عليه السلام ؛ الثالثة قوله : (وما رب العالمين) [الشعراء :

٢٣] ؛ الرابعة : جواب موسى عليه السلام ؛ الخامسة ، قوله : (لمن حوله) [الشعراء : ٢٥] السادسة جواب موسى عليه السلام.

السابعة ، قوله : (إن رسولكم) إلى آخره [الشعراء : ٢٧] ؛ الثامنة : جواب موسى عليه السلام ؛ التاسعة : كونه فزع إلى القدرة لما بهرته الحجة ؛ العاشرة : جواب موسى عليه السلام ؛ الحادية عشر : عناده بعدما أتته الآيات.

الثانية عشر : قوله : (هل أنتم مجتمعون) [الشعراء : ٣٩] ؛ الثالثة عشر : توسلهم بعزة فرعون ؛ الرابعة عشر ، قولهم : (لا ضير) [الشعراء : ٥٠] ؛ الخامسة عشر ، قولهم : (إنا نطمع) الآية [الشعراء : ٥١] ؛ السادسة عشر : كونه أمره أن يسري بهم ؛ السابعة عشر : كونه ذكر لهم أنهم متبعون.

الثامنة عشر : إرساله في المدائن حاشرين ؛ التاسعة عشر : ذكره لرعيته لما حشرهم ؛ العشرون : ذكره المقام والنعيم ، والكنوز ، والجنات التي سلبوا ؛ الحادية والعشرون : كونه أورث الجميع بني إسرائيل ؛ الثانية والعشرون : اتباعهم إياهم مشرقين.

الثالثة والعشرون ، قولهم : (لما تراء الجمعان) [الشعراء : ٦١] ؛ الرابعة والعشرون : جواب موسى عليه السلام لهم ؛ الخامسة والعشرون : ذكره أنه أمره أن يضربه

بعصاه ، فكان ما كان ؛ السابعة والعشرون : ذكره نجاة هؤلاء ، وهلاك هؤلاء.

الثامنة والعشرون : تنبيه العباد على فائدة القصة ؛ التاسعة والعشرون : هذا العجب العجاب ، عدم إيمان الأكثر مع ذلك ؛ التاسعة والعشرون : ذكره نفسه ؛ الثلاثون : أنه هو العزيز الرحيم.

وأما ما في سورة النمل من الزيادة ، فقوله : (أن بورك من في النار ومن حولها) [النمل : ٨] الثانية : تسبيحه نفسه في هذا المقام ؛ الثالثة ، قوله : (إني لا يخاف لدى المرسلون) [النمل : ١٠] الرابعة : الاستثناء ؛ الخامسة : ذكره أن اليد في جملة تسع آيات ؛ السادسة : جحدهم الآيات مع اليقين ؛ السابعة أن سببه الظلم والعلو.

وأما ما في سورة يونس من الزيادة ، قول موسى (أتقولون للحق لما جاءكم) إلى آخره [يونس : ٧٧] ، الثانية ، قولهم : (لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا) ؛ الثالثة : (وتكون لكما الكبرياء في الأرض) [يونس : ٧٨].

الرابعة ، قوله : (ما جئتم به السحر) الخامسة : القاعدة الكلية (إن الله لا يصلح عمل المفسدين) [يونس : ٨١].

السادسة : كونه (يحق الحق بكلماته) ؛ السابعة : (ولو كره المجرمون) [يونس : ٨٢] ؛ الثامنة : ما آمن لموسى إلا من ذكر ؛ التاسعة : أنه على خوف من فرعون

ومَلَئِهم ؛ العاشرة : وصف فرعون بالعلو والإسراف.

الحادية عشر : نصيحة موسى لقومه ؛ الثانية عشر : كون التوكل من لوازم الإسلام والإيمان ؛ الثالثة عشر : جوابهم وقبولهم النصح ؛ الرابعة عشر : دعاؤهم وما فيه من الفوائد ؛ الخامسة عشر ، قوله : (أن تبوءا لقومكما) إلى آخره [يونس : ٨٧].

السادسة عشر : دعاء موسى ، وما فيه من الفوائد ؛ السابعة عشر : كون المؤمن داعي ؛ الثامنة عشر : قوله في هذا المقام (فاستقيما) إلى آخره ؛ [يونس : ٨٩] ؛ التاسعة عشر : كلام فرعون عند الغرق ؛ العشرون : ما أجيب به ؛ الحادية والعشرون : ذكر غفلة الكثير عن آياته.

وفي سورة هود قوله : (وما أمر فرعون برشيد) [هود : ٩٧] ، الثانية : كونه يوم القيامة يقدمهم ، ويوردهم النار.

وفي سورة الإسراء : ذكر أن التسع كلها بينات ؛ الثانية : أمره نبيه عليه السلام بسؤال بني إسرائيل ؛ الثالثة : قول فرعون له ؛ الرابعة : جوابه له ؛ الخامسة : أنه عوقب بنقيض قصده ؛ السادسة قوله : (وقلنا من بعده لبني إسرائيل) ، إلى آخره [الإسراء : ١٠٤].

وفي سورة الحج : (وكُذِّبَ موسى فأمليت للكافرين) إلى آخره [الحج : ٤٤] ؛ وفي سورة الصافات : كون فعل فرعون معهم كرب عظيم.

وفي **سورة المؤمن** ، قوله : (بآياتنا وسلطان مبين) [الآيات ، غافر : ٢٣ ــ ٢٥] ؛ الثانية : إلى الثلاثة ؛ الثالثة : جوابهم له ؛ الرابعة : ما قالوه : لما جاءهم الحق من عند الله ، الخامسة : أن ذلك الكيد في ضلال مبين.

السادسة ، قوله : (ذروني أقتل موسى) [الآيات ، غافر : ٢٦ ــ ٣٤] السابعة : قول موسى ؛ الثامنة : كلام المؤمن وما فيه من الفوائد ؛ التاسعة : جواب فرعون ؛ العاشرة : قول المؤمن الثاني ، وما فيه من الأصول ؛ ووصف القيامة ، وتذكيرهم برسالة يوسف ، وما فعلوا.

الحادية عشر ، قوله : (لعلي أبلغ الأسباب) إلى آخره [غافر : ٣٦ ــ ٣٧] ، الثانية عشر : كون كيده في تباب ؛ الثالثة عشر : قول المؤمن الثالث ، وما فيه من المعارف ؛ الرابعة عشر : وقاية الله له مكرهم ؛ الخامسة عشر : كونهم يعرضون على النار ؛ السادسة عشر : استدلال العلماء على عذاب القبر.

وفي **سورة الزخرف** : مقابلتهم آيات الله بالضحك منها ؛ الثانية ، قوله : (وما نريهم من آية) إلى آخره [الزخرف : ٤٨ ــ ٥٣] الثالثة ، قوله : (لعلهم يرجعون) ؛ الرابعة : خطبة فرعون وما فيها من استدلاله على النفي والإثبات ؛ الخامسة : قوله : (فاستخف قومه فأطاعوه) إلخ [الزخرف : ٥٤ ، ٥٥] ؛ السادسة قوله : (فجعلناهم سلفاً) إلخ [الزخرف : ٥٦].

وفي سورة الدخان (أن أدوا إلي عباد الله) [الدخان : ١٨ ، ١٩] ؛ الثانية وصفه نفسه بالأمانة لله ؛ الثالثة : نهيه إياهم عن العلو على الله ؛ الرابعة قوله : (وإني عذت بربي وربكم) إلى آخره [الدخان : ٢٠ ، ٢١] ؛ الخامسة : قوله (واترك البحر رهواً) [الدخان : ٢٤] السادسة : ذكر العلة في تركه رهواً ؛ السابعة : (فما بكت عليهم السماء والأرض) [الدخان : ٢٩] ؛ الثامنة : عدم الإنظار ؛ التاسعة : ذكر أن فعله بهم عذاب مهين.

وفي سورة المؤمنون [الآيات : ٤٦ ــ ٤٨] كونهم كلهم قوماً عالين ؛ الثانية : حجتهم على عدم الإيمان لهما ؛ الثالثة : التنبيه على أنهم من جملة من أهلك ، ليس مختصاً بهم.

وفي سورة الذاريات (فتولى بركنه) الثانية قوله : (ساحر أو مجنون) [الذاريات : ٣٩] ؛ وفي سورة القمر [الآيات : ٤١ ــ ٤٣] تكذيبهم بالآيات كلها ؛ الثانية : تكذيبهم بالنذر ؛ الثالثة : ذكر العبرة لهذه الأمة فيهم ؛ وفي سورة المزمل [**الآيات** : ١٦ ــ ١٨] المسألة الكبيرة لهذه الأمة.

وفي النازعات قوله : (هل لك إلى أن تزكى) إلى آخره [الآيات : ١٨ ــ ٢٦] ؛ الثانية قوله : (ثم أدبر يسعى ، فحشر فنادى) ؛ الثالثة : الكلمة العظيمة ؛ الرابعة : الجمع

بين نكال الآخرة والأولى ؛ الخامسة : (إن في ذلك لعبرة لمن يخشى) .

وقال أيضاً : **الشيخ** محمد ، رحمه الله تعالى : في سورة القصص.

قوله تعالى : (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً وكنا نحن الوارثين) [القصص : ٥٨] فيه التنبيه على الاعتبار بإهلاك الله وعذابه ، لمن خالف أمره ، مع قوتهم وكثرتهم ؛ وفيه : عدم الاغترار بعطاء الدنيا ؛ وفيه : كبر شؤم المعصية في المساكن.

الثانية ، قوله تعالى : (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً يتلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون) [القصص : ٥٩] فيه : معرفة الله بالعدل والإعذار والإنذار ، ولا أحد أحب إليه العذر من الله ، كما قال : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً) [الإسراء : ١٥] وفيه : الخوف من الظلم ، وليس على الإنسان معرة أكبر منه.

الثالثة ، قوله : (وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها) [القصص : ٦٠] وفيه التزهيد في الدنيا ولو عظمت عند الناس ، كما زهد تعالى فيها في غير موضع من كتابه ؛ وكما قال ﷺ : « مثل الدنيا في الآخرة ، كما يدخل أحدكم إصبعه في اليم ، فلينظر بما يرجع به ».

الرابعة ؛ قوله تعالى : (وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون) فيه : الترغيب في الآخرة ، كما قال : (ما عندكم

ينفد وما عند الله باق) [النحل : ٩٦] وكما قال : (والآخرة خير وأبقى) [الأعلى : ١٧] فرد سبحانه على من اختار الدنيا على الآخرة بالعقل ، كيف يختارون القليل الأدنى الفاني ، على النعيم الأعلى الدائم ، لو كانوا يعقلون ؟ ولكن كما قال تعالى ، عن أهل النار : (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) [الملك : ١٠].

الخامسة ، قوله : (أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين) [القصص : ٦١] فيه : أن من أعطى الإيمان ولو بما يكره ، وليس بينه وبين الوعد إلا قليلاً ، وذكر قصة « مصعب ».

والشواهد لهذه كثيرة ، مثل : لو أن رجلاً يعطى في يوم ما يحب ، وبعده يقتل ؛ ورجل يحبس يوماً ، وبعده يعطى من النعم ما يحب ، هل يستوي هذا وهذا ؟ والله أعلم ؛ وفقنا الله وإخواننا الاعتبار والإيمان.

سئل الشيخ : **عبد الله بن** الشيخ محمد ، عن قوله تعالى : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) [الأحزاب : ٣٣] من هم أهل البيت؟

فأجاب : إن أهل البيت الذين حرمت عليهم الصدقة ، كما تقدم عن زيد بن أرقم ، وأولهم دخولاً في هذه الآية أهل الكساء ، وهم علي وفاطمة والحسن والحسين ، كما أخرج ذلك مسلم في صحيحه : أن رسول الله ﷺ لما أدخل فاطمة

وعلياً والحسن والحسين ، في مرط مرحل عليه من شعر أسود ، ثم قال : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً).

وفي حديث أم سلمة : أنه عليه السلام ، جللهم بكسائه ، وقال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي ، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً » أخرجه الترمذي ، وقال : حديث صحيح.

والاحتجاج بذلك على عصمتهم ، وتخصيص الشيعة بذلك ، وكون إجماعهم حجة ضعيف ، بل باطل ، لأن التخصيص بهم لا يناسب ما قبل الآية ، وما بعدها ؛ والحديث يقتضي الدعاء لهم ، بأن يذهب الله عنهم الرجس ، ويطهرهم تطهيراً.

وغاية ذلك : أن يكون دعاء لهم أن يكونوا من المتقين ، الذين أذهب الله عنهم الرجس ؛ واجتناب الرجس والطهارة ، مأمور بها كل المؤمنين ، ويريدها سبحانه وتعالى ، قال الله تعالى : (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم) [المائدة : ٦] وقال تعالى : (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) [التوبة : ١٠٣] غاية هذا : أن يكون دعاء لهم ، بفعل المأمور ، وترك المحظور.

وأيضاً : فالسابقون الأولون ، من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان ، رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وأعدّ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، لا بد أن يكونوا فعلوا

المأمور ، وتركوا المحظور ، فإن هذا الرضوان ، وهذا الجزاء ، إنما ينال بذلك.

وحينئذ : فيكون ذهاب الرجس عنهم ، وتطهيرهم من الذنوب ، بعض صفاتهم ، فما دعا به النبي ﷺ لأهل الكساء ، هو بعض ما وصف الله به السابقين الأولين ؛ دعا لغير أهل الكساء أن يصلي الله عليهم ، ودعا لأقوام كثيرين بالجنة والمغفرة ، وغير ذلك مما هو أعظم من الدعاء بذلك.

ولا يلزم أن يكون من دعا له بذلك ، أن يكون أفضل من السابقين الأولين ؛ ولكن أهل الكساء ، لما أوجب عليهم اجتناب الرجس ، وفعل التطهير ، دعا النبي ﷺ لهم بأن يعينهم على فعل ما أمرهم به ، لئلا يكونوا مستحقين للذم والعقاب ، ولينالوا المدح والثواب.

والآية : ليس فيها إخبار بطهارة أهل البيت ، وذهاب الرجس عنهم ، وإنما فيها الأمر لهم بما يوجب طهارتهم ، وذهاب الرجس عنهم.

فإن قوله : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ كقوله : ﴿ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم ﴾ [المائدة : ٦] وقوله : ﴿ يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم ﴾ [النساء : ٢٦].

والإرادة هنا متضمنة الأمر والمحبة والرضا ، ليست هي المشيئة المستلزمة لوقوع المراد ؛ فإنه لو كان كذلك ، لكان

قد طهر من أراد الله طهارته ، وهذا على قول القدرية الشيعة أوجه.

فإنه عندهم : أن الله يريد ما لا يكون ، ويكون ما لا يريد ؛ فقوله : (يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) الآية ، إذا كان هذا بفعل المأمور ، وترك المحظور ، كان ذلك متعلقاً بإرادتهم وأفعالهم ، فإن فعلوا ما أمروا به طهروا ، وإلا فلا ؛ وهم يقولون : الله لا يخلق أفعالهم ، ولا يقدر على تطهيرهم ، وذهاب الرجس.

وأما أهل السنة والجماعة ، المثبتون للقدر ، فيقولون : الله قادر على ذلك ، فإذا ألهمهم فعل ما أمر ، وترك ما حظر ، حصلت الطهارة ، وذهاب الرجس.

ومما ينبيء : أن هذا مما أمروا به ، لا مما أخبر بوقوعه ، ما ثبت في الصحيح : أن النبي ﷺ أدار الكساء على علي وفاطمة ، وحسن وحسين ، وقال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي ، أذهب عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيرا ».

وهو يدل على فساد قول الشيعة ، من وجهين ؛ أحدهما : أنه دعا لهم بذلك ، وهو دليل على أنه لم يخبر بوقوع ذلك ، فإنه لو كان قد وقع ، لكان يثنى على الله بوقوعه ، ويشكره على ذلك ، لا يقتصر على مجرد الدعاء به ؛ الثاني : أن هذا يدل على أن الله قادر على إذهاب الرجس عنهم ، وتطهيرهم ، وذلك يدل : أنه خالق أفعال العباد.

وأيضاً : مما يدل أن الآية متضمنة الأمر والنهي ،

قوله : في سياق الكلام : (يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين) إلى قوله : (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن) إلى قوله : (وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) [الأحزاب : ٣٠ ـ ٣٣].

وهذا السياق يدل على أن ذلك أمر ونهى ، ويدل على أن أزواج النبي ﷺ من أهل بيته ، فإن السياق إنما هو في مخاطبتهن ؛ ويدل على أن قوله : (ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) عمت غير الزوجة ، لعلي وفاطمة وحسن وحسين.

لأنه ذكره بصيغة التذكير ، لما اجتمع المذكر والمؤنث ؛ وهؤلاء خصوا بكونهم من أهل البيت من أزواجه ، فلهذا خصهم بالدعاء لما أدخلهم في الكساء ، كما كان مسجد قباء أسس على التقوى ، ومسجده أيضاً أسس على التقوى ، وهو أكمل في ذلك.

لأن قوله : (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه) [التوبة : ١٠٨] بسبب مسجد قباء ، فيتناول اللفظ لمسجد قباء ، ولمسجده بطريق الأولى ، فتبين بما ذكرنا : أنه ليس في الآية والحديث متعلق لأعداء الله ، الرافضة ، والزيدية ، فليعلم ذلك ، وبالله التوفيق.

وسئل **أيضاً الشيخ** : عبد الله بن الشيخ ، عن قوله تعالى : (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) [الأحزاب : ٤٠] هل هذه الآية قطعت كون رسول الله ﷺ والداً للحسن والحسين ، مع ما ورد من الأحاديث الدالة على تسميتهما ابنين له ؟.

فأجاب : سبب نزول الآية يزيل هذا الإشكال ؛ وذلك أنه ذكر المفسرون : أن رسول الله ﷺ لما تزوج زينب ، قال الناس : تزوج امرأة ابنه ، وأنزل الله هذه الآية ـ يعني : زيد بن حارثة ـ يعني : لم يكن أبا لرجل منكم على الحقيقة ، حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الأب وولده ، من حرمة الصهر والنكاح.

فإن قيل : قد كان له أبناء ، القاسم والطيب والطاهر وإبراهيم ، وقال للحسن : إن ابني هذا سيد؟

فالجواب : أنهم قد خرجوا من حكم النفي ، بقوله : (من رجالكم) وهؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال ؛ وأجاب بعضهم : بأنه ليس المقصود أنه لم يكن له ولد ، فيحتاج إلى الاحتجاج في أمر بنيه ، بأنهم كانوا ماتوا ، ولا في أمر الحسن والحسين ، بأنهما كانا طفلين ، وإضافة (رجالكم) إلى المخاطبين ، يخرج من كان من بنيه ، لأنهم رجاله لا رجال المخاطبين.

[ومن سورة الزمر]

قال الشيخ : محمد بن عبد الوهاب ، رحمه الله تعالى : هذه مسائل مستنبطة من سورة الزمر.

الآية الأولى ، فيها : منّه بالكتاب ؛ الثانية : إنزاله من السماء ؛ الثالثة : منه سبحانه ؛ الرابعة : ذكر عزته في هذا الموضع ؛ الخامسة : ذكر حكمته فيه.

الثانية : فيها الأولى والثانية ؛ الثالثة : إنزاله بالحق ، فيفيد الرد على أكثر الناس في مسائل كثيرة ؛ الرابعة : تخصيصه الرسول بإنزاله ، فالنعمة عليه أكبر ؛ وعليه من الشكر أكثر ، وكذلك من خص بما يشابه ذلك.

الخامسة : نتيجة إنزاله بالحق ، ونتيجة الإنعام ، وهو عبادة الله بالإخلاص ؛ وهذه الخامسة هي الدين كله ؛ وجعلها بين الرابعة والسادسة ؛ وهي : أن الدين الخالص لله، وغير الخالص ليس له ، وهما قاعدتان عظيمتان.

الثالثة : فيها إبطال اتخاذ الأولياء من دونه ؛ الثانية : إبطال ما غرهم به الشيطان ، أن قصدهم وجه الله لا غير ؛ وما أجلها من مسألة ؛ الثالثة : الوعيد الشديد على ذلك ؛ الرابعة : ذكره تكفير من فعل ذلك ؛ الخامسة : تكذيبه ؛ السادسة : ذكره أنه لا يهدي هذا ، وهي من مسائل الصفات.

الرابعة : فيها نفي اتخاذ الولد على سبيل الاصطفاء ؛ الثانية : ذكر خطئهم في القياس ، لأنه لو يفعله لم يكن مما

قالوا ؛ الثالثة : أنه مسبة لله ، بقوله : (سبحانه) ؛ الرابعة : ذكره الوحدانية في هذا ؛ الخامسة : ذكره القهر فيه ؛ السادسة : الاستدلال بالأسماء والصفات ، على النفي والإثبات ، وهي مسألة كبيرة عظيمة.

الخامسة : ذكر البراهين على ما تقدم من الدين الحق وضده ؛ الأولى : خلق السماوات والأرض ؛ الثانية : أنه بالحق ؛ الثالثة : تكوير المكورين ؛ الرابعة : تسخير النيرين ؛ الخامسة : ذكر عزته في هذا ؛ السادسة : ذكر مغفرته.

السادسة : في البراهين أيضاً ، الأولى : خلقنا من نفس واحدة مع هذه الكثرة ؛ الثانية : خلقه منها زوجها ؛ الثالثة : إنزاله لنا من الأنعام هذه النعم العظيمة ؛ الرابعة : خلقنا في البطون ؛ الخامسة : أنه خلق من بعد خلق ؛ السادسة : أنه في الظلمات الثلاث ؛ السابعة : كلمة الإخلاص ؛ الثامنة : التعجب من الغلط في هذا ، مع كثرة هذه البراهين ووضوحها.

السابعة : فيها سبع جمل كل واحدة مستقلة.

الثامنة : فيها ذكر حال الإنسان مع ربه ؛ الثانية : هذه المسألة العجيبة من حاله ؛ الثالثة : برهان التوحيد ؛ الرابعة : حلمه سبحانه ؛ الخامسة : أن الكافر مقر بتوحيد الربوبية ؛ السادسة : أنه يخلص لله وينيب في الضر.

السابعة : أن الإجابة في هذا لا تدل على المحبة ؛ الثامنة : تدل على أن الحق عليه أكبر ؛ التاسعة : أن الذنب

بعده أكبر ؛ العاشرة : معرفة قدر الدنيا ؛ الحادية عشر : شدة الوعيد على هذا.

الثانية عشر : أن الحجة عليه أكبر ؛ الثالثة عشر : ما ابتدع قوم بدعة إلا نزع عنهم من السنة مثلها ؛ الرابعة عشر : ما كفاه النسيان حتى جعل الشكر : جعل الأنداد ؛ الخامسة عشر : أمر المؤمن يعظ الفاعل.

التاسعة ؛ الأولى : الفرق الظاهر بين النائم واليقظان ؛ الثانية : الفرق بين العالم والجاهل ، والسؤال عن المسألتين سؤال تقرير ؛ الثالثة : أن مع شدة الوضوح لا يفطن له إلا من له لب ؛ الرابعة : أن القنوت هو الطاعة ، ليس مخصوصاً بالدعاء قائماً.

الخامسة : أن آناء الليل ساعاته ؛ السادسة : أحب العمل إلى الله أدومه ؛ السابعة : الرد على من قال ما عبدتك خوفاً وطمعاً ؛ الثامنة : لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله ؛ التاسعة : أشرف أحوال الصلاة ؛ العاشرة : النظر في العواقب.

الحادية عشر : الرجاء ، لقوله : (رحمة ربه) [الزمر : ٩] ، الثانية عشر : أمر المؤمن أن يقول هذه الخصومة الواضحة ؛ الثالثة عشر : مدح التذكر كالتفكر ؛ الرابعة عشر : ليس هو التذكر في لغتنا ؛ الخامسة عشر : أنه مقام الخاصة.

العاشرة ؛ الأولى : وعد المحسنين بتعجيل ثواب الدنيا ؛ الثانية : بيان سهولة ما يظن صعوبته ؛ الثالثة : ما في

إضافة الأرض إلى الله من الفوائد ؛ الرابعة : في ذكر سعتها ؛ الخامسة : لا عذر للعاصي في التعلل بالوطن ؛ السادسة : هذا الثواب الجزيل للصبر ؛ السابعة : أن هذا من التقوى.

الثامنة : أن إضافة العباد إليه ، الإضافة الخاصة لا العامة ؛ التاسعة : أن هذا من مقتضيات تلك العبودية ؛ العاشرة : أنه من مقتضى الإيمان ؛ الحادية عشر : الأمر بوعظهم بهذا.

الحادية عشر ؛ الأولى : قوله للخصم واللائم ، أين أمرت بهذا؟ الثانية : قوله لهما أمرت بهذا ؛ الثالثة ، قوله لهما : إني أخاف هذا ؛ الرابعة قوله لهما : (الله اعبد) هكذا (فاعبدوا ما شئتم من دونه) [الزمر : ١٤] الخامسة قوله لهما : (إن الخاسرين) إلخ [الزمر : ١٥ ، ١٦].

الثانية عشر ؛ الأولى : تبشير الذين جمعوا بين الترك والفعل ؛ الثانية : التنبيه على أن من شروطه أن يكون إلى الله وحده ؛ الثالثة : الأمر بتبشير هؤلاء ، ففيه قوله : « بشروا ولا تنفروا ».

الرابعة : الاستماع ثم الاتباع ؛ الخامسة : صفة الاتباع ، ففيه قوله : « يسروا ولا تعسروا » السادسة : أن فيه حسن وأحسن ، خلافاً لمن منعه ؛ السابعة : الرد على طريقة الذين في قلوبهم زيغ.

الثامنة : التحذير من فتنة جدال منافق بالقرآن ؛ التاسعة : التحذير من طريقة المعرضين ؛ العاشرة تخصيص

هؤلاء بالهداية ؛ الحادية عشر : التحذير من العجب ، لإضافة الهداية إليه ؛ الثانية عشر : أتباع النقل هم أهل العقل لا غيرهم.

الثالثة عشر ؛ الأولى : فيها الإيمان بالقدر ؛ الثانية : صفة الكلام ؛ الثالثة : تعريف الفرق بين الطائفتين بالعقل ؛ الرابعة : تقرير التوحيد ، بقوله : (أفأنت تنقذ من في النار) [الزمر : ١٩] ؛ الخامسة : تعزية المؤمن ؛ السادسة : الوعد الذي لا نظير له في القرآن ؛ السابعة إضافة الوعد إلى الله ؛ الثامنة : وصف نفسه بأنه لا يخلف الميعاد.

الرابعة عشر : الدلالة الواضحة على التوحيد ؛ الثانية : الدلالة على سعة الجود ؛ الثالثة : إحاطة العلم ؛ الرابعة : القدرة التامة ؛ الخامسة : استفهام التقرير ؛ السادسة : مع هذا الوضوح البين ، فمحجوب إلا عن أولي الألباب.

الخامسة عشر : استفهام التقرير ؛ الثانية : أنه سبحانه هو الذي يشرحه للإسلام ؛ الثالثة : التنبيه على الأدلة العقلية ، بالفرق بين العالم والجاهل ، والحب والبغض ؛ الرابعة : أن ذلك بالنور المضاف إلى ربه ؛ الخامسة ذكر الضد ، وهم القاسية قلوبهم عن ذكر الله ؛ السادسة : أنهم أصحاب الجهل الواضح.

السادسة عشر : أنه أحسن الحديث ، فمن طلب الحديث دل عليه ؛ الثانية : أن هذا الحديث كتاباً ؛ الثالثة : أن ذلك الكتاب متشابهاً ؛ الرابعة : أنه مثاني ؛ الخامسة : تأثيره هذا

الأثر في قلوب هؤلاء وجلودهم ؛ السادسة : الجمع بين الخوف والرجاء ؛ السابعة : حصر الهدى فيه ؛ الثامنة : أن ذلك الهدى مضاف إلى الله .

التاسعة : أن الله سبحانه هو الذي ينفع بمشيئته وإحسانه ، لا بقوة الفهم ؛ العاشرة : إثبات القدر ؛ الحادية عشر : فيه إشارة إلى قوله : « ألقى عليهم من نوره ؛ فمن أصابه ذلك النور اهتدى ، ومن أخطأه ضل » ولو كان أفهم الناس وأحرصهم.

السابعة عشر ، والآيتان بعدها : اتقاء سوء العذاب بالوجه ؛ الثانية : استفهام التقرير مع الحذف ؛ الثالثة : أن عقوبة الشيء تسمى باسمه ؛ الرابعة : الإخبار بعذابهم من حيث لا يشعرون ، بضد من يرزقه من حيث لا يحتسب ؛ الخامسة : التصريح بالعقوبة في الدارين ؛ السادسة : أن العقوبة الأولى ، ليست من جنس عقوبة المسلم التي لا تعاد عليه ؛ السابعة : نفي العلم عنهم.

العشرون ، والتي بعدها ؛ الأولى : ما ذكر الله أنه ضرب فيه من كل مثل ؛ الثانية : أن ذلك للناس كلهم لا يستثنى أحد ؛ الثالثة : أن الحكمة تذكرهم ؛ الرابعة : أنه قرآن ؛ الخامسة : أنه عربي ؛ السادسة : نفي العوج عنه ؛ السابعة : أن الحكمة حصول التقوى منهم.

الثانية والعشرون ، والتي بعدها ، فيها : ضرب المثل الجلي في بيان التوحيد ؛ الثانية : بيان الشرك ؛ الثالثة : حمده

نفسه على هذا البيان ؛ الرابعة : أن الأكثر جهال ، مع وضوح هذا الدليل.

الرابعة والعشرون ، والتي بعدها ؛ الأولى : تسلية المحق ؛ الثانية : وعظ المبطل ؛ الثالثة : الاختصام فيما وقع من الاختلاف ؛ الرابعة : أن ذلك عنده تبارك وتعالى.

السادسة والعشرون ؛ الأولى : أن الظلم يتفاوت ؛ الثانية : أن أعظمه الكذب على الله ؛ والتكذيب بالصدق ؛ الثالثة : معرفة الفرق بين النوعين ، وأنهما يجتمعان ويفترقان ؛ الرابعة : أن ذلك كفر.

السابعة والعشرون ؛ الأولى : تفسير التقوى ، وهذا أحسن ما فسرت به ؛ الثانية الإتيان بالصدق إن كان مخبراً ؛ الثالثة التصديق به إن كان سامعاً.

الثامنة والعشرون : بيان أن التقوى هي الإحسان ؛ الثانية أن الربوبية عامة وخاصة ؛ الثالثة : الرد على الجبرية ؛ الرابعة : الرد على منكري الأسباب.

التاسعة والعشرون ؛ الأولى : بيان مذهب أهل السنة ؛ الثانية : الرد على الرافضة ؛ الثالثة : الرد على من جعلها خاصة ؛ الرابعة : الرد على الوعيدية ، من الخوارج والمعتزلة.

الثلاثون : استفهام التقرير ؛ الثانية : العبودية الخاصة ، هي التي معها الكفاية ؛ الثالثة : التخويف لمن دونه من صفات هؤلاء ؛ الرابعة : التفرد بالهداية والإضلال ؛

الخامسة : ذكر العزة في هذا المقام ؛ السادسة : الوصف بالانتقام فيه.

الحادية والثلاثون ؛ الأولى : بيان أن عندهم من العلم ما تقوم به الحجة ؛ الثانية : أن المجمع عليه يدل على المختلف فيه ؛ الثالثة : مجادلة المبطل بالحق الذي يسلمه ؛ الرابعة : أنه تسليم لا يجحدونه ، بل يقرون به للخصم ؛ الخامسة : التعجب من الإنكار ، مع هذا الإقرار.

السادسة : الالزام الذي لا محيد عنه ؛ السابعة : أنه كاشف لشبههم ؛ الثامنة : قوله لهم (حسبي الله) التاسعة : الإخبار بأنه حقيقة أن يتوكل عليه كل عاقل ؛ العاشرة : كون التوكل لا يستقيم إلا خالصاً.

الثانية والثلاثون ؛ الأولى : كونه مأموراً بقوله : (اعملوا) الثانية : مخاطبتهم يا قوم ؛ الثالثة : إخبارهم بأنه عامل بما كرهوا ؛ الرابعة : آية النبوة وهي إخبارهم حينئذ بهذا ثم وقع ؛ الخامسة : ما فيه من الموعظة ؛ السادسة : الفرق بين العذاب المخزي ، والعذاب المقيم.

الثالثة والثلاثون ؛ الأولى : ذكر إنزال الكتاب عليه ؛ الثانية : أن ذلك للناس ؛ الثالثة : أن ذلك بالحق ؛ الرابعة : أن من اهتدى فلنفسه ؛ الخامسة : أن ضلاله عليها ؛ السادسة : تعزيته أن الهدى ليس عليه.

الرابعة والثلاثون ، الأولى : ما ذكر من الآيات في التوفي ؛ الثانية : أن النوم وفاة ؛ الثالثة : ما في الإمساك

والإرسال ؛ الرابعة : أن فيه آيات متعددة ؛ الخامسة : أن تلك الآيات للمتفكرين.

الخامسة والثلاثون : استفهام الإنكار ، الثانية : الاتخاذ ؛ الثالثة : من دونه ؛ الرابعة : شفعاء ؛ الخامسة : الأمر له بتبليغهم هذا الجواب ؛ السادسة : أن ذلك تفعلون هذا ، مع كونهم هكذا.

السادسة والثلاثون : أن الشفاعة كلها له ، ومعرفة هذه بمعرفة صفة الشفاعتين ؛ الثانية : الأمر بتبليغهم هذه الحجة ؛ الثالثة : الاحتجاج على ذلك بملك السموات والأرض ؛ الرابعة : الرجوع إليه.

السابعة والثلاثون : هذه العجيبة ؛ وهي : الاشمئزاز من هذا ، والاستبشار بذلك . الثانية : أن الشرك وعدم الإيمان بالآخرة متلازمان ؛ الثالثة : أن الثاني أصل الأول.

الثامنة والثلاثون : الأمر بهذا الدعاء ؛ الثانية : ما فيه من التسلية للمحق ؛ الثالثة : الموعظة للمبطل ؛ الرابعة : أن كمال الملك ، وكمال العلم ، يقتضي ذلك.

التاسعة والثلاثون ، والتي بعدها : ذكر هذا الخبر المزعج ؛ الثانية : الإخبار بما بدا لهم ، وهذه التي أبكت ابن المنكدر[1] عند الموت ؛ الثالثة : أنهم لا يعرفون قبح أعمالهم الآن ، بل لعلهم يستحسنونها ؛ الرابعة : الإخبار بأن ما

---

(١) هو محمد بن المنكدر التيمي ، رحمه الله.

حتقروه ، واستهزؤوا به ، صار هكذا ؛ الخامسة : تسمية العذاب باسم سببه ؛ السادسة أن هذه أربع جمل ، كل جملة مستقلة.

الحادية والأربعون : وصف الإنسان بهذه العجيبة ؛ الثانية : أن هذا من أبطل الباطل ؛ الثالثة : أن الحق أن ذلك فتنة ، الرابعة : التسجيل على السواد الأعظم بالجهل ؛ الخامسة : أن الدعاء في الضرورة لا مدح فيه ؛ السادسة : أن الإجابة فيه لا تدل على الإكرام ؛ السابعة : أن عطاء نعمة الدنيا كذلك.

الثانية والأربعون ، وآيتان بعدها : كون القلوب إذا تشابهت ، فالأعمال كذلك ؛ الثانية : الاعتبار بمن تقدم ؛ الثالثة : أن كسب غير الطاعات ، لا يغني من الله شيئاً.

الرابعة : أن ذلك الكسب ، قد يكون عند الناس من أعظم الفخار ؛ الخامسة : التصريح بالقياس الجلي ، أن هؤلاء كمن قبلهم ؛ السادسة : التذكير بضعفك ، وقوة الطالب.

السابعة : الاستدلال بالعموم ؛ الثامنة : ذكر جهل من لم يفهم هذا الاستدلال ؛ التاسعة : تذكير الخصم بالقاعدة المسلمة ، إذا لم[1] العاشرة : ذكر تناقض الخصم ؛ الحادية عشر : في قبضه وبسطه آيات متعددة ؛ الثانية عشر : أن تلك الآيات لأهل العلم.

---

(١) بياض بالأصول ، ولعله [يذكرها].

الخامسة والأربعون : قيل إنها أرجى ما في القرآن ؛ الثانية : فيها الرد على من استثنى بعض الكبائر ؛ الثالثة : تعليل ذلك بالأسماء والصفات ؛ الرابعة : النهي عن القنوط ؛ الخامسة : أن إسراف العبد وباله على نفسه ؛ السادسة : الفرق بين المغفرة والرحمة.

السادسة والأربعون ، وخمس آيات بعدها : الأمر بالإنابة ؛ الثانية : الأمر بالإسلام ؛ الثالثة : الفرق بينهما ؛ الرابعة : كون الأولى بإلى ، والثانية باللام ؛ الخامسة : تفسير الآيات قبلها ؛ السادسة : التنبيه على انتهاز الفرصة ؛ السابعة : الوعيد الشديد.

الثامنة : الأمر باتباع المنزل خاصة ؛ التاسعة : الأمر باتباع الأحسن ؛ العاشرة : فيه الرد على من أنكر تفاضل كلام الله ؛ الحادية عشر : إغراء العبد بأن ذلك المنزل منزل إليه ؛ الثانية عشر : كونه من ربه ؛ الثالثة عشر : فيه الإنذار عن البغتة.

الرابعة عشر : فيه بيان أنهم لا يشعرون بذلك ؛ الخامسة عشر : ذكر تحسر النفس على ما كرهت الآن ؛ السادسة عشر : معرفتها أنه تفريط في جنب الله ؛ السابعة عشر : معرفتها بأنها سخرت مما لا يسخر منه.

الثامنة عشر : عرفت أنها من هذه الطائفة ؛ التاسعة عشر : تحسرها أن تكون من هذه الطائفة التي كرهتها ، وسخرت منها ؛ العشرون : ذكر تمني الكره ؛ الثانية

والعشرون : رؤية العذاب حينئذ ؛ الثالثة والعشرون : تمنى الكره لكونها من أولئك.

الرابعة والعشرون : أن الإحسان هو التقوى ؛ الخامسة والعشـرون : التكـذيـب بـالآيـات ؛ السـادسـة العشـرون : الاستكبار ؛ السابعة والعشرون : الكفران ، وكونه من هذه الطائفة ؛ الثامنة والعشرون : أن المعاصي بريد الكفر ، والتكذيب ، والاستكبار.

الثانية والخمسون : كبر الكذب على الله ؛ الثانية : أن أصل ذلك الكبر ؛ الثالثة الوعيد بهذا الاستفهام.

الثالثة والخمسون ، وآيتان بعدها : سبب النجاة ؛ الثانية : الفرق بين الحزن ومس السوء ؛ الثالثة : الاستدلال بالقاعدة الكلية ، وهي : خلق كل شيء على المسائل الجزئية ؛ الرابعة : كذلك استدل بوكالته على كل شيء ؛ الخامسة : كذلك بأن مقاليدهما له ؛ السادسة : انحصار الخسارة في هؤلاء.

السادسة والخمسون : وأربع بعدها ، فيها أنواع من بطلان الشرك ، وتقبيحه ؛ الأول : استفهام الإنكار ؛ الثاني : كيف يؤمر بهذا لغير الله ؛ الثالث : التسجيل عليهم بالجهل ؛ الرابع : ما جاء من السمعيات ، أنه أوحى إليك بهذا الأمر العظيم.

الخامس : أنه أوحاه إلى من قبلك ، السادس : أن أقرب الخلائق منزلة ، لو يفعله لم يسامح ؛ السابع : أن

الحسنات وإن كثرت إذا وجد لم يبق منها شيء ؛ الثامن : كون ذلك المقرب لو يفعله ، لم يكف بطلان عمله ، بل صار من أولئك ؛ التاسع : الأمر بإخلاص هذا النوع لمن لا يستحقه إلا هو.

العاشر : أن كون العبد من الشاكرين ، مستحسن عقلاً وشرعاً ، ولا يصل إليه إلا بذلك ؛ الحادي عشر : كون ذلك جرى ، لكونهم لم يعرفوا الله ؛ الثاني عشر : تعريف عباده بعظمته ، بما ذكر في الأرضين السبع ؛ الثالث عشر : تعريفهم ذلك بما ذكر في السماوات ؛ الرابع عشر : تسبيحه نفسه عما تقربوا به إليه ؛ الخامس عشر : تعاليه عن ذلك ؛ السادس عشر : نسبته إليهم.

الستون ، وما بعدها إلى آخرها ؛ فيها : النفخة الأولى ؛ الثانية : صعق أهل السماوات والأرض ، الثالثة المستثنون ؛ الرابعة : النفخة الثانية ؛ الخامسة : إذا الفجائية ؛ السادسة : إتيان الرب سبحانه ؛ السابعة : إشراق الأرض بنوره ؛ الثامنة : إضافتها إليها ؛ التاسعة : وضع الكتاب.

العاشرة : الإتيان بالنبيين ؛ الحادية عشر : الإتيان بالشهداء ؛ الثانية عشر : قضي بينهم بالحق ؛ الثالثة عشر : توفية كل نفس عملها ؛ الرابعة عشر : بيان أنه لا يقع في الخصومات شيء مما يقع في الدنيا ، لكونه أعلم.

الخامسة عشر : سياقه الكفار ؛ السادسة عشر : كونهم زمراً ؛ السابعة عشر : فتح أبوابها وقت مجيئهم ؛ الثامنة

عشر : تقريع الخزنة لهم ؛ التاسعة عشر : كون كل رسول يتلو الآيات ؛ العشرون : كونه ينذر بذلك اليوم.

الحادية والعشرون : كون الرسالة عمت ؛ الثانية والعشرون : اعترافهم بقرب الفهم ؛ وأن الذي منعهم : كون كلمة العذاب حقت على من كفر ؛ الثالثة والعشرون : قول الخزنة ادخلوها خالدين ؛ الرابعة والعشرون : بيان أن التكبر سبب الكفر.

الخامسة والعشرون : سوق أهل الجنة ؛ السادسة والعشرون : كونهم زمراً ؛ السابعة والعشرون : حذف الجواب ؛ الثامنة والعشرون : فتح الأبواب ؛ التاسعة والعشرون : تسليم الملائكة ؛ الثلاثون : قولهم (طبتم فادخلوها) ؛ الحادية والثلاثون : الخلود.

الثانية والثلاثون : قولهم (الحمد لله) إلخ ، حمدوا على صدق الوعد ؛ الثالثة والثلاثون : حمدوه على أنه أورثهم الأرض ؛ الرابعة والثلاثون : التبوء منها حيث شاءوا ؛ الخامسة والثلاثون : إثبات دخولها بالعمل ؛ السادسة والثلاثون أنها أجر العاملين.

السابعة والثلاثون : رؤية الملائكة حافين من حول العرش ؛ الثامنة والثلاثون : القضاء بالحق ؛ التاسعة والثلاثون : قول الخلائق كلهم : (الحمد لله رب العالمين).

وقال أيضاً الشيخ : محمد بن عبد الوهاب ، رحمه الله تعالى ، وقال مالك بن دينار ، عند قوله تعالى : (فويل

للقاسية قلوبهم) الآية [الزمر : ٢٢] ما ضرب عبد بعقوبة ، أعظم من قسوة القلب ، وما غضب الله على قوم ، إلا نزع عنهم الرحمة.

وقال أيضاً ، الشيخ : محمد ، في قوله في القرآن : (مثاني) [الزمر : ٢٣] أي : يثني فيه ذكر الوعد والوعيد ، والأمر والنهي ، والأخبار والأحكام ؛ وفي الحديث عن ابن مسعود ، قال : تلا رسول الله ﷺ ، قوله تعالى : (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه) [الزمر : ٢٢].

قلنا يا رسول الله : كيف الانشراح ؟ قال : « إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح » قلنا يا رسول الله : ما علامة ذلك ؟ قال : « الإنابة إلى دار الخلود ، والتجافي عن دار الغرور ، والتأهب للموت قبل نزوله ».

وقال الشيخ : محمد بن عبد الوهاب ، رحمه الله تعالى ، قوله تعالى : (قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ، ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) إلى قوله تعالى : (سبحانه وتعالى عما يشركون) [الزمر : ٦٥ ـ ٦٧].

فيه مسائل ؛ الأولى : الجواب عن قول المشركين : هذا في الأصنام ، وأما الصالحون ، فلا ؛ قوله : (قل أفغير الله) عام فيما سوى الله.

الثانية : أن المسلم إذا أطاع من أشار عليه في الظاهر ،

كفر ، ولو كان باطنه يعتقد الإيمان ، فإنهم لم يريدوا من النبي ﷺ تغيير عقيدته ؛ ففيه بيان لما يكثر وقوعه ، ممن ينتسب إلى الإسلام ، في إظهار الموافقة للمشركين ، خوفاً منهم ، ويظن أنه لا يكفر ، إذا كان قبله كارهاً له.

الثالثة : أن الجهل وسخافة العقل ، هو موافقتهم في الظاهر ؛ وأن العقل والفهم والذكاء هو التصريح بمخالفتهم ، ولو ذهب مالك ؛ خلافاً لما عليه أهل الجهل ، من اعتقاد أن بذل دينك لأجل مالك هو العقل ، وذلك في آخر الآية (أيها الجاهلون).

أما الآية الثانية ، ففيها مسائل أيضاً ؛ الأولى : شدة الحاجة إلى تعلم التوحيد ، فإذا كان الأنبياء يحتاجون إلى ذلك ، ويحرصون عليه ، فكيف بغيرهم ؟ ففيها : رد على الجهال ، الذين يعتقدون أنهم عرفوه ، فلا يحتاجون إلى تعلمه.

الثانية : المسألة الكبرى ، وهي : كشف شبهة علماء المشركين ، الذين يقولون : هذا شرك ، ولكن لا يكفر من فعله ، لكونه يؤدي الأركان الخمسة ؛ فإذا كان الأنبياء لو يفعلونه كفروا ، فكيف بغيرهم؟

الثالثة : أن الذي يكفر به المسلم ، ليس هو عقيدة القلب خاصة ، فإن هذا الذي ذكرهم الله ، لم يريدوا منه ﷺ تغيير العقيدة كما تقدم ، بل إذا أطاع المسلم من أشار عليه بموافقتهم ، لأجل ماله ، أو بلده ، أو أهله ، مع كونه يعرف

كفرهم ، ويبغضهم ، فهذا كافر إلا من أكره.

وأما الآية الثالثة ، ففي الصحيح : أن رسول الله ﷺ قرأها على المنبر ، وقال : « إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين ، وتكون السماوات بيمينه » ثم ذكر تمجيد الرب تبارك وتعالى نفسه ، وأنه يقول : « أنا الجبار ، أنا المتكبر ، أنا الملك ، أنا العزيز ، أنا الكريم » قال ابن عمر فرجف برسول الله ﷺ ، حتى قلنا ليخرن به.

وفيها : ثلاث مسائل ؛ الأولى : التنبيه على سبب الشرك ؛ وهو : أن المشرك ظهر له شيء من جلالة الأنبياء والصالحين ، ولم يعرف الله سبحانه وتعالى ؛ وإلا لو عرفه ، لكفاه وشفاه عن المخلوق ، وهذا معنى قوله : (وما قدروا الله حق قدره) الآية [الزمر : ٦٧].

المسألة الثانية : ما ذكر الله تبارك وتعالى ، من عظمته وجلاله : أنه يوم القيامة يفعل هذا ، وهذا قدر ما تحتمله العقول ، وإلا فعظمة الله وجلاله أجل من أن يحيط بها عقل ، كما قال : « ما السماوات السبع ، والأرضون السبع ، في كف الرحمن ، إلا كخردلة في كف أحدكم ».

فمن هذا بعض عظمته وجلاله ، كيف يجعل في رتبة مخلوق لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ؟ هذا هو أظلم الظلم ، وأقبح الجهل ، كما قال العبد الصالح لابنه : (يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) ، [لقمان : ١٣].

الثالثة : أن آخر الآية ، وهو قوله : (سبحانه وتعالى

عما يشركون) ينبهك على الحكمة في كونه سبحانه : يغفر الكبائر ، ولا يغفر الشرك ؛ وتزرع بغض الشرك وأهله ، ومعاداتهم في قلبك.

وذلك : أن أكبر مسبة بعض الصحابة ــ مثل أبي بكر وعمر ــ لو يجعل في منزلته بعض ملوك زماننا ، مثل سليمان أو غيره ، مع كون الكل منهم آدمي ، والكل ينتسب إلى دين محمد ، والكل يأتي بالشهادتين ، والكل يصوم رمضان ويصلي.

فإذا كان من أقبح المسبة لأبي بكر ، أن يسوى بينه وبين بعض الملوك في زماننا ، فكيف يجعل للمخلوق من الماء المهين ــ ولو كان نبياً ــ بعض حقوق من هذا بعض عظمته وجلاله ؟! من كونه يدعى كما يدعى ، ويخاف كما يخاف ، ويعتمد عليه كما يعتمد عليه.

هذا أعظم الظلم ، وأقبح المسبة لرب العالمين ؛ وذلك معنى قوله في آخر الآية : (سبحانه وتعالى عما يشركون) ولكن رحم الله تعالى ، من تنبه لسر الكلام ، وهو المعنى الذي نزلت فيه هذه الآيات ، من كون المسلم يوافقهم في شيء من دينهم الظاهر ، مع كون القلب بخلاف ذلك.

فإن هذا هو الذي أرادوا من النبي ﷺ ، فأفهمه فهماً حسناً ، لعلك تعرف من دين إبراهيم عليه السلام ، الذي بادر أباه وقومه ، بالعداوة عنده ، والله أعلم.

[ومن سورة : الشورى]

سئل الشيخ : عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، رحمهما الله تعالى ، عن قوله تعالى : (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) [الشورى : ٢٣] من هم القربى الذي أمر بمودتهم ؟ وما تشتمل عليه المودة؟.

فأجاب : الآية فيها أقوال للمفسرين ؛ أولاها : ما قاله حبر الأمة وترجمان القرآن ، عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : أن المراد بذلك ، أن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا له فيه قرابة ، وقال : « إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة ».

كما أخرجه البخاري وغيره ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أنه سئل عن قوله : (إلا المودة في القربى) فقال سعيد بن جبير : قربى آل محمد ﷺ قال ابن عباس : عجلت ، إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة ، فقال : « إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة » وهو قول عكرمة ومجاهد ، وأبي مالك والشعبي ، وغيرهم.

فالمعنى : لا أسألكم مالاً ، ولا رئاسة ، ولكن أسألكم أن ترعوا حق قرابتي ، وتصدقوني فيما جئتكم به ، وتمسكوا عن أذيتي ، وأذية من تبعني.

والقول الثاني ، أن المعنى : إلا أن تتوددوا إلى الله بالتقرب إليه ؛ قاله غير واحد من المفسرين ، عن الحسن رحمه الله ، عنه.

والقول الثالث ، أن المعنى : إلا أن تتوددوا إلى بعضكم بعضاً ، وتصلوا قراباتكم ، قاله عبد الله بن القاسم.

والقول الرابع : أن المعنى ، يعني : أن تحفظوا قرابتي ، وتودوني ، وتصلوا رحمي ، وهي رواية عن ابن عباس ، وهو قول علي بن الحسين ، استشهد بهذه الآية حين سيق إلى الشام أسيراً ، وهو قول ابن جبير والسدي ، وعمرو بن شعيب.

وكل هذه الأقوال تحتمل هذه الآية ؛ وأولاها بالصواب : قول ابن عباس ، وعلي بن الحسين ، ومن معهما من المفسرين.

وأما القربى الذين أمر بمودتهم ، فأحق الناس بذلك : أهل البيت ، علي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، رضي الله عنهم ؛ ويدخل فيهم جميع ولد عبد المطلب ، كما قال زيد بن أرقم ، حين سأله حصين : من أهل بيته ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : نساؤه من أهل بيته.

ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده ؛ قال : ومن هم ؟ قال : آل علي ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عباس ، كما ذكره مسلم في صحيحه عنه ؛ وأما ما تشتمل عليه مودتهم ، فتشتمل على محبتهم وتوليهم ، وتوقيرهم واحترامهم ، وكف الأذى عنهم.

قال الشيخ : عبد اللطيف بن عبد الرحمن ، رحمهما الله تعالى ، تأمل قوله تعالى : (وكذلك أوحينا إليك روحاً من

أمرنا) [الشورى : ٥٢] كيف تجد فيها من إثبات النبوات وبراهينها ، وإثبات المعاد ، وإثبات الربوبية والإلٰهية ، والرد على القدرية النفاة ، والرد على القدرية المجبرة ، والرد على الجهمية القائلين بخلق القرآن ، واختصاص صراطه بالاستقامة دون ما سواه ، وإضافته إليه.

وفيها : بيان أهل الهداية والنور وإضافتهم إليه ؛ وفيها : الإيمان باليوم الآخر ؛ وفيها : حكمة دخول أداة التنبيه في آخر جملة ؛ وفيها : تفسير قوله تعالى : (ووجدك ضالاً فهدى) [الضحى : ٧] وفيها الرد على أهل المنطق في موضعين أو ثلاثة ، وهدم أصوله.

سورة الفتح

قال شيخ الإسلام : محمد بن عبد الوهاب ، أسكنه الله الفردوس الأعلى ، ذكر بعض الفوائد التي في قصة الحديبية ؛ منها ـ وهي أعظمها ـ تسمية الله ، لا إلٰه إلا الله : كلمة التقوى ، وجعلها أعداء الله كلمة الفجور ؛ الثانية : تفسير شيء من شهادة أن محمداً رسول الله ، لاستدلال أبي بكر على عمر ، لما أشكل عليه مسألة من أشكل المسائل.

الثالثة : عظمة أعمال القلوب عند الله ؛ لأن أهل الشجرة لم يبلغوا ذلك إلا بما علم الله في قلوبهم ؛ الرابعة : الخطر العظيم في أعمال القلوب ، لقوله ﷺ « كادوا أن يهلكوا » ؛ الخامسة : أنهم مع ذلك مجاهدين في الدين على زعمهم ، لم

يغضبوا إلا لله ، فلم تنفعهم النية الصالحة ؛ السادسة : حاجتهم إلى المدد الجديد ؛ فلولا أن الله أنزل السكينة عليهم ، لم يقو إيمانهم على تلك الفتنة.

السابعة : أن هذا من أعظم ما يعرفك حاجتك إلى الله ، في تثبيت القلب على الإيمان كل وقت ، بل تعرف حاجة الكمل إلى ذلك ؛ الثامنة : أن ذلك الجهاد محسوب من الآيات ، لقوله : فعملت لذلك أعمالاً ؛ التاسعة : اجتماع الأضداد في قلوب الكمل بعض الأحيان ، لقوله : وأنا أشهد أنه رسول الله.

العاشرة : أن أعلم الناس قد يفهم من النص ما لا يدل عليه ، لقوله : تحدثنا « أننا نأتي البيت » الحادية عشر : معرفة أنه يتصور أن أعلم الناس وأتقاهم ، قد يعصي النص الصريح ، لقوله : « قوموا فانحروا » فلم يفعلوا.

الثانية عشر ، معرفة قوله : (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) الثالثة عشر معرفة قوله : (وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم) [البقرة : ٢١٦] الرابعة عشر : أن ذلك الذي يحب قد تصير عاقبته بالعكس في نفس القضية ؛ الخامسة عشر : أن المكروه قد تصير عاقبته كذلك في القضية ؛ السادسة عشر : أن الله يبتلي بما تعجز عنه عقول أكبر العلماء.

السابعة عشر : معرفة رفع الله من تواضع لأجله ؛ الثامنة عشر : معرفة إذلال الله من تعزز بمعصيته ؛ التاسعة عشر :

معرفة فضيلة التسليم للشارع فيما لم يدرك العقل ؛ العشرون : اختلاف علم أكابر العلماء في ذلك.

الحادية والعشرون : أنهم لم يصلوا إلى السلامة فضلاً عن الفضائل ، إلا بعفو الله ؛ الثانية والعشرون : رأفته ﷺ ورحمته حيث لم يغضب ؛ الثالثة والعشرون : الفرق بين ذلك وبين غضبه في فسخ العمرة.

الرابعة والعشرون : ما أعطوه من قوة الإيمان ، لصبر أبي جندل واحتسابه ؛ الخامسة والعشرون : من غزارة العلم والأدب ، لقصة عثمان ؛ السادسة والعشرون ، قول عمر : أخافهم على نفسي ليس من الخوف المذموم.

السابعة والعشرون ، قوله : ليس فيها من بني عدي من يمنعني ، ليس من ترك التوكل على الله ؛ الثامنة والعشرون : قيام المغيرة على رأسه ، ليس من القيام المكروه ؛ التاسعة والعشرون : فعله بعروة بالسيف ليس مما يكره ؛ الثلاثون : قول أبي بكر لعروة ، ليس من الفحش المذموم.

الحادية والثلاثون ، قولهم : خلأت القصوى ؛ ليس من الخطأ المذموم ؛ الثانية والثلاثون : مراءاتهم الكناني بالتلبية والهدى ، ليس من الرياء المذموم ؛ الثالثة والثلاثون : فعلهم من النخامة والوضوء والشعر ، ليس من الغلو المذموم ؛ الرابعة والثلاثون : شكواهم قلة الماء ، ليس من الشكوى المذمومة.

الخامسة والثلاثون : الإشارة إلى رسول الله ﷺ بغير

رأيه ، ليس من التقدم المذموم ؛ السادسة والثلاثون : الانتفاع بالكفار في بعض الأمور ، ليس مذموماً ، لقصة الخزاعي ؛ السابعة والثلاثون : الوثوق بخبر الكافر في بعض أمور المسلمين ، ليس مذموماً.

الثامنة والثلاثون : إخبار الكافر وأمره ببعض مصالحه ، في مثل قوله : « نهكتهم الحرب » ليس مذموماً ؛ التاسعة والثلاثون : إشارة عمر لأبي جندل في قتل أبيه ، ليس مذموماً ؛ الأربعون : الإشارة إلى الفرار ، لمثل أبي بصير ، لقوله : « ويل أمه » ليس من الخيانة.

الحادية والأربعون : محاربته ومن معه لقريش ، مع كونهم في الذمة لا بأس به ، وليس من الإخفار المذموم ؛ الثانية والأربعون : حكم الله في عدم رد النساء ، وإعطاء الزوج الصداق لا نقص فيه ؛ الثالثة والأربعون : مراجعته ﷺ في بعض المسائل ، لقول عمر : أفتح هو؟.

الرابعة والأربعون : قبول رأي المرأة بعض الأحيان لا نقص فيه ؛ الخامسة والأربعون قد يكون رأيها هو الصواب ؛ السادسة والأربعون : شدة الحاجة إلى المشاورة.

السابعة والأربعون : الصلاة في آثار الأنبياء إذا مر ولم يكثر منه ، ليس من الغلو المذموم ؛ الثامنة والأربعون : كون الصحابة لا يكترثون بحفظها ؛ التاسعة والأربعون : إظهار الهيئة عند رسل الكفار ، ليس من الرياء المذموم ، الخمسون

أن إظهار العمل الصالح بعض الأحيان للناس ليس مذموماً ، لقول عثمان لهم : لا أطوفن.

الحادية والخمسون : ما أعطى الصحابة من الشدة في أمر الله ، حين حرصوا على قتالهم على هذه الحالة ، وصعب عليهم تركه ؛ الثانية والخمسون : شدة كراهتهم لما ظنوا أن فيه على الملة غضاضة ؛ الثالثة والخمسون : مبايعتهم على الموت والحالة هذه.

الرابعة والخمسون : شدة تعظيمهم لنبيهم ولربهم معه ؛ الخامسة والخمسون : ما أعطوا من دقة الفهم وغزارة العلم ، وفهم أبي بكر وعثمان ؛ السادسة والخمسون : ما فيهم من خشية الله ، لقول عمر : فعملت لذلك أعمالاً.

السابعة والخمسون : ما أعطوا من الرجاء ، لقول عمر لأبي جندل : إن الله جاعل لك فرجاً ؛ الثامنة والخمسون : ما أعطوا من المحبة ، كما يفهم من غير موضع ؛ التاسعة والخمسون : ما أعطوا من اليقين والثبات ؛ الستون : إكرامه إياهم بإلزامهم بالكلمة.

الحادية والستون : الثناء عليهم بكونهم أحق بها ؛ الثانية والستون : ثناؤه عليهم بكونهم أهلها ؛ الثالثة والستون : صدور ذلك عن علم وحكم ؛ الرابعة والستون : ما فيها من علامات النبوة التي يطول تعدادها ، ومن أراد ذلك فليتأمل سورة الفتح.

الخامسة والستون : بيان صدّيقيّة أبي بكر رضي الله

عنه ؛ السادسة والستون : قوة عمر ضي الله عنه ؛ السابعة والستون : فهم علي رضي الله عنه وأدبه ؛ الثامنة والستون : فضائل أناس منهم ، كابن عمر وابن سنان وسلمة والمغيرة[1] السبعون فضيلة هذه البيعة لقوله : « لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة ».

الحادية والسبعون : كون خيبر لهم خاصة[2] الثالثة والسبعون : فيها شاهد لمذهب أهل السنة في السكوت عما شجر بينهم ؛ الرابعة والسبعون : فيها شاهد لمذهبهم أيضاً ؛ وفي موالاتهم والترضي عنهم.

الخامسة والسبعون : فيها شاهد أنه يغفر لهم ما لا يغفر لغيرهم ، وأن أعظم ما كرهوا صار عاقبته : تكفير السيئات والخلود في الجنات ، وأغناهم وأغنى عيلاتهم بعد الفقر والعز ، الذي لم يخطر ببال أحد ؛ السادسة والسبعون : صلة الرحم تعم المسلم والكافر ؛ السابعة والسبعون : أن الكافر قد يسأل المسلم ما يعظم به حرمات الله.

الثامنة والسبعون : استحباب اليمين عند الحاجة ، لإقسامه ﷺ في هذه في غير موضع ؛ التاسعة والسبعون : أن الرفق بالرعية والإحسان إليهم ، لا ينافي تحميلهم ما يكرهون

---

(١) و (٢) كذا في الأصل في الموضعين، ولعله يريد فيهما الجمع بين مسألتين ، كعادته في جمع بعض المسائل.

عند الحاجة ؛ الثمانون : أن موافقة الكفار على شيء من هديهم يجوز عند الحاجة.

الحادية والثمانون : العبرة كون الكفار ولاة البيت ، ورسول الله ﷺ وأصحابه ممنوعون منه ؛ الثانية والثمانون : العبرة في كون الكفار الذين يحجون ويعتمرون ، والرسول ﷺ وأصحابه ممنوعون عنه.

الثالثة والثمانون : الإجماع على شرف العلم وذم الجهل ، لقولهم : اجلس إنما أنت أعرابي ؛ الرابعة والثمانون : الإجماع على كون أهل القرى خيراً من البادية ؛ الخامسة والثمانون : هديهم في بدء الكتاب باسمك اللهم ، بخلاف أكثر الناس اليوم[1] السابعة والثمانون : قولهم لو نعلم أنك رسول الله اتبعناك.

الثامنة والثمانون : امتناعهم من كتب هدى المسلمين ، وأمر رسول الله ﷺ في الكتاب ؛ التاسعة والثمانون : كون منهم قوم يتألهون ؛ التسعون : هرب الرجل لما رأى الهدى إعظاماً للمعصية.

الحادية والتسعون : إنكاره عليهم ، وقوله : ما على هذا وافقناكم أن يصد عن البيت. الثانية والتسعون : أن من دينهم أن لا يصد عن البيت أعدى العدو ؛ الثالثة والتسعون : أن عداوة الدين فوق كل عداوة.

---

(١) كذا بالأصل ، ولعله يريد الجمع بين مسألتين كما تقدم.

الرابعة والتسعون : ما أعطوا من العقول والنُّهَى ، يفهم من كلام عروة لهم وللنبي ﷺ ؛ الخامسة والتسعون : استقباحهم القطيعة ، لقوله : هل سمعت أن أحداً من العرب اجتاح أهله . . . إلخ ؟! وفعل بني أمية مع عثمان.

السادسة والتسعون : ترك المسلم قتل قريبه الكافر لا ينكر ، لفعل أبي جندل ؛ السابعة والتسعون : أن قتل المسلم أباه الكافر لا نقص لفعل عمر[1] ، الثامنة والتسعون : فهمه ﷺ من بروكها ما لم يفهموا ؛ التاسعة والتسعون : الاستسلام للأمر والوثوق بالله.

المائة : كونه أحسنهم ظناً في عثمان ؛ الحادية بعد المائة : حلمه ﷺ لما جرى بينهم ما جرى ؛ الثانية بعد المائة : استعمال الفأل ؛ الثالثة بعد المائة : حسن سياسته ﷺ مع المسلم والكافر ، يفهم من جوابه لعمر ، ومن قوله : « ابعثوا الهدى في وجهه ».

الرابعة بعد المائة : ما أكرمه الله تعالى به ، وشرفه به على الأنبياء ، من نزول أول سورة الفتح ، التي فيها (ليغفر لك الله) ؛ الخامسة بعد المائة : هوان الدنيا عنده ؛ السادسة بعد المائة : تغنيه بالقرآن ؛ السابعة بعد المائة : حاجته لنزول السكينة.

الثامنة بعد المائة : إلزام الله له كلمة التقوى ؛ التاسعة

(١) أي مع أبي جندب.

بعد المائة : إزالة المشكلات عن الصحابة ، العاشرة بعد المائة : سؤالهم إياه ما أشكل عليهم ، من كلام الله وكلامه.

الحادية عشر بعد المائة : صبره على أذى عروة ، الذي لم يصبر عليه المغيرة ، ولا أبو بكر ؛ الثانية عشر بعد المائة : قوله : « دعوهم يكون لهم بدء الغدر وثناؤه » الثالثة عشر بعد المائة : حلمه عمن أراد اغتياله غدراً ؛ الرابعة عشر بعد المائة : عمرته في أشهر الحج ؛ الخامسة عشر بعد المائة : جواز فسخ تسميتها إلى الجهاد.

السادسة عشر بعد المائة : حسن خلقه ﷺ مع أصحابه ، حتى يدع رأيه لرأيهم ؛ السابعة عشر بعد المائة : ليس ذلك من التقدم بين يديه ؛ الثامنة عشر بعد المائة : إهداء البدن في العمرة ؛ التاسعة عشر بعد المائة : تقليده ؛ العشرون بعد المائة : إشعاره.

الحادية والعشرون : الاشتراك فيه ؛ الثانية والعشرون : ما يفعل المحصر ؛ الثالثة والعشرون بعد المائة : كون الهدى أكل بأمره ﷺ ؛ الرابعة والعشرون : إهداؤه جمل أبي جهل مغايظة عليهم.

الخمسة والعشرون : جواز المصالحة عشر سنين للحاجة ؛ السادسة والعشرون : كون هذا الصلح فتحاً مبيناً ؛ السابعة والعشرون : أنه عند السلف وفي القرآن ، لا فتح مكة ؛ الثامنة والعشرون بعد المائة : نفي التسوية بين من أنفق وقاتل قبله وبين غيره.

التاسعة والعشرون : كون موضع الشجرة خفي عليهم العام الآتي ؛ الثلاثون بعد المائة : الصلاة في الحرم للنازل في الحل ؛ الحادية والثلاثون بعد المائة : سرعة فرج الله للمستضعفين ؛ الثانية والثلاثون : كون قريش[1] .

الثالثة والثلاثون : العجب دفع الله عن قريش العذاب بأبغض البغضاء إليهم ، وهم المسلمون بمكة ؛ الرابعة والثلاثون بعد المائة : كبر أذى المسلم عند الله ؛ الخامسة والثلاثون بعد المائة : لزوم الدية في قتل الخطأ .

السادسة والثلاثون : دخول أناس الجنة بسبب أبغض الناس إليهم ؛ السابعة والثلاثون بعد المائة : التنبيه على عدم احتقار الضعفاء ؛ التاسعة والثلاثون بعد المائة : لعل الله يعطيك الخير ويصرف عنك السوء بسببهم ؛ الأربعون بعد المائة : بركة الطاعة وإن كرهت .

سورة الحجرات

وله أيضاً قدس الله روحه ونور ضريحه .

بسم الله الرحمن الرحيم

(يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم ، يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا

---

(١) كذا بالأصل ، ولعله يريد يمنعونه وهو محرم .

أصواتكم فوق صوت النبي) الآية [الحجرات : ١ ، ٢] لما قدم وفد بني تميم ، قال أبو بكر : يا رسول الله أمر فلاناً ، وقال عمر : بل فلاناً ؛ قال ما أردت إلا خلافي ؛ قال : ما أردته ؛ فتجادلا حتى ارتفعت أصواتهما.

ففيه مسائل ، الأولى : الأدب مع رسول الله ﷺ وتعظيم حرمته ؛ الثانية : إذا كان هذا التغليظ في الشيخين ، فكيف بغيرهم ؟! الثالثة : اختلاف كلام المفسرين والمعنى واحد ، لكن كل رجل يصف نوعاً من التقدم.

الرابعة : الأمر بالتقوى في هذا الموضع ؛ الخامسة : الاستدلال بالأسماء الحسنى على المسألة ؛ السادسة : مسألة الإحباط وتقريره ؛ السابعة : وجوب طلب العلم ، بسبب أن هذا مع كونه سبباً للإحباط لا يفطن له ، فكيف بما هو أغلظ منه بكثير؟

الثامنة : قوله : (وأنتم لا تشعرون) أي : لا تدرون ، فإذا كان هذا فيمن لا يدري ، دل على وجوب التعلم والتحرز ، وأن الإنسان لا يعذر بالجهل ، في كثير من الأمور ؛ التاسعة : ما ترجم عليه البخاري ، بقوله : باب خوف المؤمن . . . إلخ.

قوله : (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) الآية [الحجرات : ٣].

فيه مسائل، الأولى : ثناء الله على أهل العمل ؛ الثانية : أن معنى امتحنها : هيأها ، فقد تبتلى بما تكره ، ويكون نعمة من الله يريد امتحان قلبك للتقوى ؛ الثالثة : استدل بها على أن من يكف عن المعصية ، مع منازعة النفس أفضل ممن لا يشتهيها ؛ الرابعة : وعد الله لأهل هذه الخصلة بالمغفرة والأجر العظيم ، فينزل ما يكرهون ويعطيهم ما يحبون.

قوله : (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات) إلى قوله : (غفور رحيم) [الحجرات : ٤ ، ٥].

فيه مسائل، الأولى : ذمه لمن أساء الأدب ؛ الثانية : ذكره أن أكثرهم لا يعقلون ، مع كونهم من أعقل الناس في ظنهم ؛ الثالثة : ذم العجلة ومدح التأني ؛ الرابعة : رأفة الله ورحمته بالعباد ولو عصوه ، لختمه الأدب بهذين الاسمين.

(يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) الآية [الحجرات : ٦] نزلت في رجل أخبر النبي ﷺ عن بعض المسلمين ، أنهم منعوا الزكاة ، فهمّ بغزوهم ، وكان كاذباً.

فيه مسائل، الأولى : كبر بهتان المسلم عند الله ، كيف فضح الله هذا بهذه الفضيحة الباقية إلى يوم القيامة ، مع كونه من الصحابة ؛ الثانية : معنى التبين وهو التثبت.

الثالثة : الأمر الذي نزلت فيه الآية ، وهو أمر المسلمين بعدم العجلة إذا جاءهم مثل هذا ، والنهي عن العجلة ؛ الرابعة : ذكر علة الحكم وهو الندم ؛ إذا أصابوا قوماً

بجهالة ؛ الخامسة : أن الله لم يأمر بتكذيب الفاسق ، ولكن أمر بالتثبت.

السادسة : استدل بها على أنه إذا عرف صدقه عمل به ، لانتفاء العلة ؛ السابعة : استدل بها على أن الخبر إذا أتى به أكثر من واحد ، فليس في الآية الأمر بالتبين فيه ؛ الثامنة : أن المؤمن يندم إذا تبين له خطؤه ؛ التاسعة : قتال مانعي الزكاة ، كما في آية السيف ؛ العاشرة : جباية النبي ﷺ الزكاة ، ولم يجعلها لأهل الأموال.

(واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم) إلى قوله : (عليم حكيم) [الحجرات : ٧ ، ٨].

فيه مسائل ؛ الأولى : كيف أمرهم بالعلم بأنه رسول الله ، وهم الصحابة ، فما أجلها من مسألة وأدلها على مسائل كثيرة.

الثانية : أنه لو يطيعهم في كثير من الأمر ، جرى ما جرى وهم الصحابة ، ففيها التسليم لأمر الله ، ومعرفة أنه هو المصلحة ، وتقديم الرأي عليه هو المضرة ؛ الثالثة : معنى العنت ، الضيق ، أي رأيكم يجر إلى الضيق عليكم.

الرابعة : أن ما بكم من الخير والصواب ، فليس ذلك من أنفسكم ؛ ولو وكلتم إليها جرى ما جرى ، فهو الذي حبب إليكم الإيمان ، وكره إليكم ضده ؛ الخامسة : فيه أن الأعمال من الإيمان ، ففيه الرد على الأشعرية ؛ السادسة : أن

تزيينه في القلوب نوع آخر غير المحبة.

السابعة: أن الكفر نوع، والفسوق نوع، والعصيان عام في جميع المعاصي؛ فمن الكفر شيء لا يخرج عن الملة، كقوله: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» ومنه الفسوق بالكبائر، فعلمت: إن ما أطلق عليه الكفر، أكبر من الكبائر ولو لم يخرج من الملة.

الثامنة: قوله: ﴿أولئك هم الراشدون﴾ ففيه أمران؛ أحدهما: أن الرشد فعل ما ذكر وترك ما ذكر؛ التاسعة: أن الرشد من غير حول منهم ولا قوة؛ العاشرة: ذكره تعالى أن ذلك فضل منه ونعمة، فكرر الأمر لأجل كبر المسألة؛ الحادية عشر: الفرق بين الفضل والنعمة.

الثانية عشر: ختم الآية بالاسمين الشريفين؛ الثالثة عشر: قرنه سبحانه بين العلم والحكمة؛ ويوضحه المثل: ما قرن شيء إلى شيء أزين من حلم إلى علم، وما قرن شيء إلى شيء أقبح من جهل إلى خرق؛ الرابعة عشر: أن نتيجة هذا الدلالة على التمسك بالوحي، والتحذير من الرأي المخالف، ولو من أعلم الناس؛ الخامسة عشر: التنبيه على لطفه بنا، وأنه أرحم بنا من أنفسنا.

﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾ إلى قوله: ﴿لعلكم ترحمون﴾ [الحجرات: ٩، ١٠][١].

---

(١) آخر ما وجد.

ومن سورة الذاريات

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن : وأما ما ذكرت من كلام ابن العربي المالكي في معنى قوله : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) [الذاريات : ٥٦] تأملته فوجدته قد اعتمد وعول في معنى هذه الآية ، على كلام القدرية المجبرة ، وغلط في زعمه : أن معناه لبعض أهل السنة :

وابن العربي إن لم يكن موافقاً لهم في أصل الجبر والقول به ، فقد يدخل عليهم كلامهم ، وكلام نظائرهم ، ولا ينكره ، بل يأخذ به ويقرره ، إما جهلاً منه بأنه مخالف لقول أهل السنة ، أو تقليداً لمن يحسن به الظن ، أو لأسباب أخر ؛ وليس هذا خاصاً به .

بل قد وقع فيه كثير من أتباع الأئمة ، المنتسبين إلى السنة ؛ فإن قوله في تفسير قوله تعالى : (إلا ليعبدون) : أي : إلا لتجري أفعالهم على مقتضى حكم المولى ، وإنما يخرج فعل العبد عن حكم المولى ، إذا كان مغلوباً ، والغالب لا يخرج شيء عن فعله ، وهو الله وحده ، انتهى .

وهذا الكلام بعينه هو كلام القدرية المجبرة فيما حكاه عنهم غير واحد ، وهذا التعليل هو تعليلهم بعينه .

وهذا القول ، يقتضي : أنه سبحانه خلق الشاكر ليشكر ، والفاجر ليفجر ، والكافر ليكفر ، فما خرج أحد عما خلق له على هذا القول ، لأن القدر جاء بذلك كله .

والقدرية المجبرة دعاهم لهذا فيما يزعمون : إبطال قول القدرية النفاة ، ومصادمتهم في قولهم : إن الإرادة هي الأمر ، يأمر بها الطائفتين ، فهؤلاء عبدوه : بأن أحدثوا إرادتهم وطاعتهم ؛ وهؤلاء عصوه : بأن أحدثوا إرادتهم ومعصيتهم.

وحاصل قولهم : إنكار القدر ، وأن الأمر أنف ؛ فقابلهم أولئك بالقول بالجبر ؛ وأنهم لا يخرجون من قدره وقضائه ، نظراً منهم إلى أن الأمر كائن بمشيئة الله وقدره ، وأنه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن.

وأنه تعالى خالق كل شيء ، وربه ومليكه ، ولا يكون في ملكه شيء إلا بقدرته وخلقه ومشيئته ، كما قال تعالى : (إنا كل شيء خلقناه بقدر) [القمر : ٤٩] (ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله) [الأنعام : ١١١] (ولو شاء ربك ما فعلوه) [الأنعام : ١١٢] (وما تشاءون إلا أن يشاء الله) [التكوير : ٢٩] ونحو ذلك من الآيات.

ولا ريب أن هذا أصل عظيم من أصول الإيمان ، لا بد منه في حصول الإيمان ، وبإنكاره ضلت القدرية النفاة ؛ وخالفوا جميع الصحابة وأئمة الإسلام ، ولكن لا بد معه من الإيمان بالإرادة الشرعية الدينية ، التي نزلت بها الكتب السماوية ، ودلت عليها النصوص النبوية.

وأئمة المسلمين قد أثبتوا هذه وهذه ، وذكروا الجمع بينهما ؛ وآمنوا بكلا الأصلين ، وفرقوا بين لام العلة الباعثة الفاعلة ، وبين لام الغاية والصيرورة والعاقبة.

والقرآن قد جاء ببيان اللامين ؛ فالأولى في قوله تعالى : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) [الذاريات : ٥٦] (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله) [النساء : ٦٤] (ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم) [البقرة : ١٨٥].

والثانية : في قوله تعالى : (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزنا) [القصص : ٨] (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً) [الأعراف : ١٧٩] (ولذلك خلقهم) [هود : ١١٩] على أحد القولين فمن نفى الإرادة الشرعية الأمرية ، فهو جبري ضال مبتدع ؛ ومن نفى الإرادة الكونية القدرية ، فهو قدري ضال مبتدع.

ومن قال : إن العبادة في قوله تعالى : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) [الذاريات : ٥٦] بمعنى : إلا لتجري أفعالهم على مقتضى إرادتي الكونية ، فقد أدخل جميع الخلق ، مؤمنهم وكافرهم ، برهم وفاجرهم ، في هذه العبادة ؛ وجعل عابد الأصنام والشيطان والأوثان ، عابداً للرحمن ، قائماً بما خلق الله له الإنس والجان.

لكن بمعنى جريان الإرادة القدرية الكونية عليهم ، لا بمعنى الاتحاد والحلول ، الذي قاله صاحب الفصوص ، وطائفة الاتحاد الكفار.

وقال ، قائلون بالجبر : لا شك أن الخلق يعبدون بجريان الأقدار عليهم ، يريدون أن ذلك هو المقصود بالآية ،

كما سيأتي في حكاية هذا عن غيرهم.

والعبادة وإن كانت لغة : أقصى غاية الذل والخضوع مطلقاً ، كما في قوله :

تُبَارِيْ عِتَاقاً نَاجِيَاتٍ وَأَتبَعَتْ وَظِيْفاً وَظِيْفاً فَوْقَ مَوْرٍ مُعَبَّدٍ[1]

فهي في الشرع أخص من ذلك ، لأنها اسم للطاعة والانقياد ، للأوامر الشرعية الدينية ، التي دعت إليها الرسل ، ودلت عليها الكتب السماوية ، كما فسر ابن عباس رضي الله عنهما ، قوله تعالى : (يا أيها الناس اعبدوا ربكم) [البقرة : ٢١] بتوحيده ، وإخلاص العبادة له ، نظراً منه إلى الحقيقة الشرعية ، لا إلى أصل الأوضاع اللغوية ، وقد اعترضه ابن جرير هنا ، بأصل الوضع واللغة.

والحق ما قاله ابن عباس ، خلافاً لابن جرير ، بدليل قوله تعالى : (ولا أنتم عابدون ما أعبد) وتعليلهم ما قالوه : بأن العبد لا يخرج عن فعل المولى ، إلا إذا كان المولى مغلوباً ، والله تعالى هو الغالب وحده ، أو نحو هذا التعليل.

فهذا قد احتجوا به على القدرية النفاة ، وهو احتجاج صحيح على من نفى القدر ، وزعم أن العبد يخلق أفعال نفسه ، لأن الله تعالى لا يعصى عنوة ، بل علمه وقدرته وعزته ؛ وحكمته وربوبيته العامة ، وكلماته التامة ، التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ، مانعة ومبطلة لقول القدرية النفاة.

---

(١) وتقدم ذكر قائله ومقصوده ، في صفحة ٣٧٨/ج/١٢.

فإن الصحابة قاطبة ، وسائر أهل السنة ، والجماعة : متفقون على أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

ويؤمنون بأن الله تبارك وتعالى : عالم بجميع الكائنات قبل أن تكون كيف تكون ؛ وغلاة منكري القدر قد أنكروا هذا العلم ، فكفرهم بذلك الأئمة أحمد وغيره.

وأما من قال : بإثبات القدر خيره وشره ، حلوه ومره ، فلا يلزمه ، ولا يَردُ عليه ما وَرَدَ على القدرية النفاة ، من لزوم خروج العبد عن فَعل المولى.

وإن قال : إن العبد قد يخرج عن الإرادة الدينية الشرعية ، إلى ما يضادها ، من المعاصي والكفر والفسوق ، فيكون بذلك مخالفاً للأوامر الشرعية ، وإن كان داخلاً تحت المشيئة الكونية القدرية ؛ فالخروج عن القدر والمشيئة نوع ، والخروج عن الأوامر الشرعية نوع آخر.

فالأول غير ممكن لجميع المخلوقات ، لجريان الأقدار عليهم طوعاً وكرهاً ؛ وأما الثاني فيقع من الأكثر (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) ولله سبحانه وتعالى في خروج الأكثر عن أمره ، حكمة يحبها ويرضاها ، لائقة بعلمه وحكمته ؛ وعدله وربوبيته ، يستحق أن يحمد عليها.

وقد رأيت لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، كلاماً حسناً في معنى قوله تعالى : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) [الذاريات : ٥٦] ذكر فيه ستة أقوال ؛ أحدها : قول نفاة الحكم كالأشاعرة ومن وافقهم ، كالقاضي

أبي يعلى ، وابن الزاغوني ، والجويني ، والباجي.

وهو قول جهم بن صفوان ومن اتبعه من المجبرة ، القائلين بنفي الحكمة ؛ وأنها تفضي إلى الحاجة ، فنفوا : أن يكون في القرآن لام كي ؛ وقالوا : يفعل ما يشاء لا لحكمة ، فأثبتوا القدرة والمشيئة ، وهذا تعظيم ، ونفوا الحكمة ، لظنهم أنها تستلزم الحاجة.

الثاني : قول المعتزلة ومن وافقهم ، وهو : أن الله تعالى يخلق ويأمر ، لحكمة تعود إلى العباد ، وهي نفعهم ، والإحسان إليهم ، فلم يخلق ولم يأمر إلا لذلك ، لكن قالوا بأنه يخلق من يتضرر بالخلق ، فتناقضوا بذلك.

ثم افترقوا على قولين ، من أنكر القدر ، ووضع لربه شرعاً بالتجويز والتعديل ، وهذا هو قول القدرية ؛ ومنهم : من أقر بالقدر ، وقال حكمته خفيت علينا ، وهذا قول ابن عقيل وغيره من المثبتين للقدر ؛ فهم يوافقون المعتزلة على إثبات الحكم ، وأنها ترجع إلى المخلوق ، ويقرون بالقدر.

الثالث : قول من أثبت حكمة تعود إلى الرب ، لكن بحسب علمه ، فقال : خلقهم ليعبدوه ويحمدوه ، فمن وجد منه ذلك فهو مخلوق ، وهم المؤمنون ، ومن لم يوجد منه ذلك فليس بمخلوق له ؛ قالوا : وهذه حكمة مقصودة ، وهي واقعة.

بخلاف الحكمة التي أثبتها المعتزلة ، فإنهم أثبتوا حكمة هي نفع للعباد ؛ ثم قالوا : خلق من علم أنه لا ينتفع

بالخلق ، بل يتضرر ، فتناقضوا ، كما تقدم.

ونحن أثبتنا حكمة ، علم أنها تقع ، فوقعت ، وقد يخلق ما يتضرر بالخلق لنفع الآخرين ، وفعل الشر القليل لأجل الخير الكثير حكمة ، كإنزال المطر لنفع العباد ، وإن تضرر البعض.

قالوا : وفي خلق الكفار وتعذيبهم ، اعتبار للمؤمنين وجهادهم ومصالحهم ، وهذا اختيار القاضي أبي حازم بن القاضي أبي يعلى.

قالوا : فقوله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ هو مخصوص بمن وقعت منه العبادة ، وهذا قول طائفة من السلف والخلف ، وهو قول الكرامية.

وعن سعيد بن المسيب في معنى الآية ، قال : ما خلقت من يعبدني إلا ليعبدني ، كذلك قال الضحاك والفراء وابن قتيبة : هذا خاص بأهل طاعته ، قال الضحاك : هي للمؤمنين ، وهذا اختيار أبي بكر ابن الطيب ، وأبي يعلى ، وغيرهما ممن يقول : إنه لا يفعل لعلة.

قالوا : واللفظ لأبي يعلى هذا بمعنى الخصوص لا العموم ، لأن البله والأطفال والمجانين ، لا يدخلون تحت الخطاب ، وإن كانوا من الإنس ، وكذلك الكفار بدليل قوله تعالى : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم ﴾ [الأعراف : ١٧٩] فمن خلق للشقاء لجهنم لم يخلق للعبادة.

قلت قوله : وهذا قول طائفة من السلف والخلف ،

يعني : القول بالتخصيص في الآية ، لا أصل القول الثالث.

ثم قال شيخ الإسلام : قلت قول الكرامية ومن وافقهم ، وإن كان أرجح من أقوال المعتزلة ، لما أثبتوه من حكمة الله ، وقولهم في تفسير الآية : وإن وافقوا فيه بعض السلف ، فهو قول ضعيف مخالف لقول الجمهور.

والقول الرابع : أنه على العموم ، لكن المراد بالعبادة تعبيده لهم وقهرهم ، ونفوذ قدرته ومشيئته فيهم ، وأنه أصارهم إلى ما خلقوا له ، من السعادة والشقاوة ، وفسروا العبادة بالتعبيد القدري ، وهذا يشبه قول من يقول من المتأخرين : أنا كافر برب يعصى ، فإنه جعل كل ما يقع من العباد طاعة ، كما قال قائلهم :

أصبحت منفعلاً لما يختاره   مني ففعلي كله طاعات

وأما هؤلاء : فجعلوا عبادة الله كون العباد تحت المشيئة ؛ وكان بعض شيوخهم يقول عن إبليس : إن كان قد عصى الأمر فقد أطاع القدر والمشيئة ؛ وما رواه ابن أبي حاتم ، عن زيد بن أسلم ، في قوله تعالى : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) [الذاريات : ٥٦] قال جبلهم على الشقاء والسعادة.

وقال وهب : جبلهم على الطاعة وجبلهم على المعصية ، وقد روى أيضاً عن طائفة نحوه ؛ وهؤلاء : وإن وافقوا من قبلهم في معنى الآية ، فهم ــ أعني : زيد بن أسلم ، ووهب بن منبه ــ من أعظم الناس تعظيماً للأمر

والنهي ، والوعد والوعيد ، وأما من قبلهم فهم إباحية ، يسقطون الأمر والنهي.

والقول الخامس ، قول من يقول : إلا ليخضعوا لي ويذلوا ؛ قال ، ومعنى العبادة في اللغة : الذل والانقياد ، وكل مخلوق من الجن والإنس ، خاضع لقضاء الله ، ومتذلل لمشيئته ، لا يملك أحد لنفسه خروجاً عما خلق له.

وقد ذكر أبو الفرج عن ابن عباس : إلا ليقروا بالعبادة طوعاً وكرهاً ، قال : وبيان هذا قوله : (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) [لقمان : ٢٥] وهذه الآية توافق قول من قال : إلا ليعرفوني ، كما سيأتي.

وهؤلاء الذين أقروا بأن الله خالقهم ، لم يقروا بذلك كرهاً ، بخلاف إسلامهم ، وخضوعهم له ، فإنه يكون كرهاً ؛ وأما نفس الإقرار ، فهو فطري فطروا عليه ، وبذلوه طوعاً.

وقال السدي : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) [الذاريات : ٥٦] قال : خلقهم للعبادة ، ولكن العبادة عبادة تنفع ، ومن العبادة عبادة لا تنفع (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض) الآية [لقمان : ٢٥] هذا منهم عبادة ، وليس ينفعهم مع شركهم ، وهذا المعنى صحيح.

ولكن المشرك يعبد الشيطان ، وما عدل به الله ، وهذا ليس مراد الآية ، فإن مجرد الإقرار بالصانع لا يسمى عبادة الله مع الشرك به ، ولكن يقال كما قال تعالى : (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) [يوسف : ١٠٦].

قال الشيخ : محمد بن عبد الوهاب ، أجزل الله له الأجر والثواب .

قوله : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) [المجادلة : ١١] خص سبحانه برفعه الأقدار ، والدرجات : الذين أوتوا العلم والإيمان ، واستشهد بهم ، في قوله : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم) [آل عمران : ١٨].

وأخبر عنهم : أنهم هم الذين يرون ما أنزل إلى رسوله هو الحق ، بقوله : (ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق) [سبأ : ٦] فدل على أن تعلم الحجة والقيام بها يرفع الله به درجات من يرفعها ، كما قال : (نرفع درجات من نشاء) [يوسف : ٧٦].

وقال زيد بن أسلم : بالعلم ترفع الأقدار والدرجات ، على قدر معاملة القلوب بالعلم والإيمان ؛ وكم من يختم القرآن في اليوم مرة أو مرتين ، وآخر لا ينام الليل ، وآخر لا يفطر ، وغيرهم أقل عبادة منهم ، وأرفع قدراً في قلوب الأمة .

فهذا كرز ابن وبرة ، وكهمس ، وابن طارق ، كانوا يختمون القرآن في الشهر تسعين مرة ، وحال سعيد بن المسيب وابن سيرين والحسن وغيرهم في القلوب أرفع ، ولذلك ترى كثيراً ممن يلبس الصوف ، ويهجر الشهوات ، ويتقشف ، وغيره مما لا يدانيه في ذلك .

وأهل العلم والإيمان ، أعظم في القلوب منه وأجل عند النفوس ، وما ذاك إلا لقوة المعاملة الباطنة وصفائها ، وخلوصها من شهوات النفوس ، وأكدار البشرية وطهارتها من الذنوب ، التي تكدر معاملة أولئك.

وإنما نالوا ذلك بقوة يقينهم بما جاء به الرسول ﷺ وكمال تصديقه في قلوبهم ، ووداده ومحبته ، وأن يكون الدين كله لله.

فإن من أرفع درجات القلوب ، فرحها التام بما جاء به الرسول ﷺ ، وابتهاجها وسرورها ، كما قال تعالى : (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك) [الرعد : ٣٦] وقال : (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا) [يونس : ٥٨] ففضل الله ورحمته القرآن والإيمان.

فمن فرح بأعظم مفروح بغيره ، فقد فرح بأعظم مفروح به ؛ ومن فرح بغيره ، فقد ظلم نفسه ، ووضع الفرح في غير موضعه.

فإذا استقر في القلب ، وتمكن منه العلم بكفايته لعبده ، ورحمته له ، وحلمه عنه ، وبره به ، وإحسانه إليه على الدوام ، أوجب له الفرح والسرور به ، أعظم من فرح كل محب بكل محبوب سواه ، فلا يزال مترقياً في درجات العلوم والارتفاع بحسب رقيه في هذه المعارف ، هذا في باب معرفة الأسماء والصفات.

وأما في باب فهم القرآن ، فهذا دائم التفكر في معانيه

والتدبر لألفاظه ، واستغنائه بمعاني القرآن وحكمه ، عن غيره من كلام الناس ، وإذا سمع شيئاً من كلام الناس ، وعلومهم عرضه على القرآن ، فإن شهد له بالتزكية والعدالة قبله وإلا رده ، وإن لم يشهد له بقبول ولا رد وقفه.

وهمته عاكفة على مراد ربه من كلامه ، ولا يجعل همته وقصده في تحصيل ما حجب به أكثر الناس ، من العلوم عن حقائق القرآن ، بالوسوسة في خروج حروف ، وترقيقها وتفخيمها وإمالتها ، والنطق بالمد الطويل والقصير والمتوسط وغير ذلك ؛ فإن هذا حائل للقلوب ، وقاطع لها عن فهم مراد الرب من كلامه.

وكذلك شغل النطق بأَءَنْذَرْتَهم ووجوهها ، وضم الميم من عليهم ، ووصلها بالوصل ، وكسر الهاء وضمها ونحو ذلك ، من شغل الزمان وتنقية النطق وصفاتها ، معرضها عن المقصود ، وكذلك مراعاة النغم وتحسين الصوت.

وكذلك تتبع أوجه الإعراب ، واستخراج التأويلات المستكرهة ، التي هي بالألغاز والأحاجي أشبه منها بالبيان ، وكذلك صرف الذهن إلى حكاية أقوال الناس ، ونتائج أفكارهم.

وكذلك تنزيل القرآن على قول من قلده في دينه أو مذهبه ، فهو يتعسف بكل طريق ، حتى يجعل القرآن تبعاً لمذهبهم ، وتقوية لقول إمامه ، وكل محجوبون بما لديهم عن فهم مراد الله من كلامه ، في كثير من ذلك أو أكثره.

وكذلك ظن من ظن ممن لم يقدر القرآن حق قدره ؛ أنه غير كاف ولا شاف ، ولا هاد في معرفة التوحيد ، والأسماء والصفات ، وما يجب لله وما ينزه عنه ؛ بل الكافي في ذلك عقول المتهوسين الحيارى ، الذين كلامهم قد خالف صريح القرآن مخالفة ظاهرة ؛ وهؤلاء من أغلظ الناس حجاباً عن فهم كتاب الله.

وقال الشيخ محمد ، قال شيخ الإسلام ، رحمه الله ، قوله : (إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً ، الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) [النساء : ٣٦ ، ٣٧] بكل ما ينفع في الدين والدنيا ، من مال أو علم أو غير ذلك ، فالبخل بالعلم الذي يمنعه المختال ، إما يختال فلا يطلبه ، وإما يختال على بعض الناس ، فلا يبذله ؛ وهذا كثيراً ما يقع ، وضده التواضع في طلبه والكرم ببذله.

سئل الشيخ : عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ، رحمه الله تعالى ، عن قوله تعالى : (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين) الآية ، [الممتحنة : ٨].

فأجاب : الذى يظهر أن هذا إخبار من الله جل ذكره لعباده المؤمنين ، بأنه لم ينههم عن البر والعدل والإنصاف ، ومعاملة أي كافر كان من أهل الملل ، إذا كان لم يقاتلهم في الدين ، ولم يخرجهم من ديارهم ، إذ العدل والإحسان والإنصاف مطلوب محبوب شرعاً ؛ ولذا علل هذا الحكم بقوله : (إن الله يحب المقسطين).

وأما قوله : (أن تبروهم) فقد قال بعض المعربين : إنه من الموصول بدل اشتمال ، وأن ما دخلت عليه في تأويل مصدر ، والتقدير (لا ينهاكم الله عن) برّ من لم يقاتل في الدين ؛ ولو قال هذا البعض : إنه بدل بدء ، لكان أظهر ، إذ لا يظهر الاشتمال بأنواعه التسعة .

هـذا ، والأظهـر عنـدي : أن لا بـدل مطلقـاً ، وأن الموصول معمول للمصدر المتأخر ، المأخوذ من أن وما دخلت عليه ؛ فالموصول إذاً في محل نصب بالمصدر المسبوك ، وتأخر العامل لا يضر ، وأما على البدلية فهو في محل جر .

وقوله : (إن الله يحب المقسطين) أكد الجملة هنا لمناسبة مقتضى الحال ، إذ المقام مظنة لغلط الأكثر ، ولتوهم خلاف المراد ، فاقتضى التأكيد ، والتوفية بالأداة ، كما يعلم من فن المعاني ؛ وقوله : (في الدين) في سببية كما في قوله : « دخلت النار امرأة في هرة » الحديث .

وسبب النزول : ما رواه الإمام أحمد في مسنده ، حدثناأبو معاوية ، حدثنا هشام بن عروة ، عن فاطمة بنت المنذر ، عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها ، قالت : قدمت أمي ــ وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا ــ فأتيت النبي ﷺ فقلت يا رسول الله : إن أمي قدمت وهي راغبة ، أفأصلها ؟ قال : « نعم صلي أمك » وهذا الحديث أخرجه البخاري ومسلم .

وفي بعض الطرق : أنها جاءت لابنتها بهدية ضباب ، وأقط ، وسمن ، فأبت أسماء أن تقبل منها وتدخل البيت ، حتى سألت النبي ﷺ ، فأنزل الله هذه الآية.

وأما قول ابن زيد وقتادة : إنها منسوخة ، فلا يظهر لوجوه ؛ منها : أن الجمع بينها وبين آية القتال ممكن غير متعذر ، ودعوى النسخ يصار إليها عند التعذر ، وعدم إمكان الجمع إن دل عليه دليل.

ومنها : أن السنة متظاهرة ، بطلب الإحسان والعدل مطلقاً ، ولا قائل بالنسخ ، لكن قد يجاب عن ابن زيد ، وقتادة ، بأن النسخ في كلاميهما بمعنى التخصيص ، وهو متجه على اصطلاح بعض السلف ، ولا شك أن القتال بالسيف وتوابعه من العقوبات ؛ والغلظة في محلها مخصوص من هذا العموم.

ووجه مناسبة الآية لما قبلها من الآي : أنه لما ذكر تعالى نهيه عباده المؤمنين ، عن اتخاذ عدوه وعدوهم ، أولياء يلقون إليهم بالمودة ، ثم ذكر حال خليله ومن آمن معه ، في قولهم ، وبراءتهم من قومهم المشركين ، حتى يؤمنوا.

وذكر أن لعباده المؤمنين أسوة حسنة ، خيف أن يتوهم أحد ، أو يظن أن البر والعدل داخلان في ضمن ما نهى عنه ، من الموالاة وأمر به من البراءة ، فناسب أن يدفع هذا بقوله : (لا ينهاكم الله) الآية.

قال الشيخ : محمد بن عبد الوهاب ، رحمه الله تعالى ، قال شيخ الإسلام : هذه تفسير آيات أشكلت ومنها قوله تعالى : (بأيكم المفتون) [القلم : ٦] حار فيها كثير ، والصواب المأثور عن السلف.

قال مجاهد : الشيطان ، وقال الحسن : هم أولى بالشيطان من نبي الله ؛ فبين المراد وإن لم يتكلم على اللفظ ، كعادة السلف في الاختصار من البلاغة وفهم المعنى ؛ وقال الضحاك : المجنون فإن من كان به الشيطان ففيه الجنون.

وعن الحسن : الضال ، وذلك أنهم لم يريدوا بالمجنون الذي يخرق ثيابه ويهذى ؛ بل لأن النبي ﷺ خالف أهل العقل في نظرهم ، كما يقال : ما لفلان عقل ؛ ومثل هذا رموا به أتباع الأنبياء كقوله تعالى : (وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون) [المطففين : ٣٢] ومثله في هذه الأمة كثير ، يسخرون من المؤمنين ؛ ويرمونهم بالجنون والعظائم ، التي هم أولى بها منهم.

قال الحسن : لقد رأيت رجالاً لو رأيتموهم لقلتم مجانين ، ولو رأوكم لقالوا : هؤلاء شياطين ؛ ولو رأوا خياركم ، لقالوا : هؤلاء لا خلاق لهم ، ولو رأوا شراركم ، لقالوا هؤلاء قوم لا يؤمنون بيوم الحساب ؛ وهذا كثير في كلام السلف ، يصفون أهل زمانهم وما هم عليه ، من مخالفة من تقدم ، فما الظن بأهل زماننا؟

والذين لم يفهموا هذا ، قالوا : الباء زائدة ، قاله ابن

قتيبة وغيره ؛ وهذا كثير ، كقوله : (سيعلمون غداً من الكذاب الأشر) [القمر : ٢٦] (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين) الآيات [الشعراء : ٢٢١ ـ ٢٢٣] (إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون ، فسوف تعلمون من يأتيه عذاب) الآيتين [هود : ٣٨ ، ٣٩].

وقال أيضاً الشيخ : محمد بن عبد الوهاب ، في الثلاث السور المتواليات ، سورة نوح ؛ وسورة الجن ؛ وسورة المزمل : الأولى قصة يغوث ويعوق ، أنهم صالحون ، ولا أرادوا إلا شفاعتهم ؛ ما عافوا دين آدم ، بل يزعمون أنهم عليه ؛ وهذا مما يعرف الإنسان بالشرك.

وفي الثانية ، والثالثة : الشهادتان ، شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، في قوله : لا تدعوا مع الله أحداً ، وقوله : (لا أملك لكم ضراً ولا رشداً) [الجن : ٢١].

وشهادة أن محمداً رسول الله ، في قوله تعالى : (إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم) [المزمل : ١٥] وهذا أول ما يجب تعلمه ، لما ذكر في سورة لقمان كلام لقمان لابنه ، ذكر أن قصص القرآن للناس إلى يوم القيامة ؛ فحال المثنى عليهم لعلك تعمل مثل عملهم ، والمذمومين لعلك تجتنب فعلهم.

لكن ذكر أنه أطلق من الأمر والنهي ، فكونه ذكر حال إبليس في الكبر ، أبلغ من قوله : لا تكبر ، وحال آدم في

قولهما (ربنا ظلمنا أنفسنا) [الأعراف : ٢٣] فأبلغ من قولك : الإنسان لا تعذر ، أقر ، وهذا أصل عظيم.

وقال أيضاً ، عفا الله عنه:

سورة الجن

بسم الله الرحمن الرحيم

روى الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه ، عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم ، فقالوا : مالكم ؟ فقالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب.

قالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء ، إلا شيء حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة ، إلى النبي ﷺ وهو بنخلة ، عامدين إلى سوق عكاظ ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر.

فلما سمعوا القرآن استمعوا له ، فقالوا : هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، فهناك حين رجعوا إلى قومهم (فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً) الآية ، فأنزل الله على نبيه ﷺ (قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً ، يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا)

[الجن : ١ ، ٢] يعني أنهم لما رجعوا إلى قومهم قالوا لهم هذا.

وقوله : (عجباً) أي : بليغاً في لفظه ومعناه (أنه استمع) بالفتح لأنه نائب فاعل أوحى ، و (إنا سمعنا) بالكسر لأنه محكي بعد القول ؛ وقوله : (يهدي إلى الرشد) أي : إلى الصواب وقيل : إلى التوحيد.

(وأنه تعالى جدُّ ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) [الجن : ٣] يقول : تعالى جلال الله وعظمته وغناه ، عن اتخاذ الصاحبة والولد ؛ وذلك أنهم لما سمعوا القرآن ، فهموا التوحيد وتنبهوا على الخطأ ، في عدم تنزيه الله عما لا يليق به ، فاستعظموا ذلك ونزهوه عنه.

وقوله : (وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططاً) [الجن : ٤] سفيههم إبليس قاله مجاهد ، وقيل هو أو غيره من مردة الجن ، والشطط مجاوزة الحد في الظلم أو غيره.

وقوله : (وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا) [الجن : ٥] يعني : أن في ظننا ، أن أحداً من الثقلين لن يفترى على الله ما ليس بحق ، فلسنا نصدقهم فيما أضافوا إليه من ذلك ؛ فلما سمعنا القرآن : تبين لنا افتراؤهم.

(وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) [الجن : ٦] ومعنى هذا : أن الرجل من العرب كان إذا أمسى في واد قفر ، وخاف ، قال : أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه ، يريد الجن وكبيرهم ، فلما سمع

ذلك الجن استكبروا ، وقالوا : سدنا الجن والإنس ، فذلك الرهق ؛ والرهق في كلام العرب : غشيان المحارم.

(وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً) [الجن : ٧] قيل : إنه مما حكى الله عن الجن ؛ أي : أن الإنس ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا ؛ وقيل : من كلام الله ، والضمير في (وأنهم ظنوا) للجن ؛ والخطاب في (ظننتم) للإنس.

(وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً ، وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً) [الجن : ٨ ، ٩] يؤخذ من قوله : (ملئت حرساً شديداً وشهباً) أن الحادث الملأ والكثرة ، وكذلك (مقاعد) أي : كنا نجد بعض المقاعد خالية من الحرس ، والآن ملئت المقاعد كلها ؛ ومعنى هذا : أنهم يذكرون سبب ضربهم في البلاد ، حتى عثروا على رسول الله ﷺ فعلموا أن الله أراد بهم رشداً.

(وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا) [الجن : ١١] يقولون : منا الصالحون ، ومنا قوم دون ذلك ، الآية ، والقدة من قد كالقطعة من قطع ، وصفت الطرائق بذلك ، لدلالتها على التقطع والتفرق ؛ قال الحسن : أمثالكم ، فمنهم قدرية ، ومرجئة ، ورافضة ؛ قال ابن كيسان : لكل فرقة هوى ، كأهواء الناس.

(وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا)

[الجن : ١٢] الظن هنا بمعنى اليقين ، وهذه صفة أحوال الجن وعقائدهم ، منهم أخيار وأشرار ، وأنهم يعتقدون أن الله عزيز غالب لا يفوته مطلب ، ولا ينجى عنه مهرب.

(وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقا) [الجن : ١٣] يقولون : لما سمعنا القرآن آمنا به ، وهذا يدل على أن الإيمان بالله ، هو والإيمان بالقرآن متلازمان ؛ والبخس : أن يبخس من حسناته ، والرهق أن يحمل عليه ذنب غيره.

(وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً ، وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) ، [الجن : ١٤ ، ١٥].

القاسطون : الكافرون ؛ يقال : قسط فهو قاسط ، إذا ظلم ؛ وأقسط فهو مقسط إذا عدل ؛ وروي أن الحجاج ، قال لسعيد بن جبير : ما تقول في؟ قال : قاسط عادل ، فقال القوم : ما أحسن ما قال ؛ فقال الحجاج : يا جهلة إنه سماني ظالماً مشركاً ؛ وتلا هذه الآية ، وقوله : (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) [الأنعام : ١].

(وألَّو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً ، لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعدا) [الجن : ١٦ ، ١٧] يقول لو استقاموا على طريقة الإسلام لوسعنا عليهم في الدنيا.

وذكر الماء الغدق ــ وهو الكثير ــ لأنه سبب لسعة

الرزق (لنفتنهم فيه) أي : لنختبرهم كيف شكرهم ؛ قال الحسن : والله إن كان أصحاب محمد كذلك ، كانوا سامعين لله مطيعين لله ، فلما فتحت كنوز كسرى وقيصر ، وثبوا على إمامهم وقتلوه.

وأخرج ابن جرير عن عمر : حيث ما كان الماء ، كان المال ؛ وحيث ما كان المال كانت الفتنة.

وقوله : (يسلكه عذاباً صعداً) قال ابن عباس : شاقاً ، وأصله : أن الصعود فيه مشقة على الإنسان.

(وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) [الجن : ١٨] قال قتادة : كان اليهود والنصارى إذا دخلوا بيعهم وكنائسهم ، أشركوا بالله ، فأمرنا أن نخلص لله الدعوة إذا دخلنا المساجد ؛ وقيل : المساجد أعضاء السجود السبعة.

(وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا) [الجن : ١٩] معناه : لما قام عبد الله يعبده ، كادوا يزدحمون عليه متراكمين ، تعجباً مما رأوا من عبادته ، وإعجاباً بما تلا من القرآن ، لأنهم رأوا منه ما لم يروا مثله ، وعبادة عبد الله ، لله ليس بأمر مستبعد عن العقل ، ولا مستنكر ، حتى يكونوا عليه لبدا.

وقيل : لما قام عبد الله وحده مخالفاً للمشركين ، كادوا لتظاهرهم على عداوته ، يزدحمون عليه متراكمين ؛ وعن قتادة ، قال : لما قام عبد الله للدعوة ، تلبدت الإنس والجن ، وتظاهروا عليه ، ليبطلوا الحق الذي جاءهم به ، ويطفئوا

نور الله ، فأبى الله إلا أن يتم هذا الأمر ، وينصره على من ناواه.

(قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً) [الجن : ٢٠] أي : قال للمتظاهرين عليه (إنما أدعو ربي) أي : ما أتيتكم بأمر منكر ، ولا ما يوجب إطباقكم على عداوتي ، إنما التعجب ممن يدعو غير الله ، ويجعل له شريكاً.

(قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً) [الجن : ٢١] المعنى أني لا أستطيع أن أضركم ، أو أن أنفعكم ، إنما الضار النافع الله عز وجل.

(قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً) [الجن : ٢٢] ومعنى الاستثناء ، قيل : إنه من (لا أملك) أي : لا أملك إلا بلاغاً من الله ، و (قل إني لن يجيرني) جملة معترضة لتأكيد نفي الاستطاعة عن نفسه ، على معنى : أن الله إن أراد به سوءاً ، من مرض أو موت ، أو غيرهما ، لم يصح أن يجيره منه أحد ، أو يجد من دونه ملاذاً يأوى إليه ؛ والملتحد الملتجأ ، وقيل : (بلاغاً) بدلاً من (ملتحداً) أي : لن أجد من دونه ملتجأ ، إلا أن أبلغ ما أرسلني به.

(حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عدداً ، قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربى أمدا) [الجن : ٢٤ ، ٢٥] كان الكفار يستضعفونه ، ويستقلون أتباعه ؛ وتغرهم قوتهم وكثرتهم (حتى إذا رأوا ما

يوعدون) علموا كيف الحال ، فقال المشركون : متى يكون هذا الموعود ؟ إنكاراً له.

فقال : قل إنه كائن لا ريب فيه ، وأما وقته ، فلا أدري متى يكون ، لأن الله لم يبينه ، لما له فيه من الحكمة (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً) [الجن : ٢٨].

أي : ليعلم الله أن الأنبياء بلغوا الرسالات ، كقوله : (حتى نعلم المجاهدين منكم) [محمد : ٣١] (وأحاط بما لديهم) بما عند الرسل من الحكم والشرائع (وأحصى كل شيء عدداً) من القطر ، والرمل ، وورق الأشجار ، وغير ذلك ، فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه ؟ ! والله أعلم.

وقال أيضاً الشيخ : محمد ، رحمه الله تعالى ، على قوله تعالى : (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) [الجن : ١٨] وبعد : فهذه عشر درجات ؛ الأولى : تصديق القلب أن دعوة غير الله باطلة ، وقد خالف فيها من خالف.

الثانية : أنها منكر يجب فيها البغض ؛ وقد خالف فيها من خالف ؛ الثالثة : أنها من الكبائر والعظائم ، المستحقة للمقت والمفارقة ، وقد خالف فيها من خالف ؛ الرابعة : أن هذا هو الشرك بالله ، الذي لا يغفره ، وقد خالف فيها من خالف.

الخامسة : أن المسلم إذا اعتقده ، أو دان به ، كفر ؛

وقد خالف فيها من خالف ؛ السادسة : أن المسلم الصادق إذا تكلم به هازلاً ، أو خائفاً ، أو طامعاً ، كفر بذلك لعلمه ؛ وأين ينزل القلب هذه الدرجة ويصدقه بها ، وقد خالف فيها من خالف ؟!.

السابعة : أنك تعمل معه عملك مع الكفار ، من عداوة الأب والابن ، وغير ذلك ، وقد خالف فيها من خالف ؛ الثامنة : أن هذا معنى لا إله إلا الله ، والإلٰه المألوه ، والإلٰهية عمل من الأعمال ، وكونه منفياً عن غير الله ، ترك من التروك ؛ التاسعة : القتال على ذلك حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله.

العاشرة : أن الداعي لغير الله يقبل منه الجزية ، كما يقبل من اليهود ، ولا تنكح نساؤهم كما تنكح نساء اليهود ، لأنه أغلظ كفراً ، وكل درجة من هذه الدرجات ، إذا عملت بها تخلف عنك بعض من كان معك ، والله أعلم.

وقوله رحمه الله ، عند كل درجة : وقد خالف فيها من خالف ؛ ناس يعتقدون أن دعوة غير الله جائزة ، والرسول ومن آمن به مخالفون لهم ؛ وناس ما يكفرون بالطاغوت ، ولا يبغضونه ، والرسول وأتباعه مخالفون لهم ؛ بل ملة إبراهيم هي الكفر بالطاغوت ، والإيمان بالله ؛ وهكذا سائر الدرجات ، والله أعلم.

ومن سورة الإنسان

سئل الشيخ : عبد الله بن الشيخ محمد ، عن قوله تعالى : (إنما نطعمكم لوجه الله) الآية [الإنسان : ٩] ما كان سبب نزولها ومن نزلت فيه ؟.

فأجاب : قال البيضاوي في تفسيره ، عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن الحسن والحسين رضي الله عنهما ، مرضا ، فعادهما رسول الله ﷺ في ناس ، فقالوا : يا أبا الحسن ، لو نذرت على ولديك ، فنذر علي ، وفاطمة رضي الله عنهما ، وجاريتهما فضة ، صوم ثلاث إن بريا ؛ فشفيا ، وما معهم شيء.

فاستقرض على ثلاثة آصع من شعير ، فخبزته فاطمة رضي الله عنها خمسة أقراص فوضعوه ليفطروا ، فوقف عليهم مسكين فآثروه ، ولم يذوقوا شيئاً ، وكذلك اليوم الثاني والثالث ، وذكر القصة فنزل جبرائيل بهذه السورة ؛ وقال : خذها يا محمد ، هناك الله في أهل بيتك.

والآية وإن نزلت بسبب من الأسباب ، فهي عامة لمن فعل ذلك من المؤمنين إلى يوم القيامة ، كما قال العلماء : العبرة بعموم اللفظ ، لا بخصوص السبب.

ومن سورة العلق ، والمدثر

قال الشيخ : محمد بن عبد الوهاب ، رحمه الله تعالى ، هذه مسائل مستنبطة من سورة اقرأ ؛ الأولى : الأمر بالقراءة ؛ الثانية : الجمع بين التوكل والسبب ، خلافاً لغلاة المتفقهة ، وغلاة المتصوفة ؛ الثالثة : السر الذي في الإضافة ، في قوله : (بسم ربك) المقتضي للتوكل ؛ الرابعة : وصفه سبحانه بالخلق ، الذي هو أظهر آياته.

الخامسة : ذكر خلقه الإنسان خاصة ؛ السادسة : كونه من علق ؛ السابعة : تكرير الأمر بالقراءة ؛ الثامنة : الوصف بأنه الأكرم ؛ التاسعة : ذكر التعليم بالقلم ، الذي هو في المرتبة الرابعة ؛ العاشرة : تعليم الإنسان خاصة ما لم يعلم ؛ الحادية عشر : أن الذكر بالقلب واللسان ، أفضل من الذكر بالقلب وحده.

الثانية عشر : الحث على التواضع ، لقوله : (من علق) ؛ الثالثة عشر ، فيه معنى : اعرف نفسك تعرف ربك ؛ الرابعة عشر : معنى أن العلم والإيمان مكانهما ، من ابتغاهما وجدهما إلى يوم القيامة ؛ الخامسة عشر : رجاء فضله لأجل ما تقدم من فضله ؛ السادسة عشر : لصفاته ، لكونه الأكرم.

السابعة عشر : الجمع بين الخلق والتعليم ؛ الثامنة عشر : الدلالة على التوحيد ؛ التاسعة عشر : الدلالة على النبوة ؛ العشرون : الرد على الجهمية ؟ الحادية والعشرون : أن الاستحالة تطهر ؛ الثانية والعشرون : الرد على القدرية ؛

الثالثة والعشرون : الرد على الجبرية ؛ الرابعة والعشرون : أن العبرة بكمال النهاية ، لا بنقص البداية ؛ الخامسة والعشرون ؛ ذكر شرف العلم.

وأما آخرها ، ففيه مسائل ؛ الأولى : أن الغنى من أسباب الطغيان ؛ الثانية : أنه ينشأ عن رؤية الغنى ، لا عن الغنى ؛ الثالثة : التنبيه على الفرق بين طلب العلم وطلب المال ؛ الرابعة : أن هذا وصف الإنسان ، فإن خرج عن طبعه فبفضل الله وبرحمته.

الخامسة : الإيمان باليوم الآخر ؛ السادسة : الوعظ بذلك اليوم عن الطغيان ؛ السابعة : تسلية المطغى عليه بذلك ؛ الثامنة : كونه إلى رب محمد ، ففيه الجزاء على الأعمال ؛ التاسعة : تقرير الشرع بالعقل ، لقوله : (أرأيت) ؛ العاشرة : كون ذلك النهي عن إيثار الطغيان ؛ الحادية عشر : تقرير ذلك بتصوير الحادثة ، أنها نهي عبد صلى لربه.

الثانية عشر : التوقف عما لا يعلم وإلا فلا يلوم إلا نفسه ؛ الثالثة عشر : أن ذلك عام فيمن تنكر عليه فيما يفعله ، وفيما يأمر به غيره ؛ الرابعة عشر : الاستدلال على الناهي ، واستجهاله بقوله : (ألم يعلم بأن الله يرى).

الخامسة عشر : الاستدلال بالقاعدة الكلية ، على المسائل الجزئية ؛ السادسة عشر : أن العلم بذلك ليس هو الإقرار ؛ السابعة عشر : أن العلم بالأسماء والصفات أجل

العلوم ؛ الثامنة عشر : الدلالة على التوحيد ؛ التاسعة عشر : الدلالة على النبوة ؛ العشرون : أن السورة فيها ذكر الإيمان بالأصول الخمسة.

الحادية والعشرون : كون العقوبة قد تعجل في الدنيا ؛ الثانية والعشرون : ما يرجو المحق ، من نصر الله للضعفاء على الأقوياء ؛ الثالثة والعشرون : أن المال والقوة قد يكون سبباً لشر الدنيا والآخرة ؛ الرابعة والعشرون : أن بعض أعداء الله قد يكشف له ، فيرى بعينه من الآيات ما لا يراه المؤمن ، كالسامري.

الخامسة والعشرون : الجمع بين قوله (كاذبة خاطئة) فوصفه بفساد القول والعمل ؛ السادسة والعشرون : أنه لو دعا ناديه ، أو دنى من النبي ﷺ لعوجل ، ولكن دفع عنه ذلك ، لكونه ترك بعض ما في نفسه ؛ السابعة والعشرون : النهي عن طاعة مثل هذا.

الثامنة والعشرون : أنه ختمها بالسجود ، الذي هو أشرف أفعال الصلاة ؛ وافتتحها بالقراءة التي هي أشرف أقوالها ؛ التاسعة والعشرون : الأمر بالاقتراب من الله ، ففيه معنى : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » الثلاثون تسلية المحق إذا سلط عليه مثل هذا ، وأمره بالصلاة.

وأما قوله : (يا أيها المدثر) الآيات ، ففيه مسائل ؛ الأولى : الدعوة إلى الله ، لا يقتصر على نفسه ؛ الثانية : خطابه بالمدثر ؛ الثالثة : أن الداعي يبدأ بنفسه فيصلح

عيوبها ؛ الرابعة : تعظيم الله سبحانه علماً وعملاً ؛ الخامسة : هجران الرجز.

السادسة ، قوله : (ولا تمنن تستكثر) السابعة : قوله : (ولربك فاصبر) فأمره بالطريق إلى القوة على ما تقدم ، فهو الصبر خالصاً ؛ ففيها : آداب الداعي ، لأن الخلل يدخل على رؤساء الدين ، من ترك هذه الوصايا ، أو بعضها ؛ فمنها : الحرص على الدنيا ، فنهى عنه بقوله : (ولا تمنن تستكثر).

ومنها : عدم الجد فنبه عليه ، بقوله : (يا أيها المدثر) ومنها : رؤية الناس فيه العيوب ، المنفرة لهم عن الدين ، كما هو الواقع ؛ ومنها : التقصير في تعظيم العلم ، الذي هو من التقصير في تعظيم الله ؛ ومنها عدم الصبر على مشاق الدعوة ؛ ومنها : عدم الإخلاص ؛ ومنها : عدم هجران الرجز ، والتقصير في ذلك ، وهو من أضرها على الإنسان ، وهو من تطهير الثياب ، لكن أفرده بالذكر كنظائره.

فأول اقرأ ، فيه : الأمر بطلب العلم ؛ وأول المدثر ، فيه : الأمر بالعمل به ؛ الثانية : أول اقرأ ، فيه : معرفة الله ؛ وأول المدثر ، فيه : الأدب مع الله ؛ الثالثة : أول اقرأ ، فيه : الصبر ؛ الرابعة : أول اقرأ ، فيه : الإخلاص والاستعانة ، وأول المدثر ، فيه : إخلاص الصبر.

الخامسة : أول اقرأ ، فيه : الاستعانة ؛ وأول المدثر ، فيه : العبادة ؛ السادسة : أول اقرأ ، فيه : فضله عليك ؛ وأول المدثر ، فيه : حقه عليك ؛ السابعة : أول اقرأ ، فيه :

أدب المتعلم ؛ وأول المدثر ، فيه : أدب العالم ؛ الثامنة : أول اقرأ ، فيه : معرفة الله ، ومعرفة النفس ، وأول المدثر ، فيه : الأمر والنهي ؛ التاسعة : أول اقرأ ، فيه : معرفتك بنفسك ، وبربك ؛ وأول المدثر ، فيه : العمل المختص والمتعدي.

العاشرة : أول اقرأ ، فيه : أصل الأسماء والصفات ، وهما العلم والقدرة ؛ وأول المدثر ، فيه : أصل الأمر والنهي ، وهو الأمر بالتوحيد ، والنهي عن الشرك ؛ الحادية عشر : في أول اقرأ ، ذكر القلم ، الذي لا يستقيم العلم إلا به ؛ وأول المدثر ، فيه : ذكر الصبر الذي لا يستقيم العمل إلا به.

الثانية عشر : في أول اقرأ ذكر التوكل ، وأنه يفتح المغلق ؛ وأول المدثر ، فيه : الصبر الذي يفتحه ؛ الثالثة عشر : في أول اقرأ : العمل المختص ؛ وأول المدثر ، فيه : العمل المتعدي ؛ الرابعة عشر : في اقرأ ، ست مسائل من الخبر ؛ وأول المدثر ، ست مسائل من الإنشاء.

الخامسة عشر : في أول اقرأ : ذكر بدء الخلق ؛ وأول المدثر ، ذكر الحكمة فيه ؛ السادسة عشر : في أول اقرأ ، ذكر أصل الإنسان ؛ وأول المدثر ، فيه : كماله ؛ السابعة عشر : في أول اقرأ ، ذكر الربوبية العامة ؛ وأول المدثر ، الربوبية الخاصة.

الثامنة عشر : في أول اقرأ ، شاهد لقوله : « اعقلها

واتكل » وفي أول المدثر الصبر ، الذي هو من الإيمان ، بمنزلة الرأس من الجسد ؛ التاسعة عشر : في أول اقرأ ، ابتداء النبوة ؛ وأول المدثر ، ابتداء الرسالة ؛ العشرون : في السورتين شاهد ، لقوله : العلم قبل القول والعمل.

ومن : اقرأ إلى آخره.

الأولى : أن قريشاً صريح آل إبراهيم ؛ وأيضاً : ولاة البيت الحرام ؛ وأيضاً : خصوا بنعم ؛ منها : الرحلتان ، ودفع الفيل ؛ وأما أهل الكتاب ، فأهل العلم ، وذرية الأنبياء ، وجرى من الكل على رسالة الله ما جرى ؛ الثانية : أن هذا من الرئيسين : أبي لهب ، وأبي جهل ، ذكر عنهما ما ذكر.

الثالثة : أن أهل الكتاب لم يتفرقوا ، إلا من بعدما جاءهم العلم بغياً بينهم ؛ الرابعة : أنهم لم يؤمروا إلا بما تعرفه العقول ، وبما ينبغي للعاقل أن يلتزمه ، ولا يبغي به بدلاً ، لحسنه وسهولته ؛ الخامسة : أن الذي استدلوا به ، من أشق الأشياء ، وأكثرها عذاباً ؛ وينبغي للعاقل البعد عنه ، لقبحه وصعوبته ؛ السادسة : أن مع سهولة الذي تركوا وحسنه ، وقبح الذي انتقلوا إليه ومشقته ، اشربوه في قلوبهم ، فلم ينتقلوا عنه إلا بعد كذا وكذا.

السابعة : أنه سبحانه توعد بالنار الذين كفروا من أهل الكتاب ، ومن العامة ، وقدم أهل الكتاب في الذكر ؛ الثامنة : أن العامة اشربوا حب دينهم ، وصبروا على المشقة

فيه ، مع أنهم لا يعرفون جنة ولا ناراً ، وهذا من العجائب ؛ التاسعة : التنبيه على كبر النعمة ، بإنزال الكتاب ، بذكر الليلة التي أنزل فيها.

العاشرة : أن له سبحانه خصائص من الأزمنة ، كما له من الأمكنة ؛ الحادية عشر : أن الأعمال تتضاعف ، وإن تساوت في الظاهر بما يجل عن الوصف ؛ الثانية عشر : عطف الروح على الملائكة ؛ الثالثة عشر : أن خشية الله جامعة للدين كله.

الرابعة عشر : النص على العبادة بالإخلاص ؛ الخامسة عشر : ذكر الحنفاء ؛ السادسة عشر : عطف العبادتين على ذلك ؛ السابعة عشر : نصه أنه دين القيمة ؛ الثامنة عشر : بيان أن من ساء عمله ، شر من الجعلان ولو علم ؛ التاسعة عشر : كون الضد خير البرية ؛ العشرون : الآية الجامعة الفاذة.

الحادية والعشرون : ذكر شيء من تفاصيل القيامة من شهادة الأرض وغير ذلك ؛ الثانية والعشرون : معاملة الإنسان ربه ، لقوله : (لكنود) الثالثة والعشرون : كونه شاهداً لذلك ؛ الرابعة والعشرون : نعته بشدة حب المال ؛ الخامسة والعشرون : ما فيها من ذكر الحساب ، والحوض ، والميزان ، ورؤية النار في الموقف.

السادسة والعشرون : إخلاص الصلاة ؛ السابعة والعشرون : إخلاص النحر ؛ الثامنة والعشرون : الأمر بختم

العمل بالتسبيح والاستغفار ؛ التاسعة والعشرون : الأمر بالتصريح للكفار بالبراءة من معبوديهم.

الثلاثون : التصريح لهم ببراءتهم من عبادة الله ؛ الحادية والثلاثون : التصريح لهم بالبراءة من معبوديهم ، الثانية والثلاثون : التصريح لهم بالرضا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، ومحمد نبياً ؛ الثالثة والثلاثون : بيان العقيدة السلفية ؛ الرابعة والثلاثون : البراءة من عقيدة المتكلمين ؛ الخامسة والثلاثون : الأمر بالاستعاذة مما ذكر في سورة الفلق ؛ السادسة والثلاثون : الأمر بالاستعاذة من الشيطان ؛ السابعة والثلاثون : التنبيه على شدة الحاجة إلى ذلك ، لكونه أفرد له سورة ، وختم بها المصحف.

التاسعة والثلاثون : النهي عن الهمز واللمز ؛ الأربعون : النهي عن الاغترار بالمال ؛ الحادية والأربعون : النهي عن دع اليتيم ؛ الثانية والأربعون : النهي عن عدم الحض على طعام المسكين ؛ الثالثة والأربعون : النهي عن السهو عن الصلاة ؛ الرابعة والأربعون : النهي عن الرياء ؛ الخامسة والأربعون : النهي عن البخل ؛ السادسة والأربعون : النهي عن شنئه ﷺ.

السابعة والأربعون : الاعتبار بأبي لهب ، في كون المال والولد ، وشرف البيت والسيادة ، يعطاه من هو من أكفر الناس ؛ الثامنة والأربعون : النهي عن حمل الحطب ؛ التاسعة والأربعون : النهي عن النميمة ؛ الخمسون : النهي عن الحسد ؛ الحادية والخمسون : النهي عن النفث في العقد ؛

الثانية والخمسون : النهي عن الوسوسة في صدور الناس ؛ الثالثة والخمسون : الإخبار برؤية الجحيم ، ثم رؤيتها ؛ الرابعة والخمسون : السؤال عن النعيم.

الخامسة والخمسون : خسران الإنسان إلا المستثنى ، وفيها ذكر النار ذات اللهب ، وصليها ، واطلاعها على الأفئدة ، وكونها مؤصدة ؛ وفيها من الأعمال الممدوحة : الإيمان والعمل الصالح ، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، والحث على الشكر بذكر الرحلتين.

وفيها : أن النعم إذا كانت خاصة فلها شكر خاص ، والحث على الاعتبار بأيام الله بقصة الفيل ؛ وفيها من القصص : قصة الفيل والرحلتين ، وقصة أبي لهب ، وقصة سحر اليهود ، وفيها من الوعظ العجب العجاب ؛ وأما أدلة التوحيد ففي مواضع ، وأما أدلة النبوة ففي مواضع.

سورة التكاثر

وقال أيضاً ، الشيخ : محمد بن عبد الوهاب ، أسكنه الله الفردوس الأعلى:

ذكر ما في سورة ألهاكم التكاثر ، إلى آخر القرآن من المسائل ؛ أما أدلة التوحيد ففي مواضع ، وأما أدلة النبوة ففي مواضع.

وأما ما فيها من الأوامر ، فالأولى : إخلاص الصلاة ؛

الثانية : إخلاص النحر ؛ الثالثة : الأمر بختم العمل بالتسبيح والاستغفار ؛ الرابعة : الأمر بالتصريح للكفار بالبراءة ، من عبادة معبوداتهم ، الخامسة : التصريح لهم ببراءتهم من عبادة الله ؛ السادسة : التصريح بالبراءة من دينهم ؛ السابعة : التصريح لهم بالرضى بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً .

الثامنة : الأمر بالاستعاذة مما ذكر في سورة الفلق ؛ التاسعة : الأمر بالاستعاذة من الشيطان ؛ العاشرة : التنبيه على شدة الحاجة إلى ذلك ، لكونه أفرد له سورة ، وختم بها المصحف ؛ الحادية عشر : الإخبار بالعقيدة الصحيحة ؛ الثانية عشر : البراءة من عقيدة المتكلمين .

وأما النواهي : فذكرها بطريق الوعيد والذم ؛ الأولى : كون التكاثر ألهاهم إلى الموت ؛ الثانية : النهي عن الهمز واللمز ؛ الثالثة : النهي عن الاغترار بالمال ؛ الرابعة : النهي عن دع اليتيم ؛ الخامسة : النهي عن عدم الحض على طعام المسكين .

السادسة : النهي عن السهو عن الصلاة ؛ السابعة : النهي عن الرياء ؛ الثامنة : النهي عن البخل ؛ التاسعة : النهي عن شنئه ﷺ ؛ العاشرة : النهي عن الاغترار بالمال والولد ، لقصة أبي لهب ؛ الحادية عشر : النهي عن حمل الحطب .

الثانية عشر : النهي عن النفث في العقد ؛ الثالثة عشر :

النهي عن الحسد ؛ الرابعة عشر : النهي عن الوسوسة في صدور الناس.

وأما ما فيها من اليوم الآخر ، فالأولى : رؤية الجحيم ، ثم رؤيتها عين اليقين ؛ الثانية : ذكر الحساب على النعيم ؛ الثالثة : خسران الإنسان إلا المستثنى ؛ الرابعة : ذكر نار الله وصفتها ؛ الخامسة : ذكر الحوض.

وأما ما فيها من الأعمال الممدوحة ، فالأولى : الإيمان ؛ الثانية : العمل الصالح ؛ الثالثة : التواصي بالحق ؛ الرابعة : التواصي بالصبر ؛ الخامسة : الحث على الشكر بتذكير الرحلتين ؛ السادسة : أن النعمة إذا كانت خاصة ، فلها شكر خاص ؛ السابعة : الحث على الاعتبار بأيام الله بقصة الفيل ؛ الثامنة : الأمر بالشكر على دفع الشر.

وأما ما فيها من القصص ، فقصة الفيل ، وقصة الرحلتين ، وقصة أبي لهب ، وقصة سحر اليهود له ﷺ إن ثبت أن السورتين نزلتا في ذلك النوع ؛ السابع : علم الوعظ ؛ وفيها من العجب العجاب.

وأما الست التي تليها ، ففيها أنواع من العبر ؛ منها : أن قريشاً صريح ولد إسماعيل بن إبراهيم ، وهم أيضاً ولاة البيت الحرام ؛ وأيضاً : خصوا بنعم ، منها الرحلتان ، ودفع أهل الفيل ؛ وأما أهل الكتاب ، فأهل العلم ، وذرية الأنبياء ، فجرى من الكل على رسالة الله ما جرى.

الثانية : أن هذين الرئيسين ، ذكر عنهما ما ذكر ؛

الثالثة : أن أهل الكتاب لم يتفرقوا إلا من بعد مجيء العلم ، بغياً بينهم ؛ الرابعة : أنهم لم يؤمروا إلا بما ينبغي للعاقل أن يلتزمه ، لحسنه وسهولته ؛ الخامسة : أن الذي استبدلوا به من التفرق ، ينبغي للعاقل البعد عنه ، لقبحه وصعوبته.

السادسة : أنهم لما استبدلوه أشربوه في قلوبهم ، كالعجل ، فلم ينفكوا عنه إلا بعد كذا وكذا ؛ السابعة : أنه سبحانه توعد بالنار ، الذين كفروا من أهل الكتاب ، ومن العامة ، وقدم أهل الكتاب في الذكر ؛ الثامنة : أن العامة اشربوا حب دينهم ، وصبروا على المشقة فيه ، مع أنهم لا يعرفون جنة ولا ناراً ، وهذا من العجائب.

التاسعة : التنبيه على كبر النعم بإنزال الكتاب ، فذكر الليلة التي أنزل فيها ؛ العاشرة : أن له سبحانه خصائص من الأزمنة ، كما أن له من الأمكنة ؛ الحادية عشر : أن الأعمال تتضاعف ، وإن تساوت في الظاهر بما يجل عن الوصف ؛ الثانية عشر : عطف الروح على الملائكة ؛ الثالثة عشر : ذكر الآية الجامعة الفاذة.

الرابعة عشر : شهادة الأرض يوم القيامة بما عمل عليها ؛ الخامسة عشر : صدور الناس أشتاتاً لرؤية أعمالهم ؛ السادسة عشر : ذكر معاملة الإنسان ربه في قوله : (لكنود) السابعة عشر : كونه شاهداً بذلك ؛ الثامنة عشر : نعته بشدة حب المال ؛ التاسعة عشر : ما في القارعة من تفصيل يوم القيامة ؛ العشرون : أن خشية الله تجمع الدين كله.

وقال أيضاً : السبع الأواخر من القرآن ، أولها سورة الكوثر ، فيهن مسائل ؛ الأولى : دليل الإلٰهية[1] الخامسة : ذكر توحيد الربوبية ؛ السادسة : فضائل النبي ﷺ ؛ السابعة : الوعيد ؛ الثامنة : أمر الله إياه أن يختم عمله بالاستغفار.

التاسعة : التغليظ على من اعترض على من دعا إلى التوحيد ؛ العاشرة : تغليظ أمر النميمة ؛ الحادية عشر : أن ولد الرجل من كسبه ؛ الثانية عشر : تحقير أمر الدنيا ؛ الثالثة عشر : ما في المعوذتين من خير الدنيا والآخرة ؛ الرابعة عشر : أن ذلك لمن عرف معناهما ، ودعا الله بقلب حاضر.

الخامسة عشر : التنبيه على شدة الخطر من الشيطان ؛ لأن الله أفرد له سورة ، وهي آخر ما يقرع سمعك من المصحف ؛ السادسة عشر : التنبيه على وسوسته ؛ السابعة عشر : التنبيه على ضعفه ، بكونه خناساً ؛ الثامنة عشر : التنبيه على الفرق بين الرب والإله والملك.

التاسعة عشر : أمره سبحانه نبيه ، لما أعطاه الكوثر ، أن يخلص له هاتين العبادتين ، وهما الصلاة والنحر ؛ العشرون : التصريح للمشركين بالبراءة من دينهم ؛ الحادية والعشرون : التصريح لهم بأنهم لا يعبدون الله ، ولو كانوا من المنقطعين للعبادة ؛ الثانية والعشرون : التصريح لهم بأنهم كافرون.

الثالثة والعشرون : كون النبي ﷺ مأموراً بالتعوذ بالمعوذتين ، لأجل حاجته إلى ذلك ؛ الرابعة والعشرون :

التنبيه على جلال الله وعظمته ، وكبر حقه على العبد ، بختم النبي ﷺ عمله بالاستغفار.

سورة العصر

سئل الشيخ : عبد الله بن الشيخ محمد ، رحمهما الله تعالى ، عن تفسير سورة العصر؟

فأجاب : الكلام عليها طويل ، لكن نذكر لك ما ذكر أهل العلم ، على سبيل الاختصار ، ذكروا أن العصر هو الدهر ، الذي خلقه الله سبحانه ؛ والله سبحانه : له أن يقسم بما شاء من خلقه ؛ وأما المخلوق ، فلا يجوز له أن يقسم إلا بالله تبارك وتعالى ، كما قال النبي ﷺ : « من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت » وجواب القسم : (إن الإنسان لفي خسر).

والإنسان : اسم جنسٍ ، وهم جميع بني آدم ، ثم استثنى فقال : (إلا الذين آمنوا) بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر ، وأيقنوا بقلوبهم ، وصدقوا : أن ما أخبر الله في كتابه ، وعلى ألسنة رسله ، فهو الحق الذي لا مرية فيه ، ولا شك فيه (وعملوا الصالحات) أي عملوا بما شرعه في كتابه ، وعلى لسان رسوله ﷺ بجوارحهم.

ولا بد في العمل الصالح ، من شرطين ؛ الأول : أن يكون خالصاً لوجه الله ؛ الثاني : أن يكون على شريعة رسول الله ﷺ ، كما قال تعالى : (فمن كان يرجو لقاء ربه

فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) [الكهف : ١١٠] فقوله : (عملاً صالحاً) هو المشروع وقوله : (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) هو الإخلاص الذي لوجه الله ، فهذه مرتبتان ؛ الأولى : الإيمان بالله ورسوله ؛ الثانية : العمل الصالح ؛ فهذا هو العلم بما أنزل الله والعمل به.

فإذا علم الإنسان ما أنزل الله ، فعليه أن يعمل به ؛ وإذا عمل العمل الصالح ، فعليه مرتبة ، ثالثة ، وهي : التواصي بالحق ، وهي أن يوصي غيره باتباع الحق ، ويعلم الجهال مما علمه الله ، بخلاف من قال الله فيهم : (إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً) ، [البقرة : ١٧٤].

فإذا فعل المؤمن ، ما أمره الله به من التواصي بالحق ، وهو الأمر بالمعروف ، الذي أمر الله به ، والنهي عن المنكر الذي نهى الله عنه ، فعليه مرتبة رابعة ، وهي : الصبر على أذى الخلق ، وإساءتهم إليه ، في ذات الله تعالى ، كما صبر أنبياء الله ورسله ، وأهل العلم من خلقه على ذلك ؛ فهذه أربع مراتب ، إذا عمل بها الإنسان ، صار من أولياء الله المتقين ، وحزبه المفلحين.

نسأل الله أن يرزقنا وإخواننا فهمها ، والعمل بها ، فذكرهن الله في هذه السورة القصيرة الألفاظ ، الطويلة المعاني ، كما قال الشافعي رحمه الله : لو عمل الناس بهذه السورة لكفتهم ، وهو كما قال رحمه الله تعالى.

سورة الكوثر

قال الشيخ : محمد بن عبد الوهاب ، وهذه كلمات من كلام أبي العباس ابن تيمية ، له على سورة الكوثر ، لخصتها من جملة كلام له (إنا أعطيناك الكوثر ، فصل لربك وانحر ، إن شانئك هو الأبتر) ما أجلها وأغزر فوائدها على اختصارها ، وحقيقة معناها تعلم من آخرها.

فإنه سبحانه بتر شانيء رسوله ﷺ من كل خير ؛ فيبتر ذكره وأهله وماله ، فيخسر ذلك في الدنيا والآخرة ، ويبتر حياته ، فلا يتزود فيها عملاً صالحاً لمعاده ، ويبتر قلبه فلا يعي الخير ، ولا يؤهله لمحبته والإيمان به ، ويبتر أعماله فلا يستعمله في طاعته ، ويبتره من الأعمال ، فلا يذوق لها طعماً ، وإن باشرها بظاهره ، فقلبه شارد عنها.

وهذا جزاء من شنأ بعض ما جاء به الرسول ، وردّه ، لأجل هواه أو شيخه ، أو إمامه أو أميره أو كبيره ؛ كمن شنأ آيات الصفات وأحاديثها ؛ وتأولها على غير مراد الله ورسوله ، أو حملها على ما يوافق مذهبه ، أو تمنى أن لا تكون نزلت ؛ ومن أقوى علامات شناءتها : أنه إذا سمعها حين يستدل بها أهل السنة ، على ما دلت عليه من الحق ، اشمأز ونفر ؛ فأي شانيء للرسول أعظم من هذا؟!

وكذلك أهل السماع ، الذين يزدحمون على سماع الغناء والدفوف ، فإذا قرأ عليهم قارىء عشراً ، استطالوه واستثقلوه ، وقس على هذا سائر الطوائف في هذا الباب ؛

وكذلك من آثر كلام الناس وعلومهم ، على القرآن والسنة ، فلولا أنه شانيء لما جاء به الرسول ، لما فعل ذلك ، حتى إن بعضهم لينسى القرآن بعد أن حفظه ، واشتغل بقول فلان وفلان ؛ وكل من شنأ ، له نصيب من الانبتار.

وهؤلاء لما شنؤوه ، جازاهم الله بأن جعل الخير كله معادياً لهم ، فبترهم منه ، وخص نبيه بضد ذلك ، وهو : أن أعطاه الكوثر ؛ وهو الخير الكثير الذي آتاه الله إياه في الدنيا : الهدى ، والنصر ، والتأييد ، وقرة العين ؛ ونعم قلبه بذكره وحبه ؛ وأعطاه في الآخرة الوسيلة والمقام المحمود ، وجعله أول من يفتح له ولأمته باب الجنة ، وأعطاه اللواء لواء الحمد ، والحوض العظيم في موقف يوم القيامة.

وقوله : (إن شانئك) أي : مبغضك (الأبتر) ، المقطوع النسل ، الذي لا يولد له ، فلا يتولد عنه خير ، ولا عمل صالح ، ولا منفعة فيه ؛ وأهل السنة أحيوا بعض ما جاء به الرسول ﷺ ، فكان لهم نصيب ، من قوله تعالى : (ورفعنا لك ذكرك) [الشرح : ٤] وأهل البدعة شنؤوا بعض ما جاء به ، فكان لهم نصيب من قوله : (إن شانئك هو الأبتر).

فالحذر الحذر أيها الرجل ، من أن تكره شيئاً مما جاء به ، أو ترده لأجل هواك ، أو انتصاراً لمذهبك ، أو لشيخك ، أو لكبيرك ، أو لاشتغالك بالشهوات ، أو بالدنيا ؛ فإن الله لم يوجب على أحد ، إلا طاعة رسوله ﷺ ، والأخذ بما جاء به ، بحيث لو خالف العبد جميع الخلق ، واتبع

الرسول ﷺ ما سأله الله عن مخالفة أحد ، فاعلم ذلك واسمع وأطع ، واتبع ؛ ولا تبتدع تكن ابتر مردوداً عليك عملك ؛ بل لا خير في عمل أبتر مر الاتباع ، ولا خير في عامله.

وقوله تعالى : (فصل لربك وانحر) أمره الله أن يجمع بين هاتين العبادتين العظيمتين ، وهما : الصلاة والنسك ، الدالتان على التواضع ، عكس حال أهل الكفر والنفرة ، وأهل الغنى عن الله ، الذين لا حاجة لهم في صلاتهم ، والذين لا ينحرون له خوفاً من الفقر ، أو لسوء ظنهم بربهم.

ولهذا جمع الله بينهما في قوله : (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له) الآية [الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣] ، وقوله : (ونسكي) هو الذبيحة لله ابتغاء وجهه.

والمقصود : أن الصلاة والنسك ، هما أجل ما يتقرب به إلى الله ؛ وأجل العبادات المالية النحر ، وما يجتمع للعبد في الصلاة ، لا يجتمع له في غيرها من العبادات ، كما عرفه أرباب القلوب الحية ، وما يجتمع في النحر من حسن الظن ، والوثوق بما في يد الله ، أمر عجيب ، إذا قارن ذلك الإيمان والإخلاص.

وقد امتثل ﷺ أمر ربه ، فكان كثير الصلاة لربه ، كثير النحر له ، حتى نحر بيده في حجة الوداع ثلاثاً وستين بدنة ؛ وكان ينحر في الأعياد وغيرها ؛ وفيها : تعريض بحال الأبتر الشانيء ، الذي صلاته ونسكه لغير الله ؛ وفيها : ترك الالتفات

إلى الناس ، وإلى ما ينالك منهم ، بل صل لربك وانحر.

ومن فوائدها اللطيفة : الالتفات في قوله : (فصل لربك وانحر) الدالة على أن ربك مستحق لذلك ، وأنت جدير بأن تعبده وتنحر له ، والله أعلم.

سورة الكافرون

وقال أيضاً الشيخ : محمد ، قال شيخ الإسلام ، رحمه الله تعالى ، في الكلام على : (قل يا أيها الكافرون) قوله : (ولا أنتم عابدون ما أعبد) نفى عنهم عبادة معبوده ، لأنهم إذا أشركوا ، لم يكونوا عابدين معبوده.

وأيضاً : لو عبدوا الله بما ليس هو عبادة ، وقصدوا عبادة الله ، معتقدين أنه هو كأصحاب العجل ، والذين عبدوا عيسى والدجال ، ومن عبد من هذه الأمة ، فهم عند أنفسهم : إنما يعبدون الله ؛ لكن هذا المعبود ليس هو الله ، وإن قصد العابد الله.

وأيضاً : إذا وصفوه بما هو بريء منه ، كالصاحبة والولد ، وعبدوه كذلك ، فهو بريء من هذا المعبود ، فإنه ليس هو الله ، كما قال ﷺ : « ألا ترون كيف يصرف الله عني سب قريش ؟ يسبون مذمماً » كذلك عبادة أمثالهم ، واقعة على موصوفهم.

وأيضاً : من لم يؤمن بما وصف به الرسول ﷺ ربه ،

فهو في الحقيقة لم يعبد ما عبده الرسول ؛ وقس على هذا ، فلتتأمل هذه المعاني وتهذب.

ومن سورة تبت

وقال أيضاً : الشيخ محمد رحمه الله ، قال شيخ الإسلام سورة (تبت) نزلت في هذا وامرأته ، وهما من أشرف بطنين في قريش ، وهو عم علي ، وهي عمة معاوية ، واللذان تداولا الخلافة في الأمة هذان البطنان ، بنو أمية وبنو هاشم.

وأما أبو بكر وعمر ، فمن قبيلتين أبعد عنه ﷺ ؛ واتفق في عهدهما ما لم يتفق بعدهما ، وليس في القرآن ذم من كفر به ﷺ باسمه ، إلا هذا وامرأته ؛ ففيه : أن الأنساب لا عبرة بها ، بل صاحب الشرف يكون ذمه ، على تخلفه عن الواجب أعظم ، كما قال تعالى : (يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين) الآية [الأحزاب : ٣٠].

قال النحاس (تبت يدا أبي لهب) دعاء عليه (وتب) خبر ، وفي قراءة عبد الله (وقد تب) وقوله : (وما كسب) أي : ولده ، فإن قوله : (وما كسب) يتناوله ، كما في الحديث : « ولده من كسبه » واستدل بها على جواز الأكل من مال الولد ؛ ثم أخبر أنه (سيصلى ناراً) أخبر بزوال الخير ، وحصول الشر ؛ والصلى : الدخول والاحتراق جميعاً.

وقوله : (حمالة الحطب) إن كان مثلاً للنميمة ، لأنها

تضرم الشر ، فيكون حطب القلوب ؛ وقد يقال : ذنبها أعظم ، وحمل النميمة لا يوصف بالحبل في الجيد ؛ وإن كان وصفاً لحالها في الآخرة ، كما وصف بعلها هو يصلى ، وهي تحمل الحطب عليه ، كما أعانت على الكفر ، فيكون من حشر الأزواج.

وفيه عبرة لكل متعاونين على الإثم ، أو على إثم ما ، أو عدوان ما ، ويكون القرآن قد عم الأقسام الممكنة في الزوجين ، وهي أربعة : إما كإبراهيم وامرأته ، وإما هذا وامرأته ، وإما فرعون وامرأته ، وإما نوح وامرأته ولوط.

ويستقيم أن يفسر حمل الحطب بالنميمة ، بحمل الوقود في الآخرة ، كقوله : « من كان له لسان » إلخ.

وقال الشيخ : محمد ، رحمه الله تعالى : قصة سبب نزول (تبت) إلى آخرها ؛ فيها مسائل ؛ الأولى : ما فيها من دلائل الإلٰهية ؛ الثانية : ما فيها من دلائل النبوة ؛ الثالثة : ما فيها من فضائل الرسول ﷺ ، وقوله الحق الذي لا يقدر غيره بقوله.

الرابعة : أن هذا هو العقل والصواب ، أعني : صعود الجبل ، والصياح في هذه المسألة ، ولو عدّه أكبر الناس سفهاً ، بل جنوناً ؛ الخامسة : شدة الخطر العظيم ، فيمن عذل من فعل ذلك ؛ السادسة : لعل الكلمة التي لا يلقي لها بالاً ، يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه ، ولعله يعتقدها نصيحة أو صلة رحم.

السابعة : مراقبة العواقب ، في إعطاء الله نعم الدنيا من المال والولد ، والبيت الرفيع ، والرياسة ؛ الثامنة : تعظيم أمر النميمة ؛ التاسعة : أن الولد من الكسب ؛ ففيه دليل على أن أطيب ما أكلتم من كسبكم ؛ العاشرة : أن الله سبحانه لم ينزل هذا إلا مصلحة للأمة إلى يوم القيامة ؛ والله أعلم.

سورة الإخلاص

وقال أيضاً ، رحمه الله تعالى : تفسير سورة الإخلاص ، عن عبد الله بن حبيب ، قال : خرجنا في ليلة مطر وظلمة ، فطلبت النبي ﷺ ليصلي لنا فأدركناه ، فقال : قل ؛ فلم أقل شيئاً ؛ قال قلت : يا رسول الله ما أقول ؟ قال : (قل هو الله أحد) والمعوذتين ، حين تمسي ، وحين تصبح ، ثلاث مرات ، تكفيك من كل شي » قال الترمذي : حديث حسن صحيح.

والأحد الذي لا نظير له ؛ والصمد : الذي تصمد الخلائق كلها إليه ، في جميع الحاجات ؛ وهو الكامل في صفات السؤدد ؛ فقوله : (أحد) ففي النظير والأمثال ، وقوله : (الصمد) إثبات صفات الكمال ، وقوله : (لم يلد ولم يولد) نفى الصاحبة والعيال (ولم يكن له كفواً أحد) نفى الشركاء لذي الجلال.

وسئل الشيخ : حمد بن ناصر بن معمر ، عما تضمنته سورة (الإخلاص) و (قل يا أيها الكافرون) ؟.

فأجاب : ما تضمنته سورة الإخلاص من التوحيد العلمي ، فيذكر أهل العلم : أن سورة (الإخلاص) متضمنة للتوحيد العلمي ؛ و (قل يا أيها الكافرون) متضمنة للتوحيد العملي فسورة (قل هو الله أحد) فيها توحيد الاعتقاد والمعرفة ، وما يجب إثباته للرب تعالى ، من الأحدية ، المنافية لمطلق الشركة ، والصمدية المثبتة له جميع صفات الكمال ، الذي لا يلحقه نقص بوجه من الوجوه ، ونفي الولد والوالد ، الذي هو من لوازم الصمدية ، ونفي الكفؤ المتضمن لنفي التشبيه والتمثيل.

فتضمنت هذه السورة : إثبات كل كمال له ، ونفى كل نقص عنه ، ونفى التشبيه والمثيل ، ونفى مطلق الشريك عنه ، وهذه الأصول مجامع التوحيد العلمي الاعتقادي ، الذي يباين صاحبه فرق الضلال والشرك ، ولذلك كانت تعدل ثلث القرآن.

وبيان ذلك : أن القرآن مداره على الخبر والإنشاء ؛ والخبر نوعان ؛ خبر عن الخالق سبحانه ، وأسمائه وصفاته ، وأحكامه ، وخبر عن خلقه ؛ فأخلصت سورة الإخلاص ، للخبر عنه سبحانه ، وعن أسمائه وصفاته ، فعدلت ثلث القرآن ؛ كما أخلصت سورة : (قل يا أيها الكافرون) لبيان الشرك العملي القصدي.

سورة الفلق

وقال أيضاً الشيخ : محمد بن عبد الوهاب ، رحمه الله تعالى ، تفسير سورة الفلق:

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل أعوذ برب الفلق ، من شر ما خلق ، ومن شر غاسق إذا وقب ، ومن شر النفاثات في العقد ، ومن شر حاسد إذا حسد) فمعنى أعوذ : أعتصم وألتجىء وأتحرز ؛ وتضمنت هذه الكلمة مستعاذاً به ، ومستعاذاً منه ، ومستعيذاً ؛ فأما المستعاذ به ، فهو الله وحده رب الفلق ، الذي لا يستعاذ إلا به.

وقد أخبر الله عمن استعاذ بخلقه ، أن استعاذته زادته رهقاً ، وهو الطغيان ، فقال : (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً) والفلق بياض الصبح إذا انفلق من الليل ، وهو من أعظم آيات الله الدالة على وحدانيته ؛ وأما المستعيذ ، فهو رسول الله ﷺ وكل من اتبعه إلى يوم القيامة.

وأما المستعاذ منه ، فهو أربعة أنواع ؛ الأول ، قوله : (من شر ما خلق) وهذا يعم شرور الأولى والآخرة ، وشرور الدين والدنيا ؛ الثاني ، قوله : (من شر غاسق إذا وقب) والغاسق الليل ، إذا وقب ، أي : أظلم ودخل في كل شيء ،

وهو محل تسلط الأرواح الخبيثة.

الثالث : (شر النفاثات في العقد) وهذا من شر السحر ، فإن النفاثات السواحر ، اللاتى يعقدن الخيوط ؛ وينفثن على كل عقدة ، حتى ينعقد ما يردن من السحر ؛ والنفاثات مؤنث ، أي : الأرواح والأنفس ؛ لأن تأثير السحر إنما هو من جهة الأنفس الخبيثة.

الرابع : (شر حاسد إذا حسد) وهذا يعم إبليس وذريته ، لأنهم أعظم الحساد لبني آدم أيضاً ؛ وقوله : (إذا حسد) لأن الحاسد إذا أخفى الحسد ، ولم يعامل أخاه إلا بما يحبه الله ، لم يضره.

وقال أيضاً الشيخ : محمد رحمه الله ، تفسير سورة الناس:

بسم الله الرحمن الرحيم

وأما قوله : (قل أعوذ برب الناس) فقد تضمنت أيضاً ذكر ثلاثة ؛ الأول : الاستعاذة وقد تقدمت ؛ الثاني : المستعاذ به ؛ والثالث : المستعاذ منه ؛ فأما المستعاذ به ، فهو الله وحده لا شريك له ، رب الناس الذي خلقهم ، ورزقهم ودبرهم ، وأوصل إليهم مصالحهم ، ومنع عنهم مضارهم.

(ملك الناس) أي : المتصرف فيهم ، وهم عبيده ومماليكه ، المدبر لهم ، كما يشاء الذي له القدرة والسلطان

عليهم ؛ فليس لهم ملك يهربون إليه إذا دهمهم أمر ؛ يخفض ويرفع ، ويصل ويقطع ، ويعطي ويمنع.

(إله الناس) أي : معبودهم الذي لا معبود لهم غيره ، فلا يدعى ولا يرجى ولا يخلق إلا هو ، فخلقهم وصورهم ، وأنعم عليهم ، وحماهم مما يضرهم بربوبيته ، وقهرهم ، وأمرهم ونهاهم ، وصرفهم كما يشاء بملكه ، واستعبدهم بالهيبة الجامعة لصفات الكمال كلها.

وأما المستعاذ منه ، فهو : الوسواس ؛ وهو الخفي الإلقاء في النفس ، إما بصوت خفي لا يسمعه إلا من ألقى إليه ، وإما بصوت كما يوسوس الشيطان إلى العبد ؛ وأما الخناس فهو الذي يخنس ويتأخر ويختفي.

وأصل الخنوس ، الرجوع إلى وراء ، وهذان وصفان لموصوف محذوف ، وهو الشيطان ؛ وذلك : أن العبد إذا غفل جثم على قلبه ، وبذل فيه الوساوس ، التي هي أصل الشر ؛ فإذا ذكر العبد ربه واستعاذ به خنس.

قال قتادة : الخناس له خرطوم ، كخرطوم الكلب ، فإذا ذكر العبد ربه خنس ، ويقال : رأسه كرأس الحية ، يضعه على ثمرة القلب ، يمنيه ويحدثه ؛ فإذا ذكر الله خنس ؛ وجاء بناءه على الفعال ، الذي يتكرر منه ، فإنه كلما ذكر الله انخنس ، وإذا غفل عاد.

وقوله : (من الجنة والناس) يعني : أن الوسواس نوعان ، إنس وجن ، فإن الوسوسة الإلقاء الخفي ، لكن إلقاء

الإنس بواسطة الأذن ، والجنى لا يحتاج إليها ؛ ونظير اشتراكهما في الوسوسة ، اشتراكهما في الوحي الشيطاني ، في قوله : (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون) [الأنعام : ١١٢] ؛ والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

آخر الجزء الثالث عشر ؛

ويليه الجزء الرابع عشر: «كتاب النصائح»



فهرس

الجزء الثالث عشر من كتاب الدرر السنية في الأجوبة النجدية